

شوقي أبو خليل

موضوعية

فيلسوف

في كتابه

تاريخ العرب المطول



دار الفكر

بشير الله العجل الحفيظ

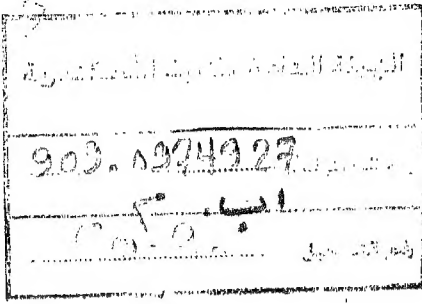
909.097

4927

أبو

م

موضوعية
فيليجي
في كتابه
تاريخ العرب المطول



شوقي أبو خليل

إسلام إبراهيم - تاسع



موضوعية

National Organization of the Alexandria Library (NOAL)
By the National Organization of the Alexandria Library

فِيلِيْبْ جِي

في كتابه

تاريخ العرب المطول

دار الفكر

الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م
(١٥٠٠ نسخة)



جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير ، كما يمنع الاقتباس منه ، والترجمة إلى لغة أخرى ، إلا بإذن خطي من دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق

سورية - دمشق - شارع سعد الله الجابري - ص.ب (٩٦٢) - س.ت ٢٧٥٤
هاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ - برقية : فكر - تليكس 411745 Sy FKR Tx

الصف التصويري : على أجهزة C. T. T. السويسرية
الإفشاء (أوفست) : في المطبعة العلمية بدمشق

المقدّمة

☆ « كانت صبيحة لويس التاسع
بعد هزيمته في الحروب الصليبيّة :
لنبدأ حرب الكلمة ، فهي وحدها
القادرة على تمكّنا من هزيمة
المسلمين » .

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسّلام على محمد رسول الله ، وبعد .

١ - قرأت في شهر آذار ١٩٨٤ ، مقالة في مجلة الثقافة الأسبوعية الدمشقيّة ،
تحت عنوان : « أرواد ، المملكة المنسيّة » ، فاستغربت بُعدها عن الموضوعيّة في
البحث ، وتجنّبها المنهج العلمي السّليم ، فإذا ذكر الفتح العربي الإسلامي ،
وصفته بالاستيلاء : « واستولى العرب على سوريّة بكاملها ، إلا أن أرواد أبت
الاستسلام ، ولكن معاوية أخضع الجزيرة بعد محاولتين دامتين ، وحصار
طويل ، وهدم أسوارها ، وجاءت الحملات الصليبيّة ، وأعاد الفرنج فتح الموانئ
للتجارة الأوربيّة ، فكان هذا سبباً لازدهار دّام قرنين » .

وقال كاتب المقالة : « صمدت أرواد زمناً قصيراً لكي تسقط من جديد بيد
العرب ، ويهدم هؤلاء من جديد حصونها وأسوارها » .

« لسنا نجد بناءً أكثر عظمة وأصالة من هذه الأسوار التي خلّفتها فينيقية .
القديمة ، والتي كانت تحيط بكامل الجزيرة ، وتنتصب حاجزاً دفاعياً تصدّ
الأمواج الهائجة ، والأعداء الطامعين » .

« إنَّ الفاتحين من المصريين والآشوريين إلى البابليين والفرس واليونان والرومان إلى الإفرنج « مستثنياً العرب المسلمين » ، كلهم احترموا أسوارها الجبَّارة ، ومبانيها العظيمة ، كل هذه الشعوب وقفت بإجلال أمام هذه المعالم ، لأنها قدَّرتها واعتبرتها آية عمرانِيَّة باهرة ، وتحفة حضاريَّة رائعة » .

كتبتُ ردّاً وتعليقاً على هذه المقالة ، جعلتُ عنوانه : « لا تكتبوا تاريخكم بروح الغرباء عنه » ، ومما جاء فيه بعد مقدِّمة :

[المحاولتان الداميتان ليستا ضد أرواد وحصونها ، إنَّهما ضد تمرکز الروم فيها ، واتخاذها قاعدة لعملياتهم العسكريَّة ضد شواطئنا العربيَّة ، ولم يهدم العرب الحرَّرون الحصون والأسوار ، فعشرات المدن أسوارها باقية حتى يومنا هذا ، ومئات الحصون ما زالت سليمة حتى وقتنا الحاضر ، ولا يمكن عند كتابة التاريخ اعتماد الروايات الشاذة الغريبة دون تمحيص أو تحقيق . فإن هدم معاوية جانباً من أسوار أرواد ، وهذا ما لم يكن ، بدليل قول كاتب المقالة : « إن الفاتحين من المصريين والآشوريين إلى البابليين والفرس واليونان والرومان إلى الإفرنج ، كلهم احترموا أسوارها الجبَّارة ، ومبانيها العظيمة » ، كل هذه الشعوب وقفت بإجلال أمام هذه المعالم ، لأنها قدَّرتها واعتبرتها آية عمرانِيَّة باهرة ، وتحفة حضاريَّة رائعة ، فكيف احترم الإفرنج أسوارها الجبَّارة ، وقد هدمها العرب الحرَّرون ؟ ألا تدل هذه العبارات على وجودها عند مجيء الإفرنج ؟

فإن هدم معاوية جانباً من أسوار أرواد ، فإنَّه هدم جانباً من تحصينات الروم ليس غير .

ونستغرب بعدها « صمود أرواد زمناً قصيراً لكي تسقط من جديد بيد العرب ، ويهدم هؤلاء من جديد ، حصونها وأسوارها » ، نستغرب هذا القول متسائلين : كيف صمدت قبلاً « وأبت الاستسلام ، ولكن معاوية أخضع الجزيرة

بعد محاولتين دامتين ، وحصار طويل « ، وكيف أنها لم تصمد ولو زمناً أقصر من
قصير في وجه الحملات الصليبية ؟

وعبارة « فيهدم هؤلاء من جديد حصونها وأسوارها » ، عبارة على الرغم من
بعدها عن الحقيقة ، تحمل معنى البعد عن الانتساب والانتماء « هؤلاء » !! كيف
لا ، ونحن « لسنا نجد بناءً أكثر عظمة من هذه الأسوار التي خلّفتها فينيقية
القديمة ، والتي كانت تحيط بكامل الجزيرة ، وتنتصب حاجزاً دفاعياً تصدُّ
الأمواج الهائجة ، والأعداء الطامعين » ، أليس العرب الذين استولوا على أرواد ،
وهدموا أسوارها - كما قال كاتب المقالة - من هؤلاء الأعداء الطامعين ؟.

ومن المؤلم أن توصف حروب الشعوب كلّها بالفتح ، بما فيها حروب
الآشوريين الذين بنوا دولتهم على الجحاح وركام المدن ، وأنين الجرحى ، وآلام
الثكالى .. هؤلاء فاتحون ، أما الذين قال عنهم المؤرخون الأوربيون الموضوعيون :
« ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب » ، فهم : مستولون ، أعداء ،
هذّامون ..

وغريب ألاّ تزدهر أرواد - وهي جزء هام في ساحل بلاد الشام - منذ
التحرير العربي ، وحتى الاستعمار الفرنسي إلاّ قرنين أيام الصليبيين ، إذن .. أين
كانت أرواد أيام الأمويين ، وخاصة أيام الوليد وهشام وعمر بن عبد العزيز ؟.

وأين كانت أيام الرشيد والمأمون ؟

وأين كانت أيام ازدهار التجارة العالمية المارة من سواحل بلاد الشام ،
والذّاهبة إلى أوربة أيام المماليك ؟ [.

وختمت ردّي بما يلي :

[نرفض رفضاً قاطعاً كلّ قول لا يجعل حروب العرب المسلمين في العراق

وبلاد الشّام وشمال أفريقية حروب تحرير ، فهذه البلاد عربيّة قبل الاسكندر بألفي عام وأكثر ، ومن قبل الرومان ، فالفينيقيون الذين استوطنوا ساحل بلاد الشّام من حيفا وحتى مصبّ نهر العاصي ، هاجروا مع إخوانهم الكنعانيين من شبه جزيرة العرب عام خمسة وألفين قبل الميلاد ، وقد وجد العالمان الفرنسيان « فيرولو » و « دوسو » في الملاحم الفينيقية التي اكتشفت في أغاريت « رأس شمرا » أن الفينيقيين أنفسهم يذكرون بالفخر بأن أجدادهم قد هاجروا من منطقة النّقب التي كانت محطة من محطات انتقال القبائل العربيّة من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار والحضر إلى ساحل بلاد الشّام . فحروب العرب المسلمين في بلاد الشّام قطعاً حروب تحرير ، وليست استيلاءً يعني القهر والأخذ والتّلك ، وليسوا أعداءً لتصد في وجههم الأسوار في أرواد ، وليسوا برابرة هجاً كي يدمّروا الأسوار ، في حين احترامها الفاتحون الآخرون ، ووقفوا بإجلال أمامها .

ارحموا تاريخكم ، وشيئاً من الموضوعيّة والعلميّة والمنطق السّليم في تحليلاتكم ومحاكماتكم ، ولا تكتبوا تاريخكم بروح الغباء عنه [.

وبزيارة إلى إدارة المجلّة النّاشرة ، قدّمتُ ردّي وملاحظاتِي على مقالة « أرواد المملكة المنسيّة » ومن خلال حديثنا عن المقالة المذكورة ، والفرق الشاسع ، والبون الحضاري بين كلمتي « الفتح » و « الاستيلاء » ، قال صاحب المجلّة ومديرها المسؤول : هذا مما قدّمه فيليب حتّي في كتابه : « تاريخ العرب المطوّل » ، لقد استخدم فيليب كلمة « استيلاء » بشأن فتوحاتنا العربيّة ، وركّز عليها . فقلت في نفسي : وهل هذه الهفوة ، الهفوة الوحيدة في كتاب فيليب حتّي « تاريخ العرب المطوّل » ؟ وقطع عليّ صاحب المجلّة أفكارِي قائلاً : واجب عليك دراسة كتاب فيليب حتّي ، وتقديم ما فيه من هفوات ، فقلت مجيباً : أعدك بذلك ، سأقدّم ما عليه ، وسأقدّم ما له .

٢ - وفي طريقي إلى داري ، رحت أفكر ملياً في الحديث الذي دار في إدارة المجلّة ، وإذ في ساحة الفكر خواطر عن الهجمة المركّزة على تراثنا وحضارتنا وتاريخنا .. حتى على ذاتيتنا ، وتذكرت كتاباً طبع عام ١٩٨٣ م ، فإذا بمؤلفه يقدم لنا فيه آراء من أخطر ما سمعت ، منها :

« يزعمون أن مهد السّاميين الأصلي هو الجزيرة العريّة . وأن كل ساكن فيها يكون عربياً .. » .

« إنّ الآراميين لم يكونوا عرباً ، ولم يسموا عرباً » .

« الآراميون عرب بالانتقال بعد الفتح العربي الإسلامي » .

« الكنعانيّون غير ساميين » ، « ولقد توهم كثيراً من جعل الكنعانيين ساميين » ، وحجّة المؤلّف بذلك الجدول التوراتي الذي لم يذكر الكنعانيين بين أبناء سام ، ورفض قول بروكلمان في كتابه : « تاريخ الشّعوب الإسلاميّة » : إن بني إسرائيل هم الذين أسقطوا الكنعانيين من الجنس السّامي لأسباب سياسيّة ودينيّة .

وجعل المؤلّف عنواناً لفصل كامل تحت عنوان : « الآراميون والعرب » . وذكر أربع ممالك (آراميّة مستقلة حسب رأيه) ، وهي : الرّها والأنباط وتدمر والحضر ، دون ذكر أنّهم عرب أقحاح .

وهنا شدّدت أكثر لدراسة كتاب فيليب حتّي ، الذي اعتمده هذا المؤلّف في مراجعته وركّز عليه في حواشيه ، ولكنني لم أبدأ العمل في هذه الدراسة لانشغالي في حينه في إعداد عمل آخر .

٣ - وكان الذي دفعني إلى البدء جدّياً في هذه الدّراسة ، حضوري درس تاريخ في إحدى ثانويّاتنا بحكم عملي ، فإذا بالمدرّسة تقدّم لنا درساً عنوانه :

« حروب التحرير والفتح » ، وفوجئت بقولها : واستولى العرب على المدائن ، واستولى العرب على دمشق ، واستولى العرب على حصن بابلين ، واستولى العرب على الاسكندرية .. فقاطعتها بلطف وأدب ، بدخلة سألت فيها الطالبات : ما الفرق بين التحرير والفتح ؟ وأتممت الحصة الدراسية بروح من يتحدث عن أمجاده ، وبقلب المعترّ بتاريخه ، ولم أبتعد في ذلك كله عن روح العلم والموضوعية في البحث .

خرجت من الحصة ، وبكلمات أدبية في ثناياها تعنيف وعتب ولوم ، وقسوة أحياناً ، قوّمت درسها ، وقلت لها في آخر تقويمي : « لا تقدّمي تاريخنا ، ولا تلقيه على أبنائنا بروح الغرباء عنه » .



الأسباب الثلاثة السابقة ، كانت دوافع تأليف هذا الكتاب :

وفعلًا .. بدأت دراسة كتاب فيليب حتّي « تاريخ العرب المطوّل » ، وكنت حريصاً ألاّ أظلمه بكلمة ، وألاّ أفترى عليه بقول ، فتجاوزت عن كثير من الهنات التي قد تؤوّل أو تفسّر لتؤخذ على محمل حسن ، ونجد له فيها منفذاً يبتعد به عن اتهامه بالطعن أو الدس أو التشويه ، لذلك .. لا أدعي أنني قدّمت كلّ ما يُقال عن كتاب « تاريخ العرب المطوّل » ، لكنني قدّمت أهمّ ما يجب أن يُقال ، عندما قدّمت أهم وأبرز وأكثر ما فيه من تشويه أو سوء فهم ، وقدّمت هفواته وافتراءاته .

وللحقيقة ، سيجد القارئ بعد هذه المقدمة ، وبعد التعريف بفيليب حتّي وكتابه الذي نحن في صدد دراسته ، صفحات سجلت فيها آراءه التي تحسب له ، على ما فيها ، ليكون عملنا علمياً نزيهاً ، لا يهدف النقد للتجريح والتشهير ، بل النقد للتصويب ، خدمة للعلم والحقيقة .

فلا يمكن لعربي محبٌ لتاريخه المجيد ، معتر بترائه الخالد ، أن يسكت إذا قرأ - مثلاً - أن أبرز أحداث تاريخه : أساطير ، وأن يُروى تاريخه بعبارات التَّمرِيز والارتياب ، والتشكيك والتوهين ، مثل : قيلَ ، رُوِيَ ، إن صحَّ ، لعلَّ ، ربَّما ، زعموا ، فيما يقال ، فيما رووا ، على قول الروايات ..

وأنَّ المصادر العربيَّة ليست كافية لدراسة حياة النبي ﷺ وللبحث في تاريخ فجر الإسلام .

وأنَّ النبي ﷺ انتسبَ إلى قريش ، وشتان بين القول : النبي من قريش ، وبين أنه انتسب إليها !

وأنَّ يوصفَ المجاهدون المسلمون « بقرصنة البحر المراكشيين » .

واعتبر فيليب حتّي الفتح العربي لإسبانية مشكلة .

وبعد مصرع غرناطة قال : أقصي المسلمون عن البلاد وظهر جلياً محيّا إسبانية النصرانيَّة .

ومن مصادره الأساسيَّة : الأغاني ، ألف ليلة وليلة ، وتاريخ ابن العربي ؟!

وأقحم « العبرانيين » وباسم « الإسرائيليين » إقحاماً في كثير من أحداث تاريخنا العربي ، كقوله : « ربما كانت نواة هذه الجماعة إسرائيلية صرفة هجرت فلسطين في القرن الأوّل للميلاد » .

واعتبر ثورة عرابي ضد التَّدخُّل الأوربي في مصر « فتنة » ومجرّد « فتنة » ؟!

والأغرب والأعجب ، أنّه إذا ذكر حروب التحرير والفتوحات العربيَّة الإسلاميَّة ، ذكرها بكلمة : استيلاء أو اكتساح ، أو اغتصاب ، أو تسلُّط ، أو استعمار .. مُبيحاً كلمة « الفتح » لما فيها من معنى حضاري ، أمّا إذا ذكر

الصلبيين قال : « ولما فتح الفرنجة بيت المقدس » ، وقال : « الفتح النورماندي لِصِفْلِيَّة » ، وقال : « فتح الفرنسيون مَرَاكش » ، « وَتَمَّ للصلبيين فتح بيروت وصيدا » ، « الفتح الروماني » .

هذه بعض النقاط الهامة ، أوردتها في هذه المقدمة ، لنلمس خطورة كتاب « تاريخ العرب - مَطْوَل » ، الذي تُرْجِمَ إلى لغات عديدة ، على أَنَّهُ تاريخنا العربي المطوّل ، مغفلاً الكثير الناصع ، ومختصراً ما يجب شرحه ، ومسهباً فيما يجب اختصاره .

لقد تكلم عن تاريخ الجزيرة العربيّة في الجاهليّة قبل الإسلام في سبعة فصول تقع في مئة واثنين وخمسين صفحة ، بينما تحدّث في تسعة فصول عن الإسلام ودعوته حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين ، مع كل التغيّرات التي أنتجتها هذه الدعوة ، والمجتمع الجديد الذي بناه الإسلام ، والفتوحات وانتشار الإسلام ، وكذلك اللغة العربيّة وتأثيرها ، كل ذلك يقع في ثلاث وتسعين صفحة فقط .

وفي الفصل الثامن يتحدّث عن حياة الرسول الكريم ﷺ ودعوته ، وكل ما يتعلّق به منذ ولادته حتى وفاته في أربع عشرة صفحة ، وفي الفصل التاسع يتحدّث عن القرآن الكريم وتعاليمه وتأثيره في سبع صفحات ، بينما في الفصل السّابع يتحدّث عن الحجاز قبيل الإسلام في ست وثلاثين صفحة ، منها عشر صفحات عن وثنيّة البدو ، أكثر من ضعف حديثه عن حياة الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام ، وحديثه عن وثنيّة البدو فقط ، أكثر من حديثه عن القرآن الكريم . فما الذي أوجب ذلك ؟!

وكتب عن القديس يوحنا الدمشقي أكثر مما كتب عن الدولة النوريّة ، وسجّل مقاييس الجمال القديمة بالتفصيل : « جمال أعضاء المرأة ، صفحة : ٤١٢ » ، ولم يذكر عبد الله بن سبأ مطلقاً في فتنة عثمان رضي الله عنه مثلاً .

وشرح الموشح الأندلسي بثلاث صفحات ، ولم يذكر كلمة واحدة عن معركة
الموحّدين الشهيرة « الأزك » .

إنَّ مِنْ أَوَّلِ ما يَتَّصف به العلماء من أخلاق ، البحث عن الحقيقة ، وإن
كتبوا ، كتبوا الحقيقة بتجرّد ولو خالفت الأهواء .

ومعروف عنهم الرجوع عن الخطأ ، وإلّا فالمنهج العلمي بعيد ، والموضوعيّة
مطروحة جانباً ، وهناك هدف آخر غير الحقيقة ، وغير العلم .

أهو التّعصّب ؟

أم العمالة لجهة مشبوهة ؟

أم هو تشويه تاريخنا وتراثنا عن حقد وصلبيّة ؟

أم هو الجهل وسوء الفهم ؟

لن نفرض جواباً لهذه التساؤلات ، سينتقي القارئ بنفسه إحداها بعد إتمام
قراءة هذا الكتاب .

شوقي أبو خليل

دمشق في : ٨ / ٩ / ١٤٠٥ هـ

الموافق : ٢٥ / ٦ / ١٩٨٥ م



فيليب حتّي

« وتاريخ العرب المطول »

☆ « إن الإسلام دين صحراوي ،
وإننا لا أمل لنا إلا في المتفرجين
الذين يكونون بمثابة أيد عربية
بعقول أوربية » .

اللورد كرومر

ولد الدكتور فيليب حتّي في شملان (لبنان) سنة ١٨٨٦ م ، ودرس في
الجامعة الأمريكية في بيروت ، فنال شهادة بكالوريوس في العلوم منها سنة
١٩٠٨ م ، ثم سافر إلى أمريكا والتحق بجامعة كولومبية ، ونال الدكتوراه منها
في اللغات الشرقية وأدائها سنة ١٩١٥ م ، وعُيّن بعد تخرّجه أستاذاً فيها ..

وعندما انتهت الحرب العظمى الأولى ، عاد إلى وطنه بطلب من الجامعة
الأمريكية ، عُيّن أستاذاً لتاريخ العرب ، واستمر في هذا المنصب حتى سنة
١٩٢٦ م ، ثم التحق بجامعة برنستون أستاذاً لتاريخ العرب أولاً ، ثم رئيساً لقسم
الدراسات الشرقية فيها ، وظلّ في هذا المنصب حتى سنة ١٩٥٤ م حين أُحيل على
التقاعد .

ولم ينقطع عن العمل بعد ذلك ، بل عُيّن أستاذاً زائراً في جامعة هارفرد ،
وهو عضو في مجلس أمناء جامعة بيروت الأمريكية في الولايات المتحدة ،

ورئيس لجنة التربية في هذا المجلس^(١) ، وعيّن مستشاراً لوزارة الخارجية الأمريكية في شؤون الشرق الأوسط .

له من المؤلفات :

١ - تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، المطبعة البوليسية - لبنان - ١٩٥٨ م . ترجمة جورج حداد وعبد المنعم رافق ، عدد صفحاته : ٤٥٢ وهو في دار الكتب الوطنية الظاهرية تحت رقم : [ب/٢٠٠٧] .

٢ - لبنان في التاريخ (منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر) . بيروت - مطبعة دار الثقافة ١٩٥٩ ، عدد صفحاته : ٦٩٧ . ترجمة أنيس فريجة ، وهو في دار الكتب الوطنية الظاهرية تحت رقم : [و/٩٦٤١] .

٣ - العرب « تاريخ موجز » . بيروت - مطبعة دار العلم للملايين سنة ١٩٤٦ ، صفحاته : ٢٧٢ . وهو في دار الكتب الوطنية الظاهرية تحت رقم : [ص/٩٤٧٧] .

٤ - السُوريُّون في الولايات المتحدة الأمريكية . مصر ، مطبعة المقتطف سنة ١٩٢٢ ، عدد صفحاته : ٤٥ . وهو في دار الكتب الوطنية الظاهرية تحت رقم : [ق/٤٢٢ (٧)]^(٢) .

٥ - ما أتحف به متكلمو العربية المدنية الغربية . مطبعة الصّفدي - سان باولو سنة ١٩٥١ . وعدد صفحاته : ٢٢ ، وهو في دار الكتب الوطنية الظاهرية تحت رقم : [ق/٢٣٧ (٢)] .

(١) راجع مقدمة كتاب تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ط ١٩٥٨ ، دار الثقافة بيروت .

(٢) مجلداً مع كتاب (الماسونية) لميخائيل يوسف أبو راشد .

٦ - تاريخ العرب (مُطَوَّل) في ثلاثة أجزاء [الذي نحن في دراسته خلال صفحات هذا الكتاب] .

صفحات هذا الكتاب وطبعاته :

١ - الجزء الأول : ط ١٩٤٩ - دار الكشف للنشر والطباعة والتوزيع ، من ص ١ إلى ٢٤٨

٢ - الجزء الثاني : ط ١٩٥٣ - دار الكشف للنشر والطباعة والتوزيع ، من ص ٢٤٩ إلى ٥٨٦

٣ - الجزء الثالث : ط ١٩٥١ - دار الكشف للنشر والطباعة والتوزيع ، من ص ٥٨٧ إلى ٩٥٦

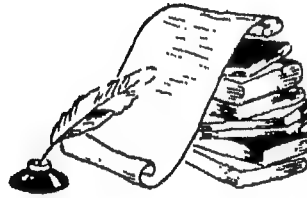
جاء في مقدّمة الجزء الأول : « لقد وُضِعَ كتاب تاريخ العرب في الأصل باللغة الإنكليزيّة ، وطُبِعَ أوّل مرّة في مطبعة مكلان « Macmillan » في لندن عام ١٩٣٧ ، ثم توالى طبعاته منذ ذلك العهد حتى بلغت أربعاً آخرها سنة ١٩٤٩ ، ونُقِلَ في خلال هذه السّنوات إلى اللّغات الألمانيّة والإفرنسيّة والأورديّة والتركّيّة » .

« أما هذه الترجمة التي تقدّم الجزء الأوّل منها ، فقد قام بها أوّل الأمر تلميذي وزميلي الدكتور ادورد جرجي الأستاذ المشارك في كليّة برنستون للأهوت ، ولقد عرّض القسم الأوّل من المخطوطة على أنيس الخوري المقدسي ، أستاذ الأدب العربي في جامعة بيروت الأمريكيّة ، فتلقّف وراجعها وهذّب بعض عباراته ، فله شكرنا الجزيل . وأخيراً عهد إلى تلميذي الدكتور جبرائيل جبّور الأستاذ المشارك في الجامعة نفسها أن يحرّر الكتاب ويساهم معنا في نشره ، فراجعها ونقّحها بدوره ، ووقف على طبعه وتعهّده بعنايته الخاصّة .

ولهذه الترجمة العربيّة ميّزة خاصّة وهي أنّه سيظهر فيها لأوّل مرّة قسم

جديد لم يظهر بعد في الطبعة الإنكليزية ، أو في أي من الطبعات الأخرى ، وهو القسم الذي يبحث تاريخ العرب منذ أوّل العهد العثماني حتى زمننا الحاضر .

ولعل القارئ يلذ له أن يعرف أن للكتاب موجزاً ظهر عام ١٩٤٣ عن مطبعة جامعة برنستون بعنوان : « The Arabs: A Short History » ، وقد أصدر المجلس الحربي الأمريكي منه طبعة خاصة للجيش عدد نسخها خمسون ألفاً ، وفي عامنا هذا (١٩٤٩) أخرجت مطبعة برنستون الطبعة الخامسة من الموجز ، وكذلك أصدرت في العام الفائت مطبعة مكلان في لندن طبعة خاصة منه ، ولقد تُقِلّ الموجز حتى الآن إلى الإسبانية والبرتغالية والهولندية والعربية ، وقد ظهرت الترجمة العربية عن دار العلم للملايين في بيروت عام ١٩٤٦ بعنوان : العرب تاريخ موجز » .



حَقَائِقُ تُحَسَّبُ لَهُ

☆ « فبعد الرسول تغيّرت طبيعة
بلاد العرب الجدياء وأخذت تنشئ
رجالاً وأبطالاً يندر وجود من
يشاكلهم في أي صقع كان . فكان
أعجوبة خلّت بها » .
د . فيليب حتي

من الأفكار السليمة ، والعبارات الصحيحة ، التي قدّمها فيليب حتي
بموضوعية خلال كتابه تاريخ العرب المطوّل :

- ١ -

1 وإن دعوة المؤذن إلى الصلاة لتجلجل في معظم ساعات اليوم الأربع
والعشرين مطوّقة الشطر الأكبر من الكرة الأرضية ، وتتألق على هامة العرب تلك
الهالة الوهاجة التي تقترن دائماً بأسماء الفاتحين العالميين ، فلقد استطاعت هذه الأمة
في مدى قرن واحد أن تنشئ دولة عظيمة واسعة الأرجاء ، بسطت سلطانها من
شواطئ المحيط الأطلسي إلى تخوم الصين ، وفاقّت على امبراطورية رومة في أوجها ،
وفي أثناء هذه الحقبة من التوسع الذي لم يسبق له نظير استطاع العرب بواسطة
الإختلاط مع الأمم المغلوبة « أن يكسبوا إلى دينهم ولغتهم وشكلهم عدداً من أبناء
هذه الأمم ما استطاعت أمة قبلهم أو بعدهم أن تكسب مثله وتهتمه ، ولا نستثني
من ذلك اليونان ولا الرومان ولا الأنكلو سكسون ولا الروس » ^(١) ، صفحة : ٢ .

(١) القول الأخير نقله عن : D.G.Hogarth, The penetration of Arabia (Newyork, 1904) P.7

[يمثل العشيرة رئيس رسمي هو الشيخ . وليس الشيخ زير نساء كما صوّرتة هوليود في أشرطتها الناطقة والصامتة ، بل هو المُسِن المُقَدَّم على أفراد القبيلة الذي تظهر زعامته بما يبدية من أصالة الرأي والسَّخاء والشَّجاعة . فتقدمه على أهل القبيلة مبنيٌّ على كبر سنِّه وأخلاقه الشخصية . وليس الشيخ صاحب الأمر المطلق في الشؤون الشرعيَّة والحربيَّة وسواها ، بل يفرض عليه مشاوره مجلس القبيلة الذي يتألف من زعماء البطون والأفخاذ] ، صفحة : ٣٥ .

[ولقد استطاع محمد في سحابة عمره ، وهو غير طويل ، أن يهيئ الوسائل لنشوء أُمَّة فتيّة لم تكن قد نهضت من قبل تتألف من قبائل تأتي الاتحاد في بلاد كانت حتى ذلك الوقت تعبيراً جغرافياً قليلة الشأن . وأن يؤسّس ديناً دحر النصرانيَّة واليهوديَّة في الشرق الأدنى ، وحلَّ محلَّها ، وهو لا يزال دين جزء كبير من الجنس البشري ، واستطاع فوق ذلك أن يضع حجر الأساس لامبراطورية ما لبثت أن حوت بين أطرافها المترامية أجل مقاطعات العالم المتمدّن في ذلك العصر ، وكان محمد أميّاً ، ومع ذلك فقد أنزل على يديه كتاب لا يزال تُمنُّ سكان العالم بحسبونه آية العلم والحكمة والدين^(١)] ، صفحة : ١٦٨

[وقد أدرك الإسلام نجاحاً لم يتفق لدين آخر من أديان العالم في القضاء على فوارق الجنس واللون والقوميَّة ، وخاصة بين أبنائه ، فهو لا يعترف بفواصل بين أفراد البشر ، إلا الذي يقوم بين المؤمنين وبين غير المؤمنين ، ولا شك أن الاجتماع في مواسم الحج أدّى خدمة كبرى في هذا السَّبيل] ، صفحة : ١٨٦

(١) المسلمون اليوم حوالي مليار مسلم ، يشكّلون ثلث سكان العالم .

- ٥ -

[فبعد الرسول تغيرت طبيعة بلاد العرب الجدياء ، وأخذت تنشئ رجالاً أبطالاً يندر وجود من يشاكلهم في أي صقع كان ، فكأن أعجوبة حلت بها ، فالحملات العسكرية التي قام بها خالد بن الوليد ، وعمر بن العاص ، وسعد بن أبي وقاص ، فاتحين بها العراق وفارس وسورية ومصر ، هي من أعظم الحملات التي يرويها تاريخ الحروب المدوّن ، وقد كشفت عن نبوغ قوّادها وتفوقهم في أساليب القتال ، وخلّدت أسماءهم مع أسماء نابليون وهانيبال ويوليوس قيصر والاسكندر] ، صفحة : ١٩٣ .

- ٦ -

[وأوثق ما في الإسلام من أسباب المنعة هو هذا الإيمان الراسخ بوحداية الله ، وذلك الاعتقاد البسيط الخالص بسمو الملك الفعّال ، ومن هنا ما يتولّد في المؤمن من شعور القناعة والاستسلام الذي لا نعرف له مثيلاً عند أبناء الأديان الأخرى ، وبعد .. فلا عجب إذا كانت حوادث الانتحار نادرة في البلاد العربيّة] ، صفحة : ١٧٧

- ٧ -

[ودين محمد دين عملي صريح ، وقلماً يشير القرآن إلى هدف عال يصعب نواله ، ويكاد أن يكون خلواً من العقد اللاهوتيّة^(١) ، وليس فيه أثر للأسرار الرمزيّة المقدّسة ، أو مراتب الكهنوت ..] ، صفحة : ١٧٨

- ٨ -

[والقرآن معجّزٌ من حيث أسلوب وأناقة سبكه] ، حاشية الصفحة : ١٧٨

(١) بل هو خلوّ من العقد اللاهوتية

- ٩ -

[إنَّ الجزية التي فرضها الفاتحون العرب على أبناء البلدان المُسلخة عن فارس وبيزنطة كانت أقل مما كان يُفرضُ عليهم في ظل الحكومات السابقة ، ولقد انفتح أمام الأمم المغلوبة باب الحرية ، فصاروا يارسون عقائد أديانهم دون إزعاج] ، صفحة ١٩٤

- ١٠ -

[تمسك بعض كتاب النصرانية بفكرة أخرى خاطئة ، وهي أن المسلم العربي إنما اكتسح البلدان رافعاً القرآن في يد والسيف في الأخرى ، ولا صحة لهذا الزعم ، فإن العرب في حروبهم خارج الجزيرة كانوا يعرضون على أهل الكتاب من يهود ونصارى أمراً ثالثاً غير القرآن والسيف هو أقرب إلى مطامع المحاربين ، وأصلح لهم من كلا الأمرين الأوَّلين]^(١) ، صفحة : ١٩٥

- ١١ -

[وبالإسلام استطاع الشرق الأدنى أن يسترجع ماضيه المجيد لا في ميدان السياسة فحسب ، بل في ميدان الثقافة أيضاً ، حيث تسنى له أن يعيد سيادته الفكرية] ، صفحة : ١٩٨

- ١٢ -

[أما القصة التي تقول إن عمراً أحرقت مكتبة الاسكندرية بإشارة من الخليفة وأحمى بها حمامات المدينة مدة ستة أشهر ، فينكرها البحث العلمي ، فلقد أحرقت مكتبة البطالسة العظمى يوليوس قيصر حين غزا البلاد المصرية سنة ٤٨ ق.م ،

(١) الجزية : هي الأمر الثالث ، وهي ضريبة بسيطة مقابل حماية الذميين ، وانتفاعهم بالمرافق العامة ، واعفائهم من الخدمة الالزامية .

- ٢١ -

أما « المكتبة الصُغرى » التي نشأت من بعد ، فلقد أُلْتُفِت بأمر الامبراطور ثيودوسيوس حوالي سنة ٣٨٩ م ، واندثرت مكاتب الاسكندرية من بعد ذلك ، فلم يَكُ في الاسكندرية مكتبة عظمى يوم الفتح ، زد على هذا أن أحداً من الكتاب المعاصرين لهذه الحوادث لم يَتَّهَم الخليفة أو عُمَّاله بإحراق مكتبة ما بالاسكندرية ، ولا نعرف أحداً روى هذه القصة قبل عبد اللطيف البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م ، ولسنا نفهم الباعث إلى اختلاق هذا النبأ الذي اعتد به المؤلفون المتأخرون وزادوا عليه [، صفحة : ٢٢٢

- ١٣ -

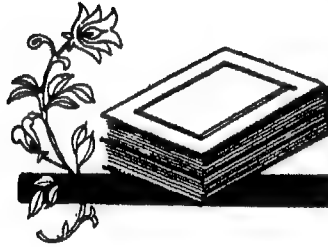
[واعتزت قرطبة بما حوته من مظاهر الثقافة ، فقد كان فيها مئة وثلاث عشرة داراً (للعلم) ، وواحد وعشرين ربضاً ، وسبعون خزانة كتب ، وحوانيت شق تباع فيها الكتب ، ومساجد وقصور أكسبتها شهرة في الخافقين ، فأخذت من الرُّوَاد وأهل الأسفار بجامع القلوب ، وزهت بشوارع تمتد بضعة أميال مضاءة بقناديل تطل عليها من المنازل المحاذية ، بينما لم يتحقّق للنندن أن يكون فيها قنديل واحد عمومي حتى ما بعد ذلك بسبع مئة سنة ، وأما في باريس بعد بضعة قرون ، فقد كان الذي يتخطى عتبة داره في يوم ماطر ، لا يأمن الخوض في لجة من الوحل ، وبينما كانت جامعة أكسفورد تحسب الاستحمام عادة وثنية كان علماء قرطبة قد مرّ عليهم زمن طويل وهم ينعمون بحمامات شائعة] ، صفحة : ٦٢٦

- ١٤ -

[وكان كلّما احتاج أمراء ليون أو نافار أو برشلونة جراحاً أو مهندساً أو مغنياً أو خياطة ، وجّهوا طلبهم لقرطبة ، فسارصيت العاصمة الإسلامية حتى أقاصي ألمانيا ، حيث وصفت راهبة سكسونية قرطبة بأنها جوهرة العالم] ، صفحة : ٦٢٧

- ٢٢ -

بعد ما ذكر قول العالم الهولندي دوزي عن الأندلس : « إن كل فرد تقريباً
كان يحسن القراءة والكتابة » قال : [هذا ، بينما كانت أوربة النصرانيّة لاتعرف
من العلوم إلا مبادئ بسيطة مقصورة بالأكثر على رجال الدين] ، صفحة : ٦٤٣ .



التَّمْرِيزُ وَالْإِرْتِيَابُ

☆ مشكلتنا أن لا نكتب تاريخنا
من وجهة نظرنا ، وعندما
نكتب تاريخنا من وجهة
نظرنا ، فهذا حقُّنا ، وهذه هي
الكتابة السليمة ، وهذا رجوع
إلى أصالتنا ، وتمسُّك بذاتيتنا .

سؤال وجدته يفرض نفسه عليَّ قبل الشروع في أهم عبارات التَّمْرِيز
والإرتياب ، والتَّشكيك والتَّوْهين ، التي أوردتها حتَّى في كتابه ، ألا وهو :

هل تكفي مصادرنا العربيَّة الإسلاميَّة لكتابة تاريخنا اليوم ؟

وهل تفي هذه المصادر بالحاجة ؟

أم نبتعد عن البحث العلمي ، وعن الموضوعيَّة ، إذا اعتمدناها وحدها ؟
وأجيب : مصادرنا العربيَّة الإسلاميَّة كافية ، وتفي حاجتنا ، ونكون في
منتهى الموضوعيَّة والبحث العلمي .

ولئن سئلت لماذا ، أجيب :

١ - دراسة تاريخ أمتنا بشكلها السليم والموضوعي ، يجب أن تكون من
مصادرنا ، ومؤرخينا الثقات .

٢ - دعوات دراسة التاريخ الإسلامي دراسة تعتمد المصادر الأجنبيَّة ، أي
ما كتبه المستشرقون في وقت متأخر ، دعوة ساذجة سطحيَّة ، أمام من تهياً لهم
دراسة التاريخ الإسلامي دراسة سليمة تستلهم وقائعه وحقائقه وخصائصه

ومقوماته من معينه الصافي^(١) . علماً أن هذه الدعوات جهود مبشرين مستشرقين ، زرعوا الألغام ، وبثوا السموم ، ورؤجوا الشبهات والشكوك في طريق مَنْ يكتب التاريخ الإسلامي .

٣ - علم « مصطلح التاريخ » ، أو : المنهج العلمي في دراسة التاريخ ، علم لبابه وجوهره عربي إسلامي ، أسسه العلماء المسلمون عندما وضعوا القواعد للتوصل إلى الحديث الشريف الصحيح ، ولو اطلع الأوربيون على مصنفات أئمة الحديث الشريف ، لما تأخر تأسيس علم « مصطلح التاريخ » ، أو البحث المنهجي في دراسة التاريخ حتى أواخر القرن التاسع عشر ، والمنصفون الأوربيون يعلمون أن ما يفاخرون به اليوم ، عِلْمٌ نشأ وترعرع في بلادنا العربية الإسلامية .

الموضوعية والنزاهة ، والبحث العلمي بما فيه من تمحيص وتدقيق وتثبت ودراسة للتراوي والرواية .. نحن قدمناه إلى الغرب ، ولم يطبقه أبناؤه عندما كتبوا تاريخنا ، ولا عندما كتبوا تاريخهم أيضاً ، لأنهم وظفوا الأحداث من وجهة نظرهم القومية والدينية ، ليجعلوه معين اعتزاز وتحقيق ذاتية ، وكان الدعوة القائلة بضرورة المراجع الأجنبية ووجهات نظر الأمم الأخرى ، دعوة للتصدير إلى دول العالم الثالث ، وخاصة العالم الإسلامي ، ودليل ذلك ، الغرب إلى يومنا هذا يكتب الحروب الصليبية من وجهة النظر الأولى ، حملات صليبية مقدسة^(٢) ، كانت وما زالت ، ونحن نقول : فتح الأندلس ، وهم يقولون : الغزو العربي للأندلس ...

وعلى ما سبق ، يجب أن نكتب تاريخنا من وجهة نظرنا ، وهذا يعني منتهى

(١) انظر : نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي ، د. عبد الرحمن علي الحجي ، دار القلم ، الطبعة الثانية : ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ص : ١١ وما بعدها ، وهذا لا يمنع مناقشة ورفض بعض الروايات الغريبة إن وجدت .

(٢) ويريد أصحاب دعوات المراجع الأجنبية كتابتها : « حروب الفرنجة » !!

الموضوعية والإنصاف - علماً أن البحث عن الحقيقة رائد هذه النظرة ، لأنها تقول ما لها ، وتذكر ما عليها - لأن ما قدمه مؤرخونا الثقة في مؤلفاتهم التاريخية كتبوه بعد تمحيص واختيار الرواية الصحيحة ، مع مقابلة ودراسة دقيقة للرواية والراوي ، وما كتبه المستشرقون وجهة نظر لهم ، ساقهم إليها إما سوء فهمهم ، أو تعصبهم وحقدهم .

ومن المهم جداً ، أن نكتب تاريخنا ونقدمه بخصائصه وحقائقه على ضوء من طبيعته والمبادئ التي صاغته وأنتجته ، وإلا فلا يصبح تاريخاً لأمتنا العربية الإسلامية .

ومشكلتنا أن لا نكتب تاريخنا من وجهة نظرنا ، ولا يوجد مؤرخ يكتب تاريخ بلاده - بموضوعية - من وجهة نظر الأمم الأخرى ، وعندما نكتب تاريخنا من وجهة نظرنا ، فهذا حقنا ، وهذه هي الكتابة السليمة ، وهذا رجوع إلى أصالتنا ، وتمسك بذاتيتنا .

من هذا المنطلق ، سنعرض عبارات التريض والارتياب التي أوردتها حتي في كتابه ، وكيف أنه لا يرى سوى القليل من الأخبار الموثوقة في تاريخ صدر الإسلام كله ، لماذا ؟ يجيبنا حتي : « مهما يكن من أمر ، فإنه ليس لدينا غير المصادر العربية لدرس حياة النبي وللبحث في تاريخ فجر الإسلام »^(١) ، وكأن هذه المصادر العربية ، كما يقولون : « شَوِيَّة »^(٢) ، فهي لا تكفي ، وهو بذلك لا يرى أخبار تاريخنا الموثوقة ، إلا في المصادر الحبشية ، أو الفارسية ، أو البيزنطية ، أو الغريبة !!

(١) تاريخ العرب « مطوّل » ، ص : ١٥٦

(٢) الشَوَايَة : الشيء الصغير من الكبير ، (اللسان : شوا) .

الموضوعية تفرض علينا أن الخبر الوارد في مصادرنا الموثوقة ، خبر موثوق ،
لا داعي لتمريره وتوحيته والارتياح بصحته ، لأمر ما ، حَسُنَت النية في تمريره
أم ساءت .



١ - يقول حتّي [ص : ٥٤] : « وإن صحَّ أن ملكة سبأ (وفي القرآن
بليقيس)^(١) هي شخصية تاريخية ، وأنها قدمت إلى مَلِكِ إسرائيل الحكيم يعطايا
طريفة مما امتازت به أرض الجنوب » .

ونحن نقول : إن وردت في القرآن الكريم فهي حقيقة ، وقولنا هذا مبني
على ضوء المعارف الحديثة ، مع الإيمان والتسليم .

يقول الدكتور موريس بوكاي في كتابه : « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل
والعلم ، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة » : « لقد قمت أولاً
بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق ، وبموضوعية تامة ، باحثاً عن
درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث ، وكنت أعرف قبل هذه
الدراسة ، وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظواهرات
الطبيعية ، ولكن معرفتي كانت وجيزة ، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي ،
استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أيّة
مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث » صفحة : ١٣

ويقول في الصفحة ٢٤٦ : « صحة القرآن التي لا تقبل الجدل تعطي النصّ
مكانة خاصة بين كتب التنزيل ، ولا يشترك مع نصّ القرآن في هذه الصحة لا

(١) هذه العبارة من ضمن قول فيليب حتّي .

العهد القديم ، ولا العهد الجديد » ، وطالب الدكتور بوكاي : « بحتية دراسة الأمور العلمية والتاريخية الواردة في الكتب المقدسة على ضوء القرآن الكريم فقط دون سواء ، فهو وحده لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث » .

هذا اليقين بصحة القرآن الكريم ودقته - اليقين الذي لا يقترب منه شك ، ولا يخالطه ارتياب - يجعلنا تجاه حقائق علمية وتاريخية ثابتة ... وعلى ذلك فكل ما جاء في القرآن يجعلنا في طمأنينة شاملة من حيث سلامة النص ودقة علومه .

☆ ☆ ☆

٢ - وقال حُتي في الصفحة ٨٥ : أسطورة انفجار سد مأرب ، « وليست أسطورة انفجار السد - والواقع أن الأخبار حاكها أسطورة منقّة - إلا حكاية يمكن القول إنها ترمي إلى الإتيان بخلاصة وجيزة فذة لما رجعت أسبابه إلى عوامل اقتصادية وعمرانية واجتماعية .. » .

والحقيقة التاريخية تقول :

بني سد^(١) مأرب في الدور الثاني للدولة السبئية ، الذي بدأ : ٦٣٠ ق . م ، وانتهى : ١١٥ ق . م ، وهو الدور الذي تغلّب فيه السبئيون على مَعين وورثوها ، ولقبوا بالقباب (ملوك) ، وأصبحت عاصمتهم مدينة مأرب ، التي تقع على بعد مئة كيلومتر إلى الشرق من صنعاء .

وقد بدئ ببناء سد مأرب في أواخر الدور الأول ، وبقي قائماً حتى أيام الدولة الحميرية التي قامت على أنقاض دولة سبأ منذ : ١١٥ ق . م ، وقد ظهر من الكتابات المنقوشة على السد ، أن أوائل بناته « سمعلي ينوف » ، ثم ابنه

(١) السدّ والسدّ : ما كان مسدوداً خلقه فهو سدّ ، وما كان من عمل الناس فهو سدّ ، (اللسان : سد) .

« يتعمر بين » ، ثم « كرب آل بين » ، ولم تزل الإضافات تترى عليه في عهد الملوك حتى اكتمل حوالي عام ٣٠٠ م في عهد الحميريين .

وشاهد الهمداني أنقاضه في القرن الرابع الهجري ، ووصفه في كتابه « الإكليل » وصفاً ينطبق على ما استنتجه المكتشفون الحديثون من أنقاضه .

بني سد مأرب في مضيق بين جبلين يسمّى كل منهما باسم « بلق » ، وفي واد يسمّى « وادي أذنه » ، الذي كانت تندفع فيه السيول نحو الشمال الشرقي ، ومكانه يبعد مسيرة ثلاث ساعات عن مأرب ، وقد زار أنقاضه كل من « أرنو وهاليفي وغلزر » ووصفوه بما يتفق مع رواية الهمداني .

ويظهر أنه بدأ يتصدّع فيما بعد ويُرَّم ، وآخر ما كان من ذلك عام : ٥٣٩ م في عهد الاحتلال الحبشي ، ثم قلت العناية به في أواخر هذا العهد فتهدّم وتفرّقت قبائل يمنية في الجزيرة العربية على إثر ذلك ، والأوس ، والخزرج ، عرب يثرب - المدينة المنورة - من مهاجري اليمن بعد انهيار السد ، والغساسنة وصلوا الشام بعد انهيار السد أيضاً ، فأين الأسطورة ؟!

السد حقيقة ، تثبت بقاياها اليوم ذلك وتثبت بقاياها وأطلاله أنه تهدّم في وقت من الأوقات قبل البعثة ، بسبب عدم ترميمه ، وبسبب فيضانات عنيفة جارفة صدّعته ..

فأين الأسطورة وقد انفجر السد فعلاً ؟!

☆ ☆ ☆

٣ - ويقول حتّي في الصفحة : ١٠٦ في معرض حديثه عن جبلة بن الأيّم :

« وبينما هو يطوف البيت الحرام ، إذ وطئ إزاره كما يحكي أعرابي من بني فزارة فحلّه ، فلطمه جبلة وهشم أنفه ، ورفع الأعرابي أمره إلى الخليفة ، فبعث

إليه عمر أن يرضي الأعرابي ، وإلاّ أقاده^(١) منه ، فلما دنا جنح الليل ، خرج هو وأصحابه فلم يثّن حتى دخل القسطنطينية .

وعبارة التريض هنا : كما يُحكى ، والحقيقة تقول في : فتوح البلدان ص ١٤٢ ، وابن خلدون ٢/٢٨١ ، وابن عبد ربه ١/١٤٠ - ١٤١ ..

قال أبو عمرو الشيباني ، لما أسلم جبلة بن الأيهم الغساني وكان من ملوك آل جفنة ، كتب إلى عمر يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له عمر ، فخرج إليه في خمسة من أهل بيته من عكّ وغسان ، حتى إذا كان على مرحلتين ، كتب إلى عمر يعلمه بقدومه ، فسّر عمر وأمر الناس باستقباله ، وبعث إليه بأنزال ، وأمر جبلة مئتي رجل من أصحابه فلبسوا السلاح والحرير ، وركبوا الخيول معقودة أذانها ، وألبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلة تاجه وفيه قرطاً ماريّة وهي جدته ، ودخل المدينة ، فلم يبق بها بكّر ولا عانس إلا خرجت تنظر إليه وإلى زيّه .

فلما انتهى إلى عمر رحّب به وألطفه وأدنى مجلسه ، ثم أراد عمر الحجّ ، فخرج معه جبلة ، فبينما هو يطوف بالبيت ، وكان مشهوراً بالموسم ، إذ وطئ إزاره رجل من بني فزارة ، فانحل ، فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزاري ، فاستعدى عليه عمر ، فبعث إلى جبلة فأتاه ، فقال : ما هذا ؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه تعمّد حل إزاري ، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف .

فقال له عمر : قد أقررت ، فيما أن ترضي الرجل ، وإما أن أقيده منك .

قال : وماذا تصنع بي ؟

قال : أمره بهشم أنفك كما فعلت .

(١) القود : القصاص ، (اللسان : قود) .

قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ، وهو سُوقَة^(١) وأنا ملك ؟ « أَوْعِيْنُهُ مِثْلَ عَيْنِي ؟ »^(٢) .

قال : إن الإسلام جمعك وإياه ، فلست تفضله بشيء إلا بالتقى والعافية .

قال جبلة : قد ظننت يا أمير المؤمنين أنني أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية .

قال عمر : دع عنك هذا ، فإنك إن لم تُرضِ الرجل أقدته منك .

قال : إذاً أتُنصّر !

قال : إن تنصّرت ضربت عنقك ، لأنك قد أسلمت ، فإن ارتددت قتلتك .

فلما رأى جبلة الصّدق من عمر ، قال : أنا ناظر في هذا ليلتي هذه .

وقد اجتمعت بباب عمر من حيّ هذا وحيّ هذا خلقٌ كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة ، فلما أمسوا ، أدب له عمر في الانصراف ، حتى إذا نام الناس وهدؤوا ، تحمل جبلة بخيله ورواحله إلى الشام ، فأصبحت مكّة وهي منهم بلاقع^(٣) ..

فلما انتهى إلى الشام تحمل في خمسمئة رجل من قومه حتى أتى القسطنطينية ، فدخل إلى هرقل فتنصّر هو وقومه ، فسّر هرقل بذلك جداً ، وظنّ أنّه فتح من الفتوح عظيم ، وأقطعه حيث شاء ، وأنزل عليه من النزل ما شاء ، وجعله من محدثيه وسنّاره .

وقد ساءت حتّى هذه الصّورة في المساواة المطلقة و « الديمقراطية » في أسمى

(١) السّوقَة : الرّعية التي تسوسها الملوك ، يقال للواحد سوقَة وللجاعة سوقَة ، (اللسان : سوق) .

(٢) فتوح البلدان : ١٤٢

(٣) مكان بَلَقَع : خالٍ ، والبَلَقَع والبَلَقعة : الأرض القفر التي لا شيء بها ، (اللسان : بلقع) .

صورها ، والتي نعمت بها أمتنا في الوقت الذي كان فيه الغرب في ظلماته ،
فمَرَّضها وأضعفها بعبارة : « كما يُحَكى » .



٤ - وبعد أن كرَّر حتَّى كلمة « أساطير » في الصفحتين : ١٢٣ ، ١٢٤ ، قال
في الصفحة ١٢٥ :

« ويمكن أن يعتبر النثر المسجَّع الذي ابتكره الكهان والعرفان خطوة أولى
في سبيل ابتداء الفن الشعري ، وفي القرآن نماذج لهذا الأسلوب » .

كأن لغة القرآن الكريم وأسلوبه استمرارية متطورة لنثر مسجَّع « ابتكره
الكهان والعرفان » ، ولم يذكر لنا حتَّى النماذج المذكورة في القرآن الكريم أو
بعضها على الأقل .

ولو كان الأمر كما يدَّعي حتَّى لاستجاب العرب للتحدي القائم : ﴿ فَلْيَأْتُوا
بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ ^(١) .

وعلماء اللغة ذووا الاختصاص ، يجزمون بأن القرآن الكريم خرج عن
أساليب العرب ، ولولا خروجه هذا ما أفحم العرب عندما رأوا نوعاً من الكلام
غير ما تؤديه طباعهم ، « فن ثَمَّ لم يقم للعرب قائمة بعد أن أعجزهم القرآن من
جهة الفصاحة التي هي أكبر أمرهم ، ومن جهة الكلام الذي هو سيد عملهم » ^(٢) .

ولما حاول بعض العرب معارضة القرآن الكريم كمسيلة الذي أخذ يقلِّده ،
فجاء بشيء لا يشبهه ، ولا يشبه كلام نفسه ، فأخطأ الفصاحة من كل جهاتها .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة بعد مصرع مسيلة :

(١) الطور : ٣٤

(٢) إعجاز القرآن للرافعي ، ط ٣ ، ص ٢١٨

اسمعونا شيئاً من قرآن مسيمة ، فقالوا : أوتعفينا يا خليفة رسول الله ؟ قال : لا بدّ من ذلك ، فقالوا : كما يقول : يا ضِفْدَع بنتُ ضِفْدَعين ، لحسن ماتنقنين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدّرين ، امكثي في الأرض حتى يأتيك الخفّاش بالخبر اليقين ، لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قریشاً قوم يعتدون^(١) .

وكان يقول : والمبذرات زرعاً ، والحاصدات حصّداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خُبْزاً ، والثارذات ثرداً ، واللاقّات لقماً ، إهالة وسمناً .

وكان يقول : الفيل وما أدراك ما الفيل ، له زلوم طويل .

فاسترجع أبو بكر رضي الله عنه ثم قال : ويحكم ، أيّ كلام هذا ؟ وما يذكر : أن عمرو بن العاص وفد إلى مسيمة ، فقال له مسيمة : ماذا أنزل على صاحبكم في هذا الحين ؟ فقال له عمرو : لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة ، فقال : وما هي ؟ قال عمرو : أنزل عليه : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ .. ﴾ السّورة ، ففكّر مسيمة ساعة ، ثم رفع رأسه فقال : ولقد أنزل عليّ مثلها ، فقال له عمرو : وما هي ؟ فقال مسيمة : ياوبر ياوبر ، إنما أنت إيراد وصدر ، وسائرُك حفر نقر . ثم قال : كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أنّي أعلم أنّك تكذب .

☆ ☆ ☆

٥ - ويقول حتّي في الصفحة ١٥٦ :

١ - « ولما بلغ محمد الثانية عشرة من عمره فيما يروى ، رافق عمّه أبا طالب في

(١) الكامل في التاريخ : ٢٤٤/٢ ، البداية والنهاية : ٣٢٦/٦ ، الطبري : ٢٨٤/٣ ، والاكتفاء : ١/١٦٧٢ .

رحلة إلى الشام ، زعموا أنه قابل في أثنائها راهباً مسيحياً يعرف بالراهب بحيرا .

٢ - « ومع أنه ليس بين أنبياء العالم من وُلِدَ في ضوء التاريخ إلا محمد ، فإن نشأته محاطة بالغموض ، فليس لدينا عن سعيه في طلب الرزق ، ومحاولاته لبلوغ آماله وإدراك الغرض الذي كان يرمي إليه ، وما قاساه من المشقة والألم في سبيل تحقيقه سوى قليل من الأخبار الموثوقة » .

٣ - « مهما يكن من أمر فإنه ليس لدينا غير المصادر العريضة لدرس حياة النبي ، وللبحث في تاريخ فجر الإسلام » .

في الفقرة الأولى دسيستان ، فعبارة « فيما يروى » تنقضها مراجعنا التالية : [الكامل في التاريخ : ٢٣/١ ، الطبري : ٢٧٨/٢ ، الرّوض الأنف : ٢٠٦/١ ، عيون الأثر : ٤٠/١ ، الوفا بأحوال المصطفى : ١٣١/١ ، طبقات ابن سعد : ١١٩/١ ، البداية والنهاية : ٢٨٦/٢] ، وعشرات المصادر العريضة تؤكد هذه الرحلة ، وهي كافية كما قدمنا في مطلع هذا الفصل .

والدسيسة الثانية في الفقرة الأولى : « زعموا » ، ونحن لن نقف عندها طويلاً ، فإن قابله محمد ﷺ وهو ابن الثانية عشرة ، أم لم يقابله ، فإن ذلك لم يؤثر في حياته ﷺ شيئاً .

وفي الفقرة الثانية دسيستان أيضاً ، الدسيسة الأولى : نشأته ﷺ محاطة بالغموض ، ونحن نتساءل أين الغموض ، وما درست حياة بدقة كما درست حياة محمد بن عبد الله ؟

أين الغموض ؟ في نسبه أم في مولده ؟
في وفاة أبيه ثم أمّه ، أم في ضم عبد المطلب إليه ؟
في رعيه الغنم بمكة ، أم في حضوره حرب الفجار ؟
في حضوره حلف الفضول ، أم في عمله بالتجارة لحديجة ؟

وفي زواجه من خديجة بنت خويلد ، وهي من أوسط قريش نسباً ،
وأعظمهم شرفاً ، أم في أمانته واستقامته في قومه ؟ في حضوره ﷺ عندما
هدمت قريش الكعبة وأعادت بناءها ، أم في خلوته بالله عز وجل في
حراء ؟ ...

الغموض في نشأته موجود حقاً ، موجود في فكر ودراسة حتي ، والمعلومات
غزيرة وفيرة في كتب السيرة ، وفي مصادرنا العربية الإسلامية ، وفي فكر المطلع
الدارس .

والدسيسة الثانية في الفقرة الثانية عبارة : « سوى قليل من الأخبار
الموثوقة » ، وهذه العبارة عبارة يقولها جاهل في علم « مصطلح التاريخ » كما
قدّمنا في مطلع هذا الفصل .

وفي الفقرة الثالثة : « ليس لدينا غير المصادر العربية لدرس حياة النبي
وللبحث في تاريخ فجر الإسلام » . ونقول : وهي مراجع كافية وافية ، موثوقة
محققة ، « وبالنسبة لدراسة السيرة الشريفة على وجه الخصوص ، لا بُدّ من الاعتماد
أولاً على القرآن الكريم ، وكتب الأحاديث المعتمدة ، وما رواه المسلمون من
الأخبار الصحيحة في المؤلفات الموثوقة ، مع تحييصها واختبارها ومقابلتها ، وإذا
ما استقيننا معلوماتنا على هذا الأساس عن هذه المصادر فسيبدو مضحكاً مانجده في
كتب المستشرقين الماكرين ومن تابعهم ، وأن ما يذكرونه صور لا يعرفها التاريخ
الإسلامي وينكرها ، وذلك نفسه أيضاً سيدعنا في حصانة ضد كل انحراف أو
إنتاج متهافت مغرض ... »^(١) .

مراجعنا العربية كافية ، فأية أمة في نهاية القرن السادس ومطلع القرن

(١) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي ، ص : ١١٢/١١١ ، د . عبد الرحمن علي الحجّتي ، دار
القلم .

السابع للميلاد ، كانت مهمة بما يجري في أرض الجزيرة العربية آنذاك ؟! الفرس أم الروم ؟! فعند مَنْ - غير العرب - نجد المصادر عن حياة محمد ﷺ وتاريخ فجر الإسلام .

☆ ☆ ☆

٦ - وفي الصفحة ١٦٢ يقول حتّي : « فعمل محمد بنصيحة سلمان الفارسي ، وكان هذا فيما يقال قد أشار عليه بحفر الخندق^(١) حول المدينة » .

في مصادرنا : [البداية والنهاية : ٩٥/٤ ، السيرة الحلبية : ٣٣٠/٢ ، السيرة النبوية لابن كثير : ١٣٥/٣ ، الطبري : ٥٦٦/٢ ، الروض الأنف : ٢٧٧/٣ ...] ، قال سلمان الفارسي : « يا رسول الله ، إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل ، وإذا حوصرنا ، خندقنا علينا » ، فإن ذلك كان من مكاييد الفُرس ، وأول من فعله من ملوك الفُرس (منوشهر بن أيرج بن أفريدون) ، كان في زمن موسى بن عمران عليه السلام .

أعجب المسلمون بالفكرة ، لاسيما وأنها فكرة مجرّبة ، تشلُّ حركة الخيل ، وهي قوّة فعالة رئيسة عند قريش ، وعند ذلك ركب رسول الله ﷺ فرساً له ومعه عدد من المهاجرين والأنصار ، فارتاد واستطلع موضعاً يصلح لحفر الخندق ، ويضمن موقعه الدفاع المحكم عن المدينة المنورة ، فاخترار ﷺ موضعاً مناسباً ، لقد جعل جبل سلْع خلف ظهره ، وخطَّ الخندق من أجْم الشيخين طرف بني حارثة حتى بلغ المذاد ، ثم قطعهُ لكل عشرة من الناس أربعون ذراعاً يعملون فيه .

هذا ملخّص مذكرته مصادرنا العربية الإسلامية ، فأى موجب للتمريض والارتياح « فيما يقال » ؟

(١) وفي اللسان : خندق كلمة فارسية الأصل ، وقد تكلمت به العرب .

أَمْ أَنْ حَتَّى لَمْ يَطَّلِعْ وَهُوَ فِي أَمْرِيكَ يُؤَلِّفُ كِتَابَهُ عَلَى مَصَادِرِنَا ، وَاطْلَعْ عَلَى نَتْفِ تَشْكِيكِ قَالَهَا الْمُسْتَشْرِقُونَ فِي كِتَابِهِمْ ، فَأَلَّفَ كِتَابَهُ « مَطْوَلًا » اعْتِدَادًا عَلَيْهَا ؟

وَكَمَا فِي الصَّفْحَةِ ١٦٣ : « فَدَخَلَ مُحَمَّدُ الْكَعْبَةَ وَأَمَرَ بِأَصْنَامِهَا فَحَطَّمَتْ ، وَطَهَّرَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ مِنْهَا ، وَكَانَ عَددهَا عَلَى مَاقِيلٍ يَبْلُغُ ثَلَاثُمِئَةً وَسِتِينَ » .

وَعِبَارَةٌ « عَلَى مَاقِيلٍ » ، عِبَارَةٌ تَمْرِيضُ وَارْتِيَابُ ، وَالْحَقِيقَةُ فِي مَصَادِرِنَا تَقُولُ : ثُمَّ حَطَّمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَصْنَامَ ، فَقَدْ كَانَ حَوْلَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَوْمَ الْفَتْحِ سِتُونَ وَثَلَاثُمِئَةً صَنْمًا ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِقَوْسٍ أَخَذَ بِسَيْتِهِ^(١) فِي يَدِهِ ، فِيَهْوِي الصَنْمَ حَتَّى مَرَّ عَلَيْهَا كُلِّهَا وَهُوَ يَقُولُ : « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلَ مَا يَعِيدُ »^(٢) .

☆ ☆ ☆

٧ - وَفِي الصَّفْحَةِ ١٦٥ : « وَكَانَتِ الْقِبَائِلُ وَالْأَنْحَاءُ الَّتِي لَمْ تَرْسَلْ مِمْلِيهَا قَبْلًا تَسْرِعُ الْآنَ فِي إِرْسَالِ وَفُودِهَا مِنْ أَقَاصِي عَمَّانَ وَحَضْرَمَوْتَ وَالْيَمَنِ ، وَبَيْنَهُمْ مِمْلُو طَبِئٍ وَهَمْدَانُ وَكَنْدَةُ ، عَلَى قَوْلِ الرِّوَايَاتِ » .

هَذِهِ الْوُفُودُ الَّتِي ارْتَابَ حَتَّى بِوُجُودِهَا : « عَلَى قَوْلِ الرِّوَايَاتِ » ، حَقِيقَةُ فِي كُتُبِ السِّيَرَةِ : [السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ كَثِيرٍ : ٧٦/٤ ، طَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ : ٢٩١/١ ، الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ : ١٩٥/٢ ، الطَّبْرِيُّ : ٢٣٩/٣ ، ابْنُ خُلْدُونٍ : ٥١/٢ ، الْاِكْتِفَاءُ : ١٦٣/١ ب ، ابْنُ هِشَامٍ : ١٨٩/٤ ، الرُّوْضُ الْأَنْفُ : ٢٤٨/٤ ..] ، فَلِمَاذَا ، وَلِصَلْحَةِ مَنْ ، هَذَا التَّمْرِيضُ وَالْإِرْتِيَابُ !؟

☆ ☆ ☆

(١) سَيْتَةُ الْقَوْسِ : طَرَفُ قَابِهَا ، وَقِيلَ : رَأْسُهَا ، وَقِيلَ : مَا عَوَجَّ مِنْ رَأْسِهَا ، مَا عَطِيفٌ مِنْ طَرَفِهَا ، وَلَهَا سَيْتَانِ ، (الْلِسَانُ : سِيَةٌ) .

(٢) السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ كَثِيرٍ : ٥٧١/٣ ، السِّيَرَةُ الْحَلَبِيَّةُ : ٩٩/٣ ، عِيُونُ الْأَثَرِ : ١٧١/٢ ..

٨ - وفي الصفحة ١٦٧ : « ويبدو الاختلاف بين العهد الجاهلي والعهد الإسلامي في كلمات نسبتها الرواة إلى جعفر بن أبي طالب قيل كَلَّم بها النجاشي يوم أحضر هذا المهاجرين ، وسألهم في دينهم » .

وعبارات التمرّيز والارتباب هنا : « كلمات نسبتها الرواة إلى جعفر » ، وفي : « قيل كَلَّم بها النجاشي » .

ومصادرنا تقول^(١) : دعا النجاشي المهاجرين المسلمين ، فتشاوروا قبل حضورهم في الأمر ، واتفقوا أن يقولوا ما علمهم إياه رسول الله ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن ، فلما جاؤوا وجدوا النجاشي قد نشر بأيدي أساقفته الصحف من حوله ، فقال : ما هذا الدين الذي قد فارقت فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل ؟

فتقدّم جعفر بن أبي طالب فقال : أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهليّة ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأفي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه^(٢) ، فدعانا إلى الله لنوحّد ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكفّ عن المحارم والذمام ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - وعدّد على النجاشي أمور الإسلام - ثم قال جعفر : فصدّقناه وأمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرم علينا ،

(١) ابن هشام : ٢٩٠/١ ، الكامل في التاريخ : ٥٥/٢ ، البداية والنهاية : ٧٠/٣

(٢) قومه يعرفون نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، وحتّى يقول : نشأته محاطة بالغموض !!؟

وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورجبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك .

هذا ما ذكرته مصادرنا الصحيحة ، فلماذا التضعيف والتبريض ؟ ولصالح من ؟

☆ ☆ ☆

٩ - وفي الصفحة ١٩١ و ١٩٢ : « أما الوفود التي قيل إنها قصدت النبي لتقديم الطاعة والإقرار بولايته .. » .

وكلمة التبريض هنا : « قيل » ، وهي مرفوضة ، لأن كل مصادرنا ذكرت أن سنة ٩ هـ ، هي « عام الوفود » التي جاءت تؤمن بالله الواحد ، وبنبوته ﷺ ، وهذه الوفود التي أمت المدينة المنورة يلمس المرء عند معظمهم صدق الإيمان ، وكانت المبايعة على : إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وزِيَال الشُّرك ، وألاً نشرك بالله إلهاً غيره .

وأخبار هذه الوفود في مصادرنا التالية : [السيرة النبوية لابن كثير : ٧٦/٤ ، طبقات ابن سعد : ٢٩١/١ ، الكامل في التاريخ : ١٩٥/٢ ، الطبري : ٢٣٩/٣ ، ابن خلدون : ٥١/٢ ، الاكتفاء : ١٦٣/١ ب ، ابن هشام : ١٨٩/٤ ، الروض الأنف : ٢٤٨/٤ ..] .

☆ ☆ ☆

١٠ - وفي الصفحة ١٩٢ يقول حُتّي عن سجاح : « وهي امرأة نصرانيّة فيما رَووا ، ادعت النبوة ، وتعاطت العرافة » .

ومصادرنا ترفض عبارة الترييض : « فيما رويوا » ، فهي تقول : سجاح بنت الحارث بن سويد بن عَقْفان التغلبية ، أم صادر ، من الجزيرة^(١) « وهي من نصارى العرب » ، ادَّعت النبوة ، ومعها جند من قومها ومن لحق بهم ، وقد عزموا على غزو أبي بكر الصديق ..

انظر : [البداية والنهاية : ٣٢٠/٦ ، الكامل في التاريخ : ٢٣٩/٢ ، الطبري : ٢٦٩/٣ ، ابن خلدون : ٧٢/٢ ، المسعودي : ٣١٠/٢ ، الروض الأنف : ٢٢٦/٤ ..] .



١١ - وقال حتّي في الصفحة ١٩١ : « ولعل مبايعة أبي بكر كانت نتيجة اتفاق بينه وبين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح ، الكتلة الثلاثية التي أدارت شؤون الإسلام وهو بعد في مهده » .

وكلمة الترييض هنا « لعل » ، وقول حتّي هذا قول سبقه إليه المستشرق الفرنسي القس هنري لامانس^(٢) H. Lammens ، ولو كانت هناك « مؤامرة ثلاثية » ، فكيف خفيت على جميع الناس المعاصرين لها ، فلم يذكر أحد شيئاً من ذلك ؟ وكان بين المؤمنين وحوّلهم من اليهود والمنافقين والمشرّكين وكثير من الأعداء الذين يتربصون الفرص ، ويختلقون التهم ، فكيف بهم أن يروا مثل هذا التآمر ولا يشيعونه أو ينقلونه أو يفضحونه ؟ ماسمعنا أحداً قط أشار أو قال

(١) الجزيرة الفراتية ، شمال موقع مدينة بغداد ، بين الدجلة والفرات .

(٢) لامانس [١٨٦٢ - ١٩٣٧ م] : بلجيكي المولد ، فرنسي الجنسية ، من علماء الرهبان اليسوعيين ، تلقى علم اللاهوت في إنجلترا ، استقر في بيروت فتولّى إدارة جريدة « البشير » مدّة ، ودرّس في الكلية اليسوعية ، وصنّف كتباً عن العرب والإسلام بالفرنسية وكتباً بالعربية ، ومات في بيروت ، (الأعلام : ١٠٧/٩) .

مثل هذا الكلام ، فكيف كتبت هذه الأخبار عن أولئك القوم ، وعُرفت لهؤلاء بعد مرور القرون الطويلة ؟

إنَّه التعصُّب والعداء ، والمهارة في الاتِّهام ، وشجاعة في الاختلاق والاجترار ، وإلَّا كيف اكتشف هؤلاء المستشرقون « المؤامرة الثلاثية » التي عجز أي إنسان عن اكتشافها فاکتشفتها عبقرية لاماتس ، وردَّدها حتَّى وأمثاله ؟! والمقصود هو الإسلام من خلال رجاله ، الرجال القدوة ، فهناك تسدد سهامهم^(١) .

☆ ☆ ☆

١٢ - وفي الصفحة ٢٠٥ يقول حتِّي : « وتجلَّت ميول السوريين فإذا هي في جانب الفاتحين ، وقد نسب إلى أهل حمص مخاطبتهم المسلمين بهذا الكلام : لَوَلَا يَتَكَّمْ وَعَدَلَكُم أَحَبَّ إِلَيْنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْغَشْمِ » .

وعبارة التمريض هنا هي : « وقد نُسِبَ » ، والبلاذري في فتوح البلدان ، صفحة ١٣٧ يقول : قدم ممثلو أهل حمص إلى أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح عندما قرر المسلمون الانسحاب إلى اليرموك جنوباً وهم يكون وقالوا : « يا معشر المسلمين ، أنتم أحب إلينا من الروم ، وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا ، وأرأف بنا ، وأكف عن ظلمنا ، وأحسن ولاية علينا ، ولكنهم - أي الروم - غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا » ، وأغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل .

فهل أزعجت هذه الصورة الحضاريَّة المشرقة حتِّي فمَرَّضَها وارتاب بها بقوله : « وقد نُسِبَ إلى أهل حمص .. » ؟

☆ ☆ ☆

(٢) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي ، ص ٤٠

١٣ - ويقول حتّي في الصفحة ٢٣٤ : « والواقع أن عمر رفعته التقاليد الإسلامية إلى أعلى مرتبة بعد النبيّ ، ورأى فيه الكتاب المسلمون عنوان الورع والعدل والبساطة في الشيوخ فسوّروه غودجاً للفضيلة التي يجدر بالخليفة أن يزدان بها حتى أصبحت سيرته مثلاً يَحْتَذِيهِ كل خليفة ذي ضمير حي ، وقد زعموا أنه لم يكن لعمر إلّا قميص خَلِقَ ، وإزار قطري مرقوع برقعة من أدم .. روي أن عمر جَلَد ابنه جلدأ على الشرب والخلاعة فمات تحت حَدّه ، ويروي أيضاً أن رجلاً لقي عمر فقال له : يا أمير المؤمنين ، انطلق معي فانصري على فلان فإنه قد ظلمني ، قيل : فرفع عمر الدرة (السّوط) فخقق بها رأسه وقال : تَدْعُون أمير المؤمنين وهو معرض لكم حتى إذا شغل في أمر من أمور المسلمين أتيتوه : أعدني ! أعدني ! فانصرف الرجل وهو يتذمّر ، ثم ندم عمر على ما فعل ، فدعا الرجل إليه وسأله أن يضربه كما ضربه هو ، فأبى الرجل وانصرف الخليفة حتى دخل منزله فصلّى ركعتين وقال يناجي نفسه : يا بن الخطاب كنت وضيعاً فرفعك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله ، وكنت ذليلاً فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس فجاءك رجل يستعديك فضربته ، مات قول لرَبِّك غداً إذا أتيته ؟ » .

وقال عن عمر : « لاقى حتفه في إبان سطوته وقوّته » ، وذلك في الصفحة ذاتها ٢٣٤ .

« التقاليد الإسلامية » رفعت عمر .

« الكتاب المسلمون » رأوا فيه عنوان الورع والعدل والبساطة .

وصواب ماسبق :

كل موضوعي منصف ، درس التاريخ دون تعصّب أو تحامل .. يرفع عمر رضي الله عنه إلى مراتب عليا ، وكل كاتب نزيه لا يعمل لجهة معادية ، غير

مأجور يريد الإنقاص من تاريخنا ، يرى فيه رضي الله عنه عنوان الورع والعدل والبساطة .

وعبارة التمرّض « وقد زعموا » ينقضها قول علي رضي الله عنه : رأيت لعمر بن الخطاب إزاراً فيه إحدى وعشرون رقعة من آدم (أي جلد) ورقعة من ثيابنا^(١) .

وخطب مرّة الناس وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة^(٢) .

وقال أنس : لقد رأيت في قميص عمر أربع رقاع بين كتفيه .

وقال أبو عثمان النهدي : رأيت عمر يرمي الحجرة وعليه إزار مرقوع بقطعة جراب .

وعن غيره أن قميص عمر كان فيه أربع عشرة رقعة إحداها من آدم^(٣) .

وقال حتّي : « روي » أن عمر جلد ابنه حدّاً على الشراب .. وفي هذا القول تمرّض وارتياح ، والحقيقة تقول : عن عمرو بن العاص قال - وقد ذكر عمر فترحمّ عليه - : ما رأيت أحداً بعد نبي الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه أخوف لله من عمر ، لا يبالي على من وقع الحق ، على ولد أو والد .

ثم قال : والله إني لفي منزلي في مصر ، إذ أتاني آت ، فقال : هذا عبد الرحمن بن عمر وأبو سُرّوعة ، يستأذنان عليك ، فقلت : يدخلان ، فدخلا وهما منكسران ، فقالا : أقم علينا حدّ الله ، فإننا قد أصبنا البارحة شراباً

(١) عيون الأخبار : ٢٩٧/١

(٢) تاريخ أبي الفداء : ١٧٤/١ ، والحلية : ٥٢/١ ، وابن الجوزي : ١١٩

(٣) تهذيب الأسماء واللغات : ٦/٢ ، وأسد الغابة : ٦٢/٤ ، وابن الجوزي : ١٢٠

فَسَكِّرْنَا ، فزبرتها^(١) وطردتها ، فقال عبد الرحمن : إن لم تفعله أخبرت أبي إذا قدمت عليه .

فعلت أبي إن لم أُقِمَّ عليها الحدُّ غضب عليَّ عمر وعزّلني ، فأخرجتها إلى صحن الدار فزبرتها الحدَّ ، ودخل عبد الرحمن بن عمر إلى ناحية في الدار فحلق رأسه ، وكانوا يخلقون مع الحدود ، ووالله ما كتبت لعمر بحرف مما كان حتى جاءني كتابه ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر إلى العاصي بن العاصي ، عجبت لك يا بن العاص وجرأتك عليَّ وخلافك عهدي ، فما أراني إلاّ عازلك ، تضرب عبد الرحمن في بيتك ، وتحلق رأسه في بيتك وقد عرفت أن هذا يخالفني ؟ إنما عبد الرحمن رجل من رعيّتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ، ولكن قلت : هو ولد أمير المؤمنين ، وقد عرفت أن لاهوادة لأحد من الناس عندي في حقّ يجب لله عليه ، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عبادة على قَتَب^(٢) حتى يعرف سوء ما صنع .

فبعثت به كما قال أبوه ، وكتبت إلى عمر كتاباً أعذّر فيه أبي ضربته في صحن داري ، وبالله الذي لا يحلف بأعظم منه إني لأقيم الحدود في صحن داري على الذمّي والمسلم .

وبعثت بالكتاب مع عبد الله بن عمر ، فقدم بعبد الرحمن على أبيه ، فدخل وعليه عباءة ولا يستطيع المشي من سوء مركبه ، فقال : يا عبد الرحمن فعلت وفعلت ؟ فكلّمه عبد الرحمن بن عوف ، وقال : يا أمير المؤمنين قد أُقيم عليه

(١) زَبَرَهُ يُزَبِّرُهُ عن الأمر زَبْرًا : نهاه وانتهره ، (اللسان : زبر) .

(٢) الْقِتَبُ وَالْقَتَبُ : إكاف البعير (اللسان : قتب) ، والإكاف والأكاف من المراكب : شبه الرّحال (اللسان : أكف) .

الحد ، فلم يلتفت إليه ، فجعل عبد الرحمن يصيح : إني مريض وأنت قتالي !
فضربه ثانية ، وحبسه ففرض ثم مات رحمه الله^(١) .

قال ابن الجوزي^(٢) : لما ضربه وأرسله لبث شهراً صحيحاً ، ثم أصابه قَدْرُهُ ،
فتحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر ، ولم يمِث من جلده ، ثم إنه لا ينبغي
أن يظن بعبد الرحمن بن عمر أنه شرب الخمر ، وإنما شرب النبيذ متأولاً يظن أن
الشرب منه لا يُسكر ، وكذلك أبو سُرُوعَة وهو من أهل بدر ، فلما خرج بهما الأمر
إلى السُّكر طلبا التطهير بالحد ، وقد كان يكفيهما مجرد الندم على التفريط ، غير
أنهما غضبا لله سبحانه وتعالى على أنفسهما المفرطة ، فأسلماها إلى إقامة الحد ، وأما
كون عمر ضربه مرة ثانية ، فليس ذلك حداً ، وإنما ضربه غضباً وتأديباً ، وإلا
فالحد لا يكرر .

وعبارات التريض الأخيرة في هذه الفقرة ، قول حُتَي : « ويروى » أيضاً
أن رجلاً لقي عمر ، « قيل » فرفع عمر الدرة ..

والحقيقة تقول : قال عاصم بن عبيد الله : نام عمر تحت شجرة في طريق
مكة ، فلما اشتدت عليه الشمس أخذ عليه ثوبه فقام ، فناداه رجل غير بعيد
منه : يا أمير المؤمنين ، هل لك في رجل قد رَبَدَت (أي حبست) حاجته وطال
انتظاره ؟ قال : من رَبَدَها ؟ قال : أنت . فجاراه القول حتى ضربه بِالْمِخْفَقَةِ
(أي الدرة) ، قال : عجلت عليّ قبل أن تنظرني ، فإن كنت مظلوماً رددت إليّ
حقّي ، وإن كنت ظالماً رددتني .

فأخذ عمر طرف ثوبه فأعطاه المِخْفَقَةَ وقال له : اقتص .

(١) الرياض النضرة : ٣٢/٢ ، ابن الجوزي : ٢٠٧

(٢) ابن الجوزي : ٢٠٩

قال : ماأنا بفاعل ، فقال : والله لتفعلنّ .

قال :. فإنّي أغفرها ، فأقبل عمر على الرجل فقال : أنصف من نفسي أصلح من أن ينتصف مني وأنا كاره^(١) .

أمّا جملة : « لاقى حتفه في إبان سطوته وقوّته » ، فجملة لاتليق بمقام عمر ، كتبها إنسان انسلخ عن تاريخه وأصالته ، فالحترف : الهلاك ، الموت ، قال ابن الأثير : هو أن يموت على فراشه كأنه سقط لأنفه فمات^(٢) .

ولو كتب هذه الجملة إنسان ملتزم بأصالته ، معتر بتاريخه ، ينتمي إلى أمّته .. لقال :

استشهد وهو في إبان قوته .

لقي وجه ربه في أوج عطائه .

مات - رضي الله عنه - وهو في قمة عظّمته .

فلا « حتفه » ، ولا « سطوته » تليقان أو تناسبان المقام . وما أظن أن أمريكياً يقولها بحق جورج واشنطن ، ولا فرنسياً بحق جان دارك ، ولا انكليزياً بحق اليزابيت .. ولا يقولها أيضاً بحق جورج واشنطن ، وجان دارك ، واليزابيت ، فيليب حتي ، وقالها بحق عمر !! ليتّه يقرأ اليوم إنصاف العالم والموضوعيّة العلميّة في كتاب « المئة الأوائل » ، لمايكل هارت ، ليجد اسم عمر بن الخطّاب بين أولئك الذين اختارهم هذا الأجني ليكونوا برأيه أوائل عظماء التاريخ !!

☆ ☆ ☆

(١) ابن الجوزي : ٩٨

(٢) اللسان : حترف .

١٤ - وفي الصفحة ٢٣٧ : « ويروى أن الخليفة الراشد الثاني (٦٣٤ - ٦٤٤) كان أول من دُعي بأمر المؤمنين باعتباره الأمير الأعلى لجيوش المسلمين ، ويقال : إن عمر أنشأ قبل وفاته مجلس انتخاب من ستة أعضاء » .

وكلمتا التمريض والارتياح والشك هنا : « يروى » ، و « يقال » ، والحقيقة التاريخية تقول :

كان يقال لأبي بكر خليفة رسول الله ، فلما استخلف عمر قيل لعمر خليفة خليفة رسول الله ، فقال المسلمون : فمن جاء بعد عمر قيل له خليفة خليفة خليفة رسول الله فيطول هذا ، ولكن اجتمعوا على اسم تدعون به الخليفة يدعى به من بعده الخلفاء^(١) .

فبعث إليه عاملُ العراق لبيد بن ربيعة العامري وعدي بن حاتم الطائي ، فلما قدما المدينة أناخا راحلتيهما بفناء المسجد ثم دخلا المسجد فإذا هما بعمرو بن العاص ، فقالا له : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فقال عمرو : أنتم والله أصبتم اسمك ، نحن المؤمنون وهو أميرنا . فوثب فدخل على عمر ، فقال : السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ، قال عمر : ما بدا لك في هذا الاسم ؟ قال : إن لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم قديما فأناخا وقالوا لي : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فهما والله أصابا اسمك ، أنت الأُمير ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب بذلك^(٢) .

أما « ويقال إن عمر أنشأ قبل وفاته مجلس انتخاب من ستة أعضاء » ، فالأمر حقيقة تاريخية في مصادرها ، ولا يضعفه أو يمرضه أو يشك به إلا ذو غرض ، فعندما أصيب رضي الله عنه وكان مستنداً إلى ابن عباس وعنده ابن عمر وسعيد بن زيد فقال : اعلّموا أيّ لم أقل في الكَلالة شيئاً ، ولم أستخلف بعدي أحداً ، وإنه من أدرك وفاقي من سبي العرب فهو حرٌّ من مال الله .

(١) ابن سعد : ٢٠١/١ ، ابن الجوزي : ٤٩

(٢) الاستيعاب : ٤٦٦/٢ ، ابن الجوزي : ٥٠

قال سعيد بن زيد : إِنَّكَ لو أَشَرْتَ بِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اثْتَمَنَكَ النَّاسُ .

فقال عمر : إني جاعل هذا الأمر إلى هؤلاء النفر الستة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ ، ثم قال : لو أدركني أحد رجُلَيْنِ ، فجعلت هذا الأمر إليه لو ثقْتُ به : سالم مولى أبي حذيفة^(١) ، وأبو عبيدة بن الجراح^(٢) ، فإن سألني ربِّي عن أبي عبيدة قلت : سمعت نبيَّك يقول إنه أمين هذه الأمة ، وإن سألني عن سالم قلت : سمعت نبيَّك يقول إن سالماً شديد الحب لله .

فقال المغيرة بن شعبة : أدُلُّكَ عليه ، عبد الله بن عمر .

قال عمر : قاتلك الله ! والله ما أردتَ الله بهذا ، لا أرب لنا في أموركم ، وما حَمَدْتُهَا فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي ، إن كان خيراً فقد أصبنا منه ، وإن كان شراً فبحسب آل عمر أن يحاسبَ منهم رجلٌ واحد ، ويُسألَ عن أمر أمة محمد ﷺ ، أما لقد جهدت نفسي ، وحرمت أهلي ، وإن نجوت كفافاً لا وِزَرَ ولا أجر إني لسعيد^(٣) .

وجعلها رضي الله عنه في ستة : عثمان ، وعليّ ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم ، وجعل

(١) وهو سالم بن عبيد بن ربيعة ، أبو عبد الله ، مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، أصله من إصطخر من أهل فارس ، وكان من فضلاء الصحابة وكبارهم ، معدود من المهاجرين لأنه لما أعتقته ثبيته الأنصارية زوج أبي حذيفة اتخذهُ أبو حذيفة ولياً له وتبناه ، وهو معدود في بني عبيد من الأنصار لعتق مولاته زوج أبي حذيفة له ، يُعَدُّ في القراء لقول رسول الله ﷺ : « خذوا القرآن من أربعة » فذكره منهم . شهد المشاهد كلها مع رسول الله ، واستشهد يوم اليمامة وهو يحمل اللواء ، (أسد الغابة : ٣٠٧/٢ ، ابن سعد : ٨٥/٣) .

(٢) لأنه توفي رضي الله عنه سنة ١٨ هـ في غور فلسطين الشمالي .

(٣) الطبري : ٣٤/٥ ، أنساب الأشراف : ١٧/٥ .

عبد الله بن عمر معهم مشيراً وليس منهم ، وأجلهم ثلاثاً ، وأمر صهيياً^(١) أن يصلي بالناس .

وأرسل عمر إلى أبي طلحة الأنصاري قبل أن يموت بساعة فقال : كن في خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء نفر أصحاب الشورى ، فإنهم فيما أحسب سيجمعون في بيت أحدهم ، فقم على الباب بأصحابك فلا تترك أحداً يدخل عليهم ، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم ، وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة فرضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم ، وأبى اثنان ، فاضرب رأسيهما ، فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم ، وثلاثة رجلاً ، فحكموا عبد الله بن عمر ، فأبى الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس ، ولا يحضر اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم ، اللهم أنت خليفتي فيهم .

فوافى أبو طلحة في أصحابه ساعة قُبر عمر فلزم أصحاب الشورى ، فلما جعلوا أمرهم إلى ابن عوف يختار لهم ، لزم أبو طلحة باب ابن عوف في أصحابه حتى بويع عثمان بن عفان رضي الله عنه^(٢) .

☆ ☆ ☆

(١) صهيبي بن سنان بن مالك ، هو الرومي لأن الروم سبوه صغيراً ، قال ابن سعد : وكان أبوه وعنه على الأبلّة من جهة كسرى ، فنشأ بالروم ، بيع بكنة فاشتراه عبد الله بن جدعان التميمي فأعتقه ، أسلم هو وعمار ورسول الله ﷺ في دار الأرقم ، شهد بدرًا والمشاهد بعدها . توفي سنة ثمان وثلاثين للهجرة ، وهو ابن سبعين ، (الإصابة في تمييز الصحابة : ١٩٥/٢) .

(٢) ابن سعد : ٢٤٩/١ ، الرياض النضرة : ١١٦/٢ ، ابن الجوزي : ١٨٩ ، الطبري : ٣٤/٥ و ٣٥ ، تاريخ أبي الفداء : ٢٧٤/١ ، أنساب الأشراف : ١٧/٥ .

١٥ - ومن عبارات التبريز والارتياب :

في الصفحة ٤٢٥ : « ويقال إن المعتصم الذي ينسب إليه الفضل في إنشاء معامل للصابون والزجاج في بغداد وسامراً قد نشط صناعة الورق أيضاً » .

وفي الصفحة ٤٢٧ قال : « يزعم المسعودي » .

وفي الصفحة ٤٩٩ قال : « وقد عزي إلى الوزير السلجوقي نظام الملك إنشاء مدارس دينية غير المدرسة النظامية في نيسابور وسواها من مدن الامبراطورية » ، وقال في الصفحة ذاتها : « وإذا صدقنا الأخبار المروية ، فإن قوة الحفظ بلغت في تلك الأيام درجة فائقة » .

وفي الصفحة ٥٦٢ : « يزعم الطبري » .

وفي الصفحة ٥٩٥ في معرض حديثه عن موسى بن نصير : « إن بعض مؤرخي العرب ينسبون إليه ذلك ، ويزعمون أنه كان يُقنّى نفسه باجتياز بلاد الفرنجة إلى المشرق عن طريق القسطنطينية إلى أن يصل إلى دار الخلافة في دمشق » .

وتاريخنا يقول : قال عثمان بن عفان : « إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر ، وأنتم إذا فتحتم الأندلس ، فأنتم شركاء لمن يفتح القسطنطينية في الأجر »^(١) ، وموسى بن نصير قال بعد فتح الأندلس : « لو أطاعني عسكري نفدتهم حتى أفتح رومية » ، أي القسطنطينية .

وختاماً لهذا الفصل ، الذي أوردنا فيه نماذج^(٢) من تمرّضات وارتيابات وشكوك حتّى ، نذكر ما أورده في الصفحة ٤٧٣ عن كتابة التاريخ : « وكانت

(١) النجوم الزاهرة : ٨٤/١ ، الكامل في التاريخ : ٤٧/٣ ، الطبري : ٢٥٣/٤ .

(٢) ما أوردناه في هذا الفصل نماذج ليس غير ، ففي الصفحات : ٢٥٧ : يزعمون ، ٢٦٧ : فيما زعموا ، ٢٧٥ : زعموا ، ٣٠٢ : نسب إلى عمر ، ٣١٠ : على قول الرواة ، زعم ابن خلكان ، ٣١١ : قيل ، ٣٢٥ : ويزعم ، ٣٧٤ : فيما يروى ... إلخ .

أول مادة في هذه المؤلفات قد تحدّدت عن طريق الأساطير التي تنوّلت شفاهاً في الجاهلية ، ومن القصص والأخبار الدينيّة التي حيكت حول النبيّ وسيرته .

وفي الصفحة ٤٧٤ : « وقد آن الأوان لظهور التأليف التاريخي الرسمي مبنياً على هذه الأساطير والتقاليد والأحاديث والسّير والأنساب والحكايات . »

وفي الصفحة ٤٨٢ : « ويشمل الحديث كذلك كثيراً من الحكم والنوادر والأمثال والكرامات أو العجائب المنسوبة إلى النبيّ ، وهذه الأمور مستقاة من مصادر مختلفة ، ومنها الإنجيل . »

وجرأة حتّي هنا وافترأؤه وكذبه غني عن التعليق !

كيف نعلّق على عبارات جعلت تاريخنا « أساطير » ، وهذا ما كرّره في الصفحات : ٢٦٥ : « جاء في الروايات والأساطير العربيّة » ، « إلا أن بطل هذه الصّائفة الحقيقي في الأساطير هو أبو أيوب الأنصاري » ، ٢٦٨ : « تراثاً من القصص والأساطير » ، ٢٧٩ : « الأساطير » ... وهنا جعل مادة كتابة تاريخنا التي قال عنها المنصفون إنها في منتهى التدقيق والتحيص والدراسة ، وإن مؤرخينا وضعوا أسس « مصطلح التاريخ » ، جعلها حتّي « أساطير » ، وجعل الحديث الشريف الذي هو المصدر الثاني في التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم ، مستقى من « أساطير » ، من مصادر مختلفة - لم يذكرها - وذكر منها الإنجيل !!

ما هذه الجرأة ، وما هذا الافتراء ؟

وهذا تاريخنا يكتبه لنا فيليب حتّي بعبارات التبريز والارتباب تسبق كل صورة مشرقة ، وختمه بالأساطير ، فتى كانت إذن فتوحاتنا الرحية ، وحضارتنا الرفيعة ؟!

ما سبق يفسر لنا بجلاء لماذا طبع المجلس الحربي الأمريكي موجز هذا الكتاب طبعه خاصّة للجيش ، عدد نسخها خمسون ألفاً !!

نُقَاطُ خَمْسٍ

« إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنْتَصِرِينَ لَا يَأْتُونَ كَمُخْرِبِينَ » .
قَالَهَا الْمَلِكُ الْفَارِسُ كَبْرُوسُ بِحَقِّ الْمُسْلِمِينَ .
[شَمْسُ الْعَرَبِ تَسْطِعُ عَلَى الْغَرْبِ : ٣٥٧] .

١ - لَوْ قَالَ حَتَّى فِي مُؤَلَّفِهِ : اسْتَوْلَى الْعَرَبُ عَلَى إِسْبَانِيَّةٍ ، وَاسْتَوْلَى الصَّلِيبِيُّونَ عَلَى أَنْطَاكِيَّةٍ ، فَلَا اعْتِرَاضَ لَنَا .

وَلَوْ قَالَ : اسْتِيلَاءُ الْعَرَبِ عَلَى مِصْرَ ، وَقَالَ : اسْتِيلَاءُ الْفَرَنْجَةِ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ ، فَلَا اعْتِرَاضَ لَنَا .

وَلَوْ قَالَ : تَمَّ اسْتِيلَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، وَقَالَ : اسْتِيلَاءُ النُّورْمَانِ دِينَ عَلَى صِقْلِيَّةٍ ، فَلَا اعْتِرَاضَ لَنَا .

أَمَّا وَإِنَّهُ قَدْ خَصَّ الْعَرَبَ الْمُسْلِمِينَ بِعِبَارَاتِ الْإِسْتِيلَاءِ وَالْإِغْتِصَابِ وَالْإِكْتِسَاحِ وَالْغَزْوِ وَالْقَهْرِ ، وَخَصَّ قَوْمَهُ الْأُورِيِّينَ بِالْفَتْحِ وَالتَّحْرِيرِ ، فَلَنَا كُلُّ مَعَانِي الْإِعْتِرَاضِ وَالرَّفْضِ ، وَلَنَا حَقُّ الْإِسْتِنْتَاكِجِ بِأَنَّهُ مُتَعَصِّبٌ حَاقِدٌ .

فِي الصَّفْحَةِ ٢١٥ فَصْلُ عُنْوَانِهِ : الْإِسْتِيلَاءُ عَلَى مِصْرَ وَطَرَابُلُسَ وَبَرْقَةَ .
الصَّفْحَةُ ٢٢٢ : « وَهَكَذَا تَمَّ اسْتِيلَاءُ الْمُسْلِمِينَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَّةِ عَلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ » .

الصَّفْحَةُ ٢٢٣ : « وَاسْتَوْلَى مُعَاوِيَةُ عَلَى قَبْرِصَ سَنَةَ ٦٤٩ » .
الصَّفْحَةُ ٢٦٢ : « كَادَتْ أَنْ تَصِلَ يَدُهُ - يَدُ مُعَاوِيَةَ - إِلَى الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى عَاصِمَةِ الْعَدُوِّ نَفْسَهَا » ، أَيِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ .

الصفحة ٢٧٠ : « الاستيلاء على إسبانية » .
الصفحة ٢٧٨ : « الاستيلاء على ساروس » .
الصفحة ٢٨٨ : « وتبريراً للاستيلاء عليها ادعى الاخباريون » .
الصفحة ٥٤٢ : « استولى الأغالبة أيضاً على مالطة وسردينية ، وذلك بواسطة قرصانهم » ، والقرصان كما هو معلوم : لص البحر^(١) !
الصفحة ٥٥٨ : « سبع عشرة حملة على الهند أدت إلى الاستيلاء على بلاد البنجاب وقصبتها لاهور وعلى ملتان وبعض أنحاء السند » .
الصفحة ٥٩٠ : « وتذهب الأخبار إلى أن الغزاة جازوا المضيق » ، أي جاز المسلمون مضيق جبل طارق إلى الأندلس .
الصفحة ٥٩١ : « وهكذا استطاع طارق وقد قصد الأندلس ربيع سنة ٧١١ على رأس حملة بسيطة للغزو أن يحتل في صيف السنة نفسها نصف إسبانية » .
الصفحة ٥٩٥ : « وكان الذي حدا بالحر - بن عبد الرحمن الغافقي - إلى هذه المغامرة أمل الاستيلاء على كنوز الأديرة والكنائس في غاليا - فرنسة - ، وفي سنة ٧٢٠ في عهد الخليفة عمر الثاني استطاع السّمح أن يستولي على سبتانيا » .
الصفحة ٥٩٨ : فتنة الأندلس [٧٣٤ - ٧٤٢] : « قد أخذ يندلع لهبها الآن في الأندلس نفسها بحيث كادت تقضي على هذه الحفنة من المستعمرين العرب » .
وكرر حتى كلمة « مستعمرون » بحق العرب المسلمين في الصفحتين : ٥٩٩ و ٦٠١ أيضاً .
الصفحة ٦٠٣ : « استيلاء عبد الرحمن على قرطبة » .
الصفحة ٦٢٠ : « وبذلك تمّ للعرب التسلّط » .
الصفحة ٦٢١ : مُصَوَّر « الاحتلال الإسلامي » للأندلس .

(١) القُرْصَان : لصُ البحر (معرّب) ، والجمع : قراصنة ، المعجم الوسيط : قَرَصَ .

الصفحة ٧١٤ : « ثم إن خيرات سرقوسة وغنائمها التي انتهبها العرب عند غزوهم المدينة » .

الصفحة ٨٣٦ : قال بحق خير الدين بربروسا وأخيه عروج : « قرصانان عثمانيان » .

الصفحة ٨٣٨ : عنوان : « دول القراصنة » .

الصفحة ٨٣٩ : الجزائر « المقر العام لقراصنة البحر » ، هذا الكلام بحق المجاهدين المسلمين !! ويذكرنا هذا القول بإطلاق « إسرائيل » اسم المخربين على الفدائيين الفلسطينيين العرب ! .

الصفحة ٨٧٠ : قال عن ساحل الإمارات العربيّة : « شاطئ القراصنة » .

هذا بعض ما قاله حتّي بحق العرب المسلمين : استيلاء ، غزو ، مستعمرون ، تسلّط ، انتهاب المدن ، قراصنة ..

أما بحق قومه الفرنجة ، فقد خصّهم بكلمة حضارية إنسانية ، هي « الفتح » :

قال في الصفحة ٥٧٥ : « ولما فتح الفرنجة بيت المقدس سنة ١٠٩٩ م » .

الصفحة ٧١٩ : « الفتح النورماندي » .

الصفحة ٧٥٨ : « تمّ للصليبيين فتح بيروت وصيدا في عام ١١١٠ م » .

الصفحة ٧٦٣ : « تحرير الرّها » ، قالها بحق قومه الصليبيين ، وقال عن نور الدين زنكي : « أتم احتلال كونتيّة الرّها »^(١) .

الصفحة ٨٤٦ : « فتّح الفرنسيين لمراكش » .

وقال في الصفحة ٧٦٤ : « استيلاء صلاح الدين على الين » ، وفي الصفحة ٧٦٥ قال عن صلاح الدين أيضاً : « اغتصب سورية » ، « اكتسح مصر » .

(١) لم يقل إمارة الرّها ، بل أعطاهها الاسم الفرنجي .

وفي الصفحة ٨٥١ يأسف حتّي لفشل حملة نابليون على أسوار عكا فيقول :
« إيقاف الحملة الافرنسية المنكودة الحظ في عكا » ، فلم لا يطبع الجيش الأمريكي
خمسین ألف نسخة من مختصر كتاب فيليب حتّي ؟!

☆ ☆ ☆

٢ - وتراه يرسخ الإقلیة ويركّز عليها :

« ولقد رافق بالغريف في هذه الرحلة فتى لبناني اسمه بركات » ، صفحة ٦ .
« العلاقات العربیة المصریة » ، صفحة ٤٠ ، وكأن مصر ليست عربیة ،
وهذا ما يدّعيه قومه حتى يومنا هذا ؟! .
« لقد رفع معاوية مؤسس الدولة الأمویة عرشه السوري على أكتاف
اليانیة » ، صفحة ٣٥١ .

« التوحيد بين العرب والسُوريين والبربر .. » ، لاحظ واو العطف
والمغايرة : « بين العرب والسُوريين ... » ؟! صفحة ٦٠٦
« السلطان السُوري » نور الدين زنكي ، صفحة ٧٨١ ، ومتى كان نور الدين
سورياً ؟

« عاد غازان بجملة أخرى فقهره المصريون عند مرج الصفر جنوبي دمشق ،
ولم يجرؤ أحد من خلفاء غازان على مقاتلة المصريين بعد ذلك » صفحة ٨٠٣
« المؤرخون اللبنانيون » ، صفحة ٨٧٤ .
« عبد الغني النابلسي الفلسطيني » ، صفحة ٨٧٥ .

« وقد برهن لبنان أنه يتقبّل هذه الثقافة المتنقلة إليه من الغرب ، وذلك
لأن حضارتيهما وإن اختلفتا في بعض النواحي الهامة الخاصة ، فلا تزالان تعتبران
فرعين من مجرى رئيسي واحد ، وكذلك فعلت البلاد العربیة الأخرى ، فحضارة
أوربة ، وحضارة الشرق الأدنى تشتركان في إرث واحد مشترك من التقاليد

اليهودية المسيحية واليونانية الرومانية » ، صفحة ٨٨١ . فللبنان كيانه ، وله حضارته ، ويشترك مع الغرب بتقاليد يهودية مسيحية ، ويونانية رومانية .. « وقد بدأت حركة القومية أول الأمر ، كحركة فكرية صرفة ، وكان دعايتها الأول بالأكثر المفكرون السوريون ، وبنوع أخص اللبنانيون المسيحيون ^(١) ، الذين تعلموا في جامعة بيروت الأميركية وعملوا في مصر » ، صفحة ٨٨٩ ، وحتى - وكثير من قومه - ممن حملوا الفكرة لساناً لا قلباً ، فتنكر لها بإساءته للعرب ، وكان قومه أول من تخلى عنها في لبنان !!

« القومية المصرية ، وأخذت تفترق عن القومية العربية وتصطبغ بصبغتها الإقليلية » ، صفحة ٨٨٩ ، وقال في الصفحة ذاتها : بلاد شرق الأردن : « كان لها نوع من القومية الخاصة بها » .

« القومية العراقية تجلّت منذ سنة ١٩٢٠ م ، وكانت رد فعل للاستعمار البريطاني » ، صفحة ٨٩٠ ، وقال : « دفعت الحرب العالمية الأولى الوطن العربي إلى سلوك طريق قوميات ، أو شبه قوميات خاصة » .

وهكذا .. ركّز ورسخ حتى الإقليلية في « تاريخ العرب - مطوّل » ، ورأى قوميات : مصرية ، أردنية ، عراقية .. وسلك الوطن العربي طريق القوميات بعد الحرب العالمية الأولى ؟ فلم لا يُطبع من مختصر كتابه خمسون ألف نسخة توزّع على الجيش الأمريكي ؟



(١) هكذا وردت الفقرة في الكتاب ص ٨٨٩ ، وصوابها اللغوي : [وقد بدأت حركة القومية أول الأمر كحركة فكرية صرفة ، وكان أكثر دعايتها الأول من المفكرين السوريين ، وبنوع أخص اللبنانيين المسيحيين ..] .

٣ - الجنس السامي :

قال حتّي في الصفحة ١ : « فإنها - أي الجزيرة العربيّة - قد أنشأت الشعوب التي نزحت فيما بعد إلى الهلال الخصيب ، هذه الشعوب التي أصبحت مع تعاقب الأجيال أمم البابليين والآشوريين والفينيقيين والعبرانيين ، وفي تربة هذه الجزيرة الرمليّة نشأت العناصر الأصليّة للديانة اليهوديّة » .

العبرانيون ليسوا من شعوب الجزيرة العربيّة التي نزحت إلى الهلال الخصيب ، وبالتالي لم تنشأ العناصر الأصليّة للديانة اليهوديّة فيها .

الصفحة ٨ : إن العرب من بين الشعبين الباقيين اللذين يمثلان الجنس السامي .

الصفحة ٩ : إن لفظ سامي مأخوذ من سام الوارد ذكره في التوراة (تك ١٠ ح ١) .

الصفحة ١٠ : الجزيرة مهد الجنس السامي .

الصفحة ١١ : وحوالي منتصف الألف الثالث ق . م حدثت هجرة ساميّة أخرى حملت الأموريين إلى الهلال الخصيب ، وكان بين العناصر التي تألفت منها هذه الموجة الجديدة الكنعانيون ، وقد حلّوا غربي الشام وفلسطين بعد ٢٥٠٠ ق . م ، والساحليون الذين سّماهم الأغارقة الفينيقيين .

الصفحة ١٤ : وإذا سلّمنا أن نجد الجزيرة أو يمنها هي الموطن الأصلي للشعوب الساميّة ، والمركز الذي توزّعت منه ، وقال في الصفحة ذاتها : الهلال الخصيب مربع الحضارة الساميّة .

الصفحة ٢٣ : شعوب الشمال الساميين وخصوصاً الآراميين .

الصفحة ٣٢ : الديانة الساميّة .

الصفحة ٣٣ : الجماعات الساميّة في بابل وآشور .

الصفحة ٣٨ : أما أهل الجنوب فلقد كانت لهم لغة سامية قديمة ، لغة سبأ وحمير .

الصفحة ٤٤ : نارام سين وهو سليل سرجون ، أول عظماء الساميين في التاريخ ، ومؤسس الدولة الأكديّة في وادي الفرات .

الصفحة ٥٥ : القريحة السامية القديمة .

الصفحة ٦٨ : الأبجديات السامية .

الصفحة ١٢٢ : العرب وهم ساميون أقحاح ، لم يبدعوا وينشئوا فناً عظيماً خاصاً بهم من الفنون المعروفة ، لكنهم عبّروا عما تكنه صدورهم من الغريزة الفنية بصورة واحدة : الكلام ، فإن فاخر الإغريقي بما عنده من تماثيل الفن ومنشآت هندسة البناء ، فالعربي يرى قصيدته أفضل ما يعبر عن خوالج نفسه الداخليّة .

الصفحة ١٩٦ : المسلمون آخر الهجرات السامية العظيمة .

الصفحة ٢٠٦ : سكان البلاد وهم ساميون ..

وكلمة : سامي ، وساميون تسمية توراتيّة مرفوضة ، وهي باعترافه مأخوذة من التوراة ، وهذه التسمية مرفوضة ، والصحيح قولنا : عرب قدماء .

☆ ☆ ☆

٤ - عبرانيون وتوراة :

كرّر اعتماده على التوراة في الصفحات : ٩ ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٨٨ ، ٨٩ .

وفي الصفحة ٩ : « استقر العبرانيون في فلسطين حوالي سنة ١٥٠٠

ق . م » .

وفي الصفحة ٢٣٢ : « المديّة - ولا يقول حتّي حضارة - العربيّة الإسلاميّة هي تكملة للمديّة السّاميّة العريقة التي زهت في الهلال الخصيب ، ابتدعها الآشوريّون والبابليّون والفينيقيّون والآراميّون والعبرانيّون ، ثم أتمّ عملهم العرب ، فهي مثال الذروة القصوى التي بلغتها مديّة البحر المتوسّط القائمة في غرب آسية » .

وفي الصفحة ٦٨٦ : الطبيب حسداي بن شبروط الإسرائيلي ..

التوراة كتاب ديني لا يقبله البحث العلمي الحديث كتاب تاريخ وآثار^(١) ، لأن الأخبار خطؤه ما بين ٥٨١ - ٥٣٩ ق . م ، وتابع كتابته اللاّحقون لهم ، والأسفار الأولى منها كانت متأخرة ١٣٠٠ عام عن إبراهيم ، و ٧٠٠ عام عن موسى ، ولكن اليهود استطاعوا أن يضيفوا على تاريخهم التوراتي قدسيّة مصير من لم يصدقها العقاب في الدنيا والآخرة .

فاعتماد حتّي على التوراة مرفوض .

أما اقحام « العبرانيين » بين الشعوب العربيّة القديمة فديسيّة مزدوجة ، لأن اقحامها ديسيّة ، واغفال الكنعانيين ديسيّة أخرى ، وهي ديسيّة توراتية ، فالكنعانيون العرب القدماء أصحاب أرض فلسطين تغفلهم التوراة لأسباب سياسية ، فجاء حتّي واعتمد التوراة « لموضوعيته ونزاهته » .

☆ ☆ ☆

٥ - نصّارى :

عنتره بن شداد العبسي : « يظهر أنه انتهى إلى النصرانيّة » ، صفحة : ١٣١

(١) انظر : دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة د . موريس بوكاي ، ط دار المعارف ، ص : ١٧ وما بعدها .

جالية حبشية لعلها نصرانية يدعى أفرادها الأحابيش^(١) ، صفحة ١٤٨
الآراء المسيحية الشائعة ، والتعابير النصرانية ، صفحة : ١٥٠
لم يكن التوحيد الذي تأثرت به بلاد العرب من النوع النصراني فقط ، بل
كانت هناك مستعمرات يهودية زاهرة في المدينة^(٢) ، وفي واحات كثيرة من أعمال
الحجاز الشمالي ، صفحة : ١٥١
النصرانية كانت قد علقت أصولها بنجران ، واليهودية بالين والحجاز ،
صفحة ١٥٢

ولو أن بعض المصادر جعلت ورقة نصرانياً^(٣) ، صفحة ١٥٢
أسرع يزيد إلى تجريد حملة تأديبية على الثائرين فيها - في المدينة المنورة -
وسارت الحملة إلى المدينة ، وكان من رجالها عدد كبير من نصارى الشام ،
صفحة : ٢٥٤
وكانت ميسون نصرانية على مذهب اليعاقبة كنانة زوجة عثمان ، صفحة :
٢٥٨

وجعل الحجاج يتأذوق النصراني طيبه الخاص ، صفحة ٢٨٦
وتأثره - ﷺ - بنفوذ زعامة بني غسان وبكر وتغلب وسواها من القبائل
النصرانية^(٤) ، صفحة ٣٠١
بناء الكعبة القائم أيام النبي كان بالأكثر صنع نجار نصراني قبضي ، صفحة ٣٢٦
جد محمد بن إسحق أحد الغلمان النصاري ، صفحة ٤٧٣

-
- (١) الأحابيش ليسوا من الحبشة كما سهر معنا في الصفحات التالية .
(٢) التوحيد في الإسلام غيره في المسيحية واليهودية ، في المسيحية تثليث ، وفي اليهودية « يهوه »
إله اليهود دون غيرهم ، وفي الإسلام : الله واحد لا شريك له ، رب العالمين ، لا إله إلا هو .
(٣) كما في كتاب « قيس وني » لأبي موسى الحريري ، حيث جعل ورقة نصرانياً يعلم النبي ﷺ
القرآن الكريم !!
(٤) ولكن حتي لم يشر كيف تأثر وجوانب تأثره .

كان والد أبي تمام خُماراً أو عطّاراً نصرانياً ، صفحة ٤٩٤

أهل الفن من النصارى ، صفحة ٥٠٨

مؤثرات نصرانيّة ، صفحة ٥٢٣

الأندلسيّون النصارى يسترجعون بلادهم من أيدي العرب ، صفحة ٦٠٦

وهنا أخذ النصارى المتحمّسون يتسابقون إلى الاستشهاد ، وقد عمد أفراد من الكهنة وسواهم إلى الطعن بالإسلام قصداً وتعمّداً لكي يُقتلوا فيُعتبروا شهداء ،

صفحة : ٦١٤

وتابع حتّي المستشرقين أيضاً في الصفحات : ٧٣٥ ، ٨٠٣ ، ٨٤٢ ، ٨٤٩ ،

٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠

وهكذا ، يلمس القارئ في كتاب حتّي عدم موضوعيته لتحيزه لقومه ، واطهارهم بدقة ، واعطائهم حجماً أكبر من حقيقتهم ، وتمييزهم وكأنهم محرّكو التاريخ ، معتمداً على كتاب « ابن العبري » : [تاريخ مختصر الدول] ، المعروف بتعصّبه وبعده عن البحث العلمي .



فيليب حتّي

وتاريخنا

☆ « ثم أخذ الغافقي بوردو عنوة ،
وأشعل النار في كنائسها .. وليس من
شك في أنّ الطّرف والكنوز النفيسة
التي عُرِفَت فيها كانت من العوامل
التي حرّكت الفاتحين لمهاجمتها »
فيليب خوري حتّي

نُتِبَ في هذا الفصل دسائس حتّي التاريخية ، وهفواته في التاريخ
السياسي ، وسيجد القارئ قفزات من عصر إلى عصر ، وفقرات الفصل مستقلة ،
كل فقرة على حده ، وسبب ذلك تتبّع الأخطاء حسب تسلسل أرقام الصفحات .

١ - « ولما قام إبراهيم باشا ، وهو أيضاً من أنجال والي مصر ، يعني محمد علي
باشا ، بإخضاع الوهابيين في نجد سنة ١٨١٩ ، كان في معيته ضابط من الجيش
البريطاني يُدعى سادلير بصفة مستشار خاص له » ، ص : ٥

وصوابه : الكابتن ج . فورستر سادلير ، لم يكن بمعيّة إبراهيم باشا ، ولم يكن
مستشاراً خاصّاً له ، لقد عُيِّن الكابتن سادلير من قبل حكومة بومباي الإنكليزية
عام ١٨١٩ في مهمة إلى معسكر إبراهيم باشا الذي كان في الجزيرة العربيّة ، هدفها
تهنئة إبراهيم باشا لانتصاراته في الدرعية والأحساء ، ولما كان سادلير لا يعرف
مركز إبراهيم باشا في الجزيرة بشكل دقيق ، اتّجه من بومباي إلى مسقط ، ومنها
إلى البحرين ، وعبر الجزيرة العربيّة من القطيف على الخليج العربي حتى ينبع
على البحر الأحمر .

ومذكرات سادليز تذكر أن رحلته هذه بدأت من الرابع عشر من نيسان (إبريل) عام ١٨١٩ ، ولم يقابل إبراهيم باشا إلا في الثامن من أيلول (سبتمبر) ، وكان الباشا في طريق عودته إلى مصر .

ومذكرات سادليز مطبوعة تحت عنوان : رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩ ، ترجمها الأستاذ أنس الرفاعي ، أشرف على طباعتها وحقّقها ونشرها الأستاذ سعود بن غانم الجمران المعجمي ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

☆ ☆ ☆

٢ - « ومكّة إذ ذاك مقام جالية حبشيّة لعلّها نصرانيّة ، يدعى أفرادها الأحابيش » ، ص : ١٤٨

وصوابه : الأحابيش : من انضم إلى قريش وليس منها ، وحُبُشيّ : جبل بأسفل مكّة به سُمّي أحابيش قريش ، ذلك أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمه اجتمعوا عنده فحالفوا قريشاً ، وتحالفوا بالله إنّا لَكِد على غيرنا ما سَجَا لَيْلٍ ووضح نهار ، وما أَرَسِي حُبُشيّ مكانه ، فسمّوا أحابيش قريش باسم الجبل ، (اللسان : ٦ / ٦٧٨) .

فالأحابيش ليسوا جالية حبشيّة ، ولا هم نصارى ^(١) .

☆ ☆ ☆

٣ - « انتهر الأنصار (وهو الاسم الذي عُرِف به إذ ذاك مسلمو المدينة) فرصة الأشهر الحرم ، وهم بحاجة إلى أن يعيلوا المهاجرين بين ظهرائهم ، فاعترضوا قافلة تجارية لقريش ، كانت عائدة من رحلتها إلى الشام في الصيف ،

(١) وأخطأ حتّي أيضاً في ص ١٦٢ عندما قال : « وأقبلت سنة ٦٢٧ فيإذا الأحزاب وهي تتألف من المكيين وأعوانهم من البدو ومرترقة الأحباش » .

وبهذا وجهوا ضربتهم إلى أعظم نقطة حيوية في حياة مكة العاصمة التجارية ،
وهددوا خط التجارة الساحلي بين مكة والشام ، « في رمضان من سنة ٦٢٤
وبفضل النبي وقيادته التي توحى الحماسة والشجاعة ، استطاع ثلاثمائة من المسلمين
أن يغلّبوا ألفاً من أهل مكة ، وغزوة بدر هذه ، وإن لم تكن بنفسها إلا وقعة
حربيّة بسيطة ، فإنها قد غدت مقدّمة لانتشار سلطان النبي الزمّني ، وبادرة
لوحة الجزيرة ، وهي أول انتصارات الإسلام الحاسمة » ، ص : ١٦٠ و ١٦١
وصوابه :

- انتهز « المسلمون » لا « الأنصار » ، كان الأنصار ٢٣٦ رجلاً ، وكان
المهاجرون ٧٧ رجلاً ، فمجموعهم ٣١٣ مسلماً .

وغزوة بدر الكبرى كانت في ١٧ رمضان المبارك ٢ هـ / ١٣ آذار (مارس)
٦٢٤ م ، وشهر رمضان ليس من الأشهر الحرم كما يقول حتّي ، الأشهر الحرم
هي : ذي القعدة ، ذي الحجة ، المحرم ورجب فقط .

- معركة بدر « وقعة حربيّة بسيطة » ، لن نعلّق على هذه العبارة ، وبدر
الكبرى « يوم الفرقان » : الانتصار الذي صنع مجد العرب وعزّتهم وتاريخهم بعد
الوثنيّة والضياع .

☆ ☆ ☆

٤ - « وأقبلت سنة ٦٢٧ فإذا الأحزاب وهي تتألف من المكيّين .. » ، ص ١٦٢

وصوابه : كان المكيّون أربعة آلاف فقط ، وهم قريش ، بقيادة أبي سفيان
ابن حرب . وكان معهم من غير المكيين ستة آلاف من القبائل ، مثل :

- قبيلة غطفان بقيادة عيّنّة بن حصن الفزاري ، وهم ألف .

- وقاد بني مرّة وهم أربع مئة الحارث بن عوف بن حارثة المزي .

- وقاد بني أشجع أبو مسعود بن رُحَيْلَة .

- وقاد بني سليم - وهم سبعمئة - سفيان بن عبد شمس .

- وقاد بني أسد طليحة بن خويلد الأسدي .

وكانت أشجع وبنو أسد تمة العشرة آلاف .

☆ ☆ ☆

٥- « صلح الحديبية الذي وضع المسلمين على قدم المساواة مع المكيين .. » ،

ص ١٦٣

وصوابه : لم يضع صلح الحديبية ٦ هجرية المسلمين على قدم المساواة مع المشركين القرشيين ، لأن ظاهر بنوده جاءت لصالح قريش ، ولكنه اعترف رسمي مَوْقِع من قريش ، بأن رسول الله ﷺ ومن معه ، قوة مستقلة متميزة ، وصنو قريش زعيمة القبائل ، وهذا يعني أيضاً - أمام كل قوى جزيرة العرب - أن قريشاً قد اعترفت رسمياً بمن كانت تريد استئصاله ، مما جعل القبائل العربية تعيد حساباتها .

قال محمد بن سعد الزهري في صلح الحديبية : « فما فُتِحَ في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب ، وأمنَ الناس بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يَكَلِّمْ أَحَدٌ بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل تينك السنتين مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر^(١) » .

☆ ☆ ☆

(١) الاكتفاء ١/ ١٢٩ ب ، ابن هشام ٣/ ٢٠٦ ، البداية والنهاية ٤/ ١٧٠ ، الطبري ٣/ ٧٩ ..

٦ - « لم تكن حروب الردّة في الواقع حروباً يقصد بها إخماد ثورة قام بها المرتدّون ، وكبح جماح الثائرين على الإسلام ، ممن اتخذوا ديناً - كما توهم مؤرخو العرب - بل هي في الحقيقة حملات قصد بها إخضاع أعداء ما عرفوا بالإسلام ، ولا قبلوا رسالته وحملهم على الانضمام إليه » ، ص ١٩٢ و ١٩٣

وصوابه : « الارتداد » خروج عن طاعة الدولة الإسلاميّة في المدينة ، وهي على نوعين :

- اتباع المتنبيّين ، إما عصبيّة ، كما قال طلحة النبري لمسيمة : أشهد أنك كذاب ، وأن محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر . وإما لأن الوفود التي جاءت في العام التاسع للهجرة بعد فتح مكة ، لا نلمس في إسلام بعضها ، تلك الحماسة الدافقة التي كنا نجدها لدى السّابقيين إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار ، ولكن ظهر من بينهم من زاد في صفوف المسلمين الصادقين الخُلصّ قوة وتضحية ، مدفوعين بإيمان صادق بنبوّة محمد بن عبد الله ﷺ ، ومستعدين بحق وصدق لبذل نفوسهم في سبيل بقاء الإسلام وإعلاء شأنه بين إخوانهم في قبائلهم ، فعظم القبائل التي ظهرت الردّة بين صفوفها ، كانت بعيدة عن فهم الإسلام ، وتربية رسول الله وصحبته ، فكان ضعف إيمانها من أسباب ردّها .

- وامتناع عن دفع الزكاة ، وسببه ظنهم أنها كانت تدفع للنبي ﷺ ، فكيف تدفع اليوم لقريش ؟ وهنا تجلّت بصيرة أبي بكر رضي الله عنه في فهم ركن الزكاة ، فلا مساومة على ركن من أركان الدين ، لأن الزكاة مادّة القضاء على البؤس والفقر والجوع والمرض والعوز ، وهي مظهر من مظاهر ارتباط المواطن بالدولة وخضوعه لها ، والامتناع عن دفعها مظهر للتمرد على الحكومة .

وحسب فهم حتّى : مؤرخو العرب واهمون ، وما عرف الحقيقة غيره ،

فحروب الرّدة عنده : « حملات قُصِدَ بها اخضاع أعداء ما عرفوا الإسلام ، ولا قبلوا رسالته .. » ، وتناسى ذكر العصبية القبلية ، وهي السبب الأوّل لحركة الرّدة ، إلى جانب ضعف الإيمان .

☆ ☆ ☆

٧ - « طليحة الكذاب » ، ص : ١٩٢

وصوابه : مسيلة الكذاب ، وكان في اليامة .

أما طليحة فهو : طليحة بن خويلد الأسدي ، وكان في بُزَاخة ، وهو أيضاً من المرتدين .

☆ ☆ ☆

٨ - « ولقد يَسَّرَ الفتح للعرب أسباب منها أن فارس وبيزنطة كانتا قد وهنتا بسبب الحرب فيها أجيالاً طويلاً ، فاضطرتها هذه الحرب إلى إرهاب رعاياها بضرائب قاسية أدّت إلى نفورهم » ، ص : ١٩٤ .

يَسَّرَ الفتح للعرب المسلمين وَهَنَ الدولتين الأعظم : فارس وبيزنطة « بسبب الحرب فيها أجيالاً طويلاً .. وإرهاب رعاياها بضرائب قاسية » .

يناقض أحكاماً حتّى السابقة قوله في الصفحة ٢٠٠ : « ثم أسرع هرقل الذي كان قد تمرّس على الحروب ، وقاتل الفرس في الشام ومصر ست سنوات ، حتى أجلاهم عنها عائداً من الرّها (أدِسّا) موطن أجداده ، لتنظيم خطة الدفاع ، وتجهيز جيش وافر العدد والعدّة ، يعقد إمارته لأخيه ثيودورس » .

ويناقض أحكاماً حتّى السابقة أيضاً ، قوله في الصفحة ٢١٣ : « والسُرّي في مقاومة الفرس راجع إلى أن الفرس ينتمون إلى الجنس الآري لا الجنس السامي (؟!) ، ولقد كانت له عهود متطاولة من الاستقلال والوحدة القوميّة ،

دع عنك ما تسلّحوا به من جيش منظم ، وما حازوه من دُرْبَةٍ على الحرب ،
وخبرة بأفانينها ، ولقد سبق لهم أن صارعوا الروم صراعاً عنيفاً استغرق أكثر من
أربع مئة سنة .

فأين الوهن ، وقد تمّرس الروم على الحرب ؟
وأين الوهن ، وقد تسلّح الفرس بجيش منظم ، وحازوا دربة في الحرب ،
وخبرة بأفانينها ؟

كيف نضع الرأي وما ينقضه ، وثبت الحكم وما يدحضه ؟
ومع ذلك ، نقول لحّتي ولمن برأيه^(١) :

١ - انتصر المسلمون في الجزيرة العربية وهم قلة ، على إخوانهم وأبناء عموماتهم
وهم كثرة .. المسلمون في بدر ٣١٣ مجاهداً ما جاؤوا لقتال ، وقريش مع إمكاناتها
ألف مقاتل ، فمن انتصر ؟

ولن كان النصر في حروب المسلمين ضد المتنبئين والمرتدين أيام الصّديق
رضي الله عنه ، وقد كان المتنبئون والمرتدون كثرة ساحقة ، والمسلمون قلة ؟

فضمن الجزيرة العربية ، البُنية الجسدِيّة واحدة ، والظروف واحدة ، فمن
انتصر ؟ أم هل وهن من العرب من بقي على وثنيته ، وانمحق الوهن ممّن أسلم ؟

٢ - في اليرموك ... حيث تداعت أركان دولة الروم في بلاد الشام ، إن كان
جيش الروم ضعيف واهن ، ألا يكفيهم أن مئة ألف عربي متنصّر كانوا معهم في
المعركة ؟ هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، فإن انتصار ٣٦ ألف عربي مسلم
على ربع مليون رومي وعربي متنصّر يُعَدُّ في ذاته معجزة ، فالانتصار لم يكن
لجيش على جيش يكافئه في العدَدِ والعدَدِ ، إنما النصر تمّ لجيش كان فيه الواحد
يقابل سبعة من أعدائه !!

(١) انظر: آراء يهدمها الإسلام ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، ص ٦٣ .

٣ - ترتيبات الفرس والروم عريقة وامداداتهم وعتادهم عظيمان ، وهما يحاربان في أراضيها وضمن ديارهما ، بينما يحارب المسلمون في أصقاع بعيدة عن عاصمتهم ، وامداداتهم تمرات معدودات ، وعتادهم سيف أو رمح ليس غير .

ومن يدرس اليرموك ، أو القادسيّة ، أو نهاوند .. يجد خطّة عسكرية مدروسة روميّة أو فارسيّة .. مع قادة لهم خبرة سابقة ، وتجربة عريقة .

بينما كان أكثر القادة المسلمين من غير تجربة سابقة ، ينتقيهم عمر رضي الله عنه بحاسّة غريبة ، فيعهد إلى رجل مغموّر بجيش سيخوض معركة حاسمة ، وتصح فراسة عمر ، فيكسب هذا القائد النصر بأقل خسائر ، وأكبر مثال على ذلك ، سعد بن أبي وقاص قائد القادسيّة ، والنعمان بن مقرن المزني قائد نهاوند .

٤ - لم يحارب المسلمون الروم ثم الفرس .. بل فتحوا جبهتين في آن واحد ، حاربوا في اليرموك والقادسية ، ثم في نهاوند ومصر في آن واحد ، في ما وراء النهر والسند وإسبانية وفرنسة في آن واحد .

لقد حاربوا دولتين كل واحدة منها أغنى منهم بالرجال والمال والخبرة السابقة ، وهنا تكمن عظمة الفتوحات الإسلاميّة وروعها وتفردّها ، حيث تتجلّى قوة الإيمان ، فلم يخض المسلمون معركة واحدة كان عددهم وعتادهم فيها أكثر من عدوهم ، والعكس صحيح .

٥ - ونقول : إن الروم والفرس قد اكتسبوا فنوناً عديدة ، وخبرة كبيرة ، ومراساً طويلاً عبر حروبها ، فعندما خرج المسلمون فاتحين من جزييرتهم ، كان الروم يستصغرون شأنهم ، وكان الفرس يحتقرون قدراتهم .

٦ - النصر العسكري ، ليس له قيمة تذكر أمام انتصار العقيدة ، لقد استمرت حروب الفرس والروم فيما بينهما أربعمئة سنة ، دون حسم ، لأن حروبها لأطباع

ودنيا ، لا لعقيدة ، ولما جاءت عقيدة الإسلام فلّت كلّ سلاح ، وتهافت أمامها جيوش الفرس والروم .

لقد تبع النصر العسكريّ ، نصرٌ في مجال العقيدة ، واعتناق أبناء الفرس وأبناء الروم الذين حرّروا المسلمون أرضهم من حكمائها ، عقيدة الفاتحين باختيار ودون إكراه ، وهنا تكن عظمة الفاتحين المسلمين ، إنهم نقلوا الفرس والروم إلى الإسلام ، فكان النصر الحقيقي ، انتصار العقيدة ، لا انتصار قوة الجسد وعضلاته .

٧ - حارب المسلمون البربر وهم أبناء شدّة ، وبيّنة قاسية ، وانتصروا عليهم عسكرياً ، ونقلوهم إلى الإسلام ، فقاموا معهم ليلغوا العالم الرسالة الإسلاميّة ، كما حارب المسلمون الترك في أواسط آسية ، وتمّ النصر للمسلمين عليهم ، وهم أبناء صحراء ، وأبناء بيّنة قاسية صقلتهم ، وجعلت منهم مقاتلين أشداء .

وهكذا .. فتاريخ الإسلام تاريخ متبيّز ، تاريخ لا يماثله تاريخ ، مهما تكلم بحقه حاقدون يريدون غمطه ، أو تنقيصه ، إنه تاريخ متبيّز بأحداثه وفتوحاته وعقيدته ، لا يماثله في ذلك تاريخ آخر .



٩ - « كلا ! لم تكن هذه الحملات نتيجة خطة رسمها أولياء الأمر من قبل ، بل بدأت الحملات كغزوات يقصد بها الوصول إلى منافذ جديدة لروح القبائل الثائرة ، بعد أن حيل بينها وبين الحرب والخصومات ضمن ذلك النطاق الأخوي الذي حدّده الإسلام ، وكان الغرض منها في أكثر الأحوال الغنية لا الاحتلال أو الاستعمار ، إلا أن هذه الأداة الحربيّة التي توسّل بها الإسلام في بدء أمره ، لم تلبث أن عظم شأنها ، فأفلتت من يد الذين استخدموها ، وتواترت الانتصارات ، فإذا المحاربون يزدادون دربة وتوغلاً ، وهنا بدأت الفتوحات المنظّمة ، ولم يبق بد من

نشوء الامبراطورية العربية ، فالفكرة الأولى في خلق هذه الامبراطورية لم ترجع إلى سابق عزم أو تدبير ، بل إلى مجرى الحوادث وسير الأمور » ، ص : ١٩٧ .

وصواب ما سبق :

١ - بل كانت الحملات نتيجة خطة رسمها أولياء الأمر من قبل ، من أيام رسول الله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين : قال ﷺ : « إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر ، فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإن لهم فيكم صهراً وذمة »^(١) . أثناء حفر الخندق قبيل غزوة الأحزاب ، أخبر النبي ﷺ صحابته بفتح الحيرة ، وقصور كسرى ، وفتح القصور المحر في الشام^(٢) ، « أبشروا بعون الله ونصره ، إني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق ، وأخذ المفتاح ، وليهلكن كسرى وقيصر ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، والذي نفسي بيده لتُنْفَقَنَّ كنوزهما في سبيل الله » ، حتى إنه ﷺ تنبأ بفتح القسطنطينية « ولنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش جيشها » ، وقال : « يدفن رجل صالح تحت سور القسطنطينية » ، فكان ذلك الرجل الصالح : « أبو أيوب الأنصاري » .

وفي حروب الردة ، يلمس المؤرخ دون عناء ، إحكام التعاون بين الجيوش التي سيرها الصديق ، وعددها أحد عشر جيشاً ، فعلى الرغم من تباعد المكان ، واتساع الشقة ، عملت كجهاز واحد ، قد تلتقي ، أو يلتقي بعضها ببعض لتفترق ، ثم تفترق لتلتقي ، وهي كلها يامرة أبي بكر رضي الله عنه ، الذي اتخذ المدينة المنورة « غرفة عمليات » يدير منها حركة الجيوش ضد المرتدين ، فتمكّن بقلّة من حيث العدد إذا قورنت بمجموع المرتدين أن يحقق أروع الانتصارات ، فتجلّت جدارة الصديق وشخصيته العسكرية ، ومقدرته الاستراتيجية .

(١) الطبري : ٢٢٨/٤ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير : ٢١٠/٣ ، الطبري : ٥٦٩/٢ .

وبعد انتهاء « الرّدة » وجّه أبو بكر خالد بن الوليد ومن معه إلى العراق ، ثم أمره أن يتوجّه رفداً إلى اليرموك .

وأيام عمر رضي الله عنه وجّه القعقاع بن عمرو إلى القادسية بعد اليرموك ، وتخيّر النعمان بن مقرّن المزني لمعركة نهاوند وفتح فارس وخراسان ..

فهل كل هذا - وغيره كثير جداً - لم يكن خطة رسمها أولياء الأمر من قبل ؟ ولم ترجع إلى سابق عزم أو تدبير ، بل إلى مجرى الحوادث وسير الأمور ؟ .

٢ - « وكان الغرض منها في أكثر الأحوال الغنية لا الاحتلال والاستعمار » .

وقال حتّي أيضاً بحق فتوحاتنا العربيّة الإسلاميّة : « فليست الأثرة الدينيّة والتعصّب ما حدا بالعرب إلى تدويخ الدول وفتح الأمصار ، إنما هي الحاجة الماديّة التي دفعت بعاشر البدو ، وأكثر جيوش الفتح منهم ، إلى ما وراء تخوم البادية القفراء ، إلى مواطن الخصب في بلدان الشمال ، ولئن كانت الآخرة أو شوق البعض إلى بلوغ جنّة النعيم قد حبّب لهم حومة الوغى ، فإن ابتغاء الكثيرين حياة الهناء والبذخ في أحضان المدنية التي ازدهر بها الهلال الخصيب ، كان الدافع الذي حبّب لهم القتال » ، ثم ذكر قول رستم إلى المغيرة بن شعبه : « قد علمت أنه لم يحملكم على ما أنتم فيه إلاّ ضيق المعاش ، وشدة الجهد ، ونحن نعطيكم ما تشبعون به ، ونصرفكم ببعض ما تحبّون » ، ص : ١٩٥ و ١٩٦ .

وقال : وفي حماسة أبي تمام بيت فيه هذا الرأي :

فما جنّة الفردوس هاجرت تبتغي ولكن دعاك الخبز أحسب والتمر

وقال في الصفحة ٢١٤ : « إن هذا التوسّع العربي المنقطع النظير ، والذي كان في الظاهر دينياً ، وفي الواقع هو سياسي واقتصادي ، وقد بلغ من النمو بحيث أصبح امبراطورية مترامية الأطراف كإمبراطورية الاسكندر » .

وينقض أقوال حتّي السابقة ، قوله في الصفحة ٢٢٥ : « وبُعث المسلمون جنوباً إلى

بلاد النوبة ليطأوها^(١) ، وهي تحاكي جزيرة العرب في مراعيها ، بل هي أكثر ملائمة^(٢) من وادي النيل لطبيعة الحياة البدوية » ، فأين مواطن الخصب التي ادعى ؟ !

ومع ذلك نقول :

- أرسل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء رسائل يدعوهم فيها إلى الإسلام على أن يبقى لهم ملكهم وما بين أيديهم ، فأين الطمع الاقتصادي ؟

- وكان المسلمون يختارون قبيل كل معركة بين ثلاث : الإسلام ، وبهذه الحالة « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » أو الجزية مقابل حمايتهم ، وهي مبلغ بسيط على كل ذكّر قادر على حمل السلاح مقابل اعفائه من الخدمة العسكرية ، ويعفى منها الطفل والمرأة والشيخ ومن لا معاش له .

دفع أهل الحيرة الجزية ، فجاء في نص المعاهدة : « فإن منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا » .

- لم يكن المسلمون الذين خرجوا إلى الفتوحات أكثر من مئة ألف ، فكان يكفيهم سواد العراق وحده ، أو فلسطين وحدها ، أو الشام وحدها ، أو دلتا مصر وحدها ، ويصبحون أهل رغد وثروة ، فيكثون لينعموا بما فتحوا ، لكنهم انطلقوا لتبليغ الرسالة من الصين إلى فرنسة .

- حفر ثابت بن قيس يوم اليمامة لقدميه في الأرض إلى أنصاف ساقيه ، وهو حامل لواء الأنصار ، بعدما تحنّط وتكفّن ، فلم يزل ثابتاً حتى استشهد رضي الله عنه .

وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة : أتخشى أن نؤتى من قبلك ؟ فقال : بئس حامل القرآن أنا إذا .

(١) هكذا وردت ، والأصوب : ليطأوها .

(٢) هكذا وردت ، وصوابها : ملائمة .

وقال زيد بن الخطاب يوم اليمامة أيضاً : أيها الناس ، عضواً على أضراسكم ، واضربوا في عدوكم ، وامضوا قُدماً ، وقال : والله لا أتكلّم حتى يهزمهم الله ، أو ألقى الله فأكلّمه بحجتي ، فقتل شهيداً رضي الله عنه .

وأبو عقيل ، عبد الرحمن بن عبد الله البلوي الأنصاري الأوسي ، كان من أوّل من جرح يوم اليمامة ، رُمِيَ بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده ، فجرح في غير مقتل ، فأخرج السهم ، ووهن شِقُّه الأيسر ، فأخذ إلى معسكر المسلمين ، فلما حمى القتال ، وتراجع المسلمون إلى رحالهم ومعسكرهم ، وأبو عقيل واهن من جرحه ، سمع معن بن عدي يصيح : يا للأنصار ، الله الله والكرّة على عدوكم ، وتقدّم معن القوم ، ونهض أبو عقيل يريد قومه ، فقال له بعض المسلمين : يا أبا عقيل ، ما فيك قتال ، قال : قد نوّه المنادي باسمي ، فقيل له : إنما يقول يا للأنصار لا يعني الجرحى ، فقال أبو عقيل : فأنا من الأنصار ، وأنا أجيب ولو حَبُوا ، فتحزّم أبو عقيل ، وأخذ السيّف بيده اليمنى مجرداً ، ثم جعل ينادي : يا للأنصار ، كرّة كيوم حُنَيْن ، فاجتمعوا جميعاً ، وتقدموا بروح معنويّة عالية يطلبون الشهادة أو النصر ، حتى أقحموا عدوهم الحديقة ، وفي هذا الهجوم قُطِعَت يد أبي عقيل من المنكب ، ووُجِدَ به أربعة عشر جُرحاً كلها قد خلّصت إلى مقتل ، ومرّ ابن عمر بأبي عقيل وهو صريع بأخر رمق ، فقال : يا أبا عقيل ، فقال : لبيك ، بلسان ثقيل ، ثم قال : لمن الدّبرّة : فقال ابن عمر : أبشر ، قد قُتِلَ عدوّ الله ، فرفع أبو عقيل اصبعه إلى السّماء بحمد الله .

في اليرموك ، كم منادٍ صاح يقول : « من يبايع على الموت ؟ » ، لا على الغنيّة .

ومات أعظم قائد في تاريخ الإسلام ، خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وهو لا يملك من حطام الدنيا غير فرسه وغلّامه وحسامه ، فأين الغنائم ؟

وقبيل معركة نهاوند ، قال قائد الجيش المسلم النعمان بن مقرن المزني :
« اللهم اعزز دينك ، وانصر عبادك ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم ، اللهم إني
أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام ، آمنوا يرحمك الله » ،
وأكرم الله النعمان بالشهادة ، فأين الغنائم ؟

هدف المسلم في معاركه : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في
سبيل الله^(١) » ، أما الذين يرون أن الفتوحات الإسلامية كانت لغنية ،
لا يفهمون هذا المستوى الرفيع المشرق ، لأنهم ما ارتقوا إليه ، وهم فقراء في المثل
وهذا الفقر هو شر أنواع الفقر ، والذي يصاب به « لا يستطيع إطلاقاً أن يرتفع
إلى الأفق السامق البعيد ، فضلاً على الجهل الفاضح بأوليات الشريعة
الإسلامية^(٢) » ، فهذه التهمة تبعد الإسلام عن طابع الهداية ، وتقطعه عن
الصوت الإلهي وتجعله صوتاً أرضياً بشرياً .

ولما أورد حنّي قول رستم إلى المغيرة بن شعبة : « قد علمت أنه لم يحملكم على
ما أنتم فيه ، إلا ضيق المعاش ، وشدة الجهد ، ونحن نعطيكم ما تشبعون به ،
ونصرفكم ببعض ما تحبون » ، لم يورد - لأمر في نفسه - جواب المغيرة لرستم ، لقد
سخر المغيرة من قول رستم وقال : لا مناص من واحدة من ثلاث : الإسلام أو
الجزية أو القتال . فلو أراد الفاتحون مالاً ، وما أرادوا نشر عقيدة ، لرضوا بالمال
دون عناء ، ولحفظوا أرواحهم ، وعادوا بأموال تكفيهم بلا تعب ولا إرهاق
ولا أرامل ..

وقال رستم لزهرة بن الحوية أيضاً : انصرف وقومك ولكم منا جعلاً ،
فأجاب زهرة : إنما لم نأتكم بطلب الدنيا ، إنما طلبتنا وهمتنا الآخرة .

فكيف يورد حنّي كلاماً ونصاً ، ولا يورد جوابه ، أو تتمته ؟!

(١) سنن الترمذي : ٦ / ٢٣ ، فتح الباري : ٦ / ٣٦٨ .

(٢) نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي ، ص : ٦٠٠ .

٣ - أما ما أورده حتي من حماسة أبي تمام :

فما جنة الفردوس هاجرت تبتغي ولكن دعاك الخبز أحسب والتمر

فهو بيت هجاء لمن لم يكن همه نشر الإسلام في جهاده ، إنه بيت هجاء لمن هو على نهج حتي ، لمن أراد مواطن الخصب في بلدان الشام . وأشعار المجاهدين الصّادقين ، قول عبد الله بن رواحة عندما خرج إلى مؤتة ، وقال المسلمون : صحبكم الله ، ودفع عنكم وردكم إلينا صالحين ، قال :

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً وضربة ذات فرغٍ تنفذ الزبداً^(١)
أو طعنة يدي حران مجهزة^(٢) بخربة تنفذ الأحشاء^(٣) والكيدا
حتى يقال إذا مروا على جدتي أرشدك الله من غازٍ وقد رُشداً^(٤)

وجعفر بن أبي طالب بعد أن نزل عن قرسٍ له شقراء ثم عقرها^(٥) ، ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها
والروم روم قد دنا عذائبها كفرة بعيدة أنسابها
عليّ إن لاقيتها ضرابها

(١) ذات فرغ : يعني ذات سعة ، والزبدا هنا : رغوۃ الدم ، وفي الاكتفاء : ٢ / ١٣٥ ب : وضربة ذات فرغ .

(٢) حران : الشديد ، ومجهزة : سريعة القتل .

(٣) تنفذ الأحشاء : تحترقها .

(٤) الكامل في التاريخ : ٢ / ١٥٨ ، الطبري : ٣ / ٣٧ ، ابن هشام : ٤ / ٨ ، عيون الأثر : ٢ / ١٥٣ ، الطبقات الكبرى لابن سعد : ٢ / ٢٢٨ .

(٥) عقر الفرس والبعير بالسيف عقرأ : قطع قوائمه ، أو نحره ، « اللسان : ٤ / ٥٩٢ » وقال السهيلي في الروض الأنف : ولم يعب ذلك عليه أحد ، فدل على جواز ذلك إذا خيف أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين ، وعقر جعفر لفرسه دليل شجاعته ، لقد أراد أن يثبت لنفسه ألا عودة إلى أهله عليها ، فالشهادة هدفه ، وهي محققة .

واستمر رضي الله عنه في الحرب ويدها مقطوعتان ، ولما قتل وَجِدَ به بضع
وسبعون جراحة ، ما بين ضربة سيف ، وطعنة برمح ، كلها فيما أقبل من
بدنه ^(١) .

وقول عُمير بن الحَمام وقد قذف تمرات كُنَّ بيده ، وأخذ سيفه ، فقاتل حتى
قُتِل وهو ينشد :

رَكُضاً إلى الله بغير زادٍ إلا التُّقى وعمل المعادِ
والصبر في الله على الجهادِ وكلُّ زادٍ عُرْضةُ النِّفادِ
غَير التُّقى والبر والرشاد

فلماذا أورد حتّي بيتاً من الشعر ، هو هجاء وشمّ وعار لمن قيل بحقّه ، ولم
يورد أمثلة مما أوردنا ، وكم نسبة من خرج للغنية ، لمن خرج يقاتل في سبيل
الله ؟



١٠ - « وإذا كانت الأمم المغلوبة قبلت الإسلام بعدئذ ، فلأنّها أرادت
الخلاص من الجزية ، وتاقت لمشاركة الطبقة الحاكمة في ولاية الأمور » ،
صفحة : ١٩٧ .

وصوابه : يدفع أهل الكتاب ^(٢) مبلغاً مقابل انتفاعهم بالمرافق العامة ، التي
يدفع المسلمون قسطها الأكبر . ومقابل دفع الجزية لا يكلف القادرون من أهل
الكتاب أن يحملوا السّلاح ويدافعوا عن البلاد ، وفي بعض الأحوال التي يقوم بها

(١) ابن هشام : ٤ / ١٢ ، عيون الأثر : ٢ / ١٥٤ ، السيرة الحلبية : ٣ / ٧٨ ، السيرة النبوية لابن
كثير : ٣ / ٤٦١ ، الكامل في التاريخ : ٢ / ١٥٩ ، الطبري : ٣ / ٣٩ ، الاكتفاء : ١ / ١٣٦ .

(٢) يدفع الجزية من أهل الكتاب كل ذكّر قادر على حمل السّلاح ، مقابل اعفائه من الخدمة
العسكرية ، ويعفى منها الطفل والمرأة والشيخ ، ومن لا معاش له .

أهل الكتاب بالدفاع عن النفس ، تسقط عنهم الجزية ، والتاريخ يذكر أن المسلمين عندما اضطروا للانسحاب إلى اليرموك ، أعادوا إلى أهل حصص ما أخذوه منهم ، وأهل الحيرة عندما دفعوا الجزية كُتِبَ في معاهدتهم : « فَإِنْ منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا » ، فقبول الجزية تثبت معه عصمة الأنفس والأموال .

أما الخلاص من الجزية ، فيجب أن نعلم أولاً مقدارها ، فهي على الأغنياء ٤٨ درهماً في العام - حوالي جنيهين - وعلى المتوسط ٢٤ درهماً ، وعلى العمال والصناع ١٢ درهماً ، فهي إذن مقدار ضئيل يسير من المال يُدْفَع في كل عام مرة واحدة .

وفي كتاب الخراج ص ٣٦ : « وَيُعَيَّن مقدار الجزية اعتباراً لحالتهم الاقتصادية ، فيؤخذ من الموسرين أكثر ، ومن الوسط أقل منه ، ومن الفقراء شيء قليل جداً ، والذين لا معاش لهم ، أو هم عالية على غيرهم يعفون من أداء الجزية » ، بل ولا يعفى من الجزية فحسب ، بل يجري له عطاء من بيت المال .
فأية مشكلة اسمها « جزية » للخلاص منها ؟ ومن يقبل الإسلام تجري عليه أحكامه ، فإن كان فقيراً فلا جزية عليه أصلاً ، أما إن كان غنياً أراد الخلاص من الجزية ، فسيدفع أضعافها لزكاة ماله .

لقد أراد حتي أن يجد سبباً لقناعة أهل البلاد التي فُتِحَتْ بالإسلام ، واعتناقها دون إكراه أو ضغط أو سيف ، فوجد نفسه - لبعده عن الحقيقة - قبالة « الجزية » ، فجاءت فكرته مضحكة باطلة .

أما جملة « تاقّت لمشاركة الطبقة الحاكمة في ولاية الأمور » ، جملة صحيحة لو سُدَّت المشاركة في وجههم في وقت من الأوقات !!

☆ ☆ ☆

١١ - « إن عصابة من العرب قد هاجتهم - هاجت الروم - فردوها على أعقابها بجهد يسير ، وقد جرت هذه الواقعة في مؤتة » ، « أما الباعث الجوهري - لغزوة مؤتة - ^(١) فهو رغبة محمد في الحصول على السيوف المشرفية التي كانت تصنع في مؤتة ونواحيها ، ليسلح بها رجاله يوم الهجوم العتيد على مكة ، وكان من الطبيعي أن تفسر هذه الواقعة على أنها غزوة عادية من هذه الغزوات التي يدهم بها البدو أبناء الحضارة أبد الدهر » ، صفحة : ١٩٩ .

وصواب الفقرة السابقة : لا يجرؤ العرب على مهاجمة الروم أولاً ، فهم أسيادهم في الشام قبل الفتح العربي الإسلامي ، بل : تجرأ المسلمون ، وليسوا عصابة ، تجرأ جند الله الأشاوس ، طلبوا الشهادة ونالها قسم منهم ، « يا قوم ، والله إن التي تكرهون لتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإننا هي إحدى الحسنيين ، إما ظهور وإما شهادة ، فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة ، فضى الناس » ^(٢) .

أما الباعث الجوهري ، فلا يقرره حتي وقد نطقت به كتبنا بجلاء ، لقد أرسل رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب ، إلى ملك بصرى ^(٣) بكتاب ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني ، وهو من أمراء قيصر على الشام ، فقال : أين تريد ؟ لعلك من رسل محمد ؟ قال الحارث : نعم ، فأوثقه ربطاً ، ثم قدم شرحبيل الحارث ف ضرب عنقه ، ولم يقتل لرسول الله ﷺ

(١) مؤتة : في الأردن ، جنوبي شرق البحر الميت ، جنوب الكرك ، شمال الطفيلة . وكانت الغزوة في : ٨ هـ / ٦٢٩ م .

(٢) ابن هشام : ٩/٤ ، ابن خلدون : ٤١/٢ ، ابن سعد : ١٢٩/٢ ، الاكتفاء : ١٣٥/١ ب ، السيرة الحلبية : ٧٧/٢ ، عيون الأثر : ١٥٤/٢ ، الطبري : ٣٧/٣ ..

(٣) بصرى : بلدة بالشام من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة خوران ، معجم البلدان : ٤٤١/١

رسولٌ غيره^(١) ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك اشتد الأمر عليه ، فجهَّز جيشاً لِيَسِيرَه إلى مؤتة ، وهدفه تأديب عامل هرقل على بُصرى ، فمقتل الحارث يمثِّل خَرْقاً لقاعدة أساسية في العرف الدولي ، ومقتل رسول الله ﷺ تحَدُّ صريح ، واعتداء مباشر على الإسلام وأهله ، وهذا الاعتداء الصريح يقلِّل هيبة الإسلام في نفوس الأعراب ، فأرسال سرِّيَّة مؤتة يحفظ للإسلام هيئته في نفوس الأعراب .

هذه هي الأسباب ، لاختمينات حتَّى ، فجند رسول الله ﷺ فاض السِّلَاح في أيديهم بعد غزوة بني قريظة : « بعث ﷺ سعيد بن زيد بسبايا من بني قريظة إلى نجد ، فابتاع خيلاً وسلاحاً » ، ودليل عدم حاجة رسول الله ﷺ للسيوف من مؤتة ، وهو ﷺ باعتراف حتَّى لم يحصل عليها منها ، أنَّه لما مرَّت كتائب القبائل المسلمة في طريقها إلى مكة أمام أبي سفيان قال لما رأى سلاحها : ومن له بهؤلاء طاقة ؟

ورسول الله ﷺ عندما فتح مكة ، وقد مكَّنه الله من عَذْب المسلمين الأوَّلِين ، وأخرجه من أرضه .. لم يقيم بهجوم عتيدي ، لم يذبح الناس ، بل : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

أما عبارة : « غزوة عاديَّة من هذه الغزوات التي يَدُهمَّ بها البدو أبناء الحضارة أبد الدهر » ، فهي عبارة حاقد أهلُه حقدَه لطباعة خمسين ألف نسخة من كتابه ، ومن قَبْل مَنْ ؟ مِنْ قَبْل الجيش الأمريكي !! فأهل مكة والمدينة ، أي « المهاجرون والأنصار » ، ليسوا من أهل البدو ، إنَّهم أبناء دين جديد اسمه الإسلام ، وحضارة جديدة اسمها الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة .

☆ ☆ ☆

(١) أسد الغابة : ٤٠٨/١ ، الإصابة : ٢٨٦/١ ، الاستيعاب : ٣٠٤/١ ، عيون الأثر : ١٥٣/٢ ، ابن سعد : ١٢٨/٢ ، السيرة الحلبية : ٧٧/٣

١٢ - « ووضعت حروب الردّة أوزارها ، فجهّز المسلمون في خريف سنة ٦٣٣ ثلاث سرايا في كل منها ثلاثة آلاف مقاتل يرأس الأولى عمرو بن العاص ، والثانية يزيد بن أبي سفيان ، والثالثة شرحبيل بن حسنة وسيروها إلى الشمال » ، صفحة : ٢٠٠ .

وصوابه : وجّه أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه أربعة جيوش : عمرو بن العاص ووجهته فلسطين ، وشرحبيل بن حسنة ووجهته الأردن ، ويزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق ، وأبو عبيدة بن الجراح ووجهته حمص .

☆ ☆ ☆

١٣ - « وكانت غزوة العراق قد جاءت في مستهل الفتوحات الإسلاميّة فلم تهرق فيها كثير من الدماء ، وليس غريباً أن يكون خالد قد قام بهذه الغزوة مستقلاً ، حيث إن أصحاب الأمر في المدينة والحجاز ، كانوا يحصرون أكثر اهتمامهم في بلاد الشام المجاورة دون سواها » ، صفحة : ٢٠١ .

وصوابه : كان فتح العراق خطّة مقرّرة من (أصحاب الأمر في المدينة والحجاز) ، فبعد انتهاء حروب الردّة ، كتب الصّدّيق رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد الذي كان مازال في اليمامة : سرّ إلى العراق حتى تدخلها ، وابدأ بمنطقة الأبلّة^(١) ، وقاتل أهل فارس ، ومن كان في ملكهم من الأمم ، وليكن هدفك الحيرة^(٢) .

☆ ☆ ☆

١٤ - « وظهر خالد بجوار دمشق مفاجئاً مؤخراً جيش الروم مفاجأة مسرحيّة بعد رحلة دامت ثمانية عشر يوماً ، وهنا بدأت حملاتُه التي ظفر فيها بالغنائم » ، صفحة : ٢٠٢ .

(١) الأبلّة : على شاطئ شط العرب الشرقي .

(٢) الطبري : ٣/٣٤٣ ، والحيرة : كانت عاصمة اللخمين « المناذرة » في العراق غرب نهر الفرات .

هذا كل ما رآه حتّي من نجدة خالد رضي الله عنه لجيوش المسلمين في الشام ، معجزة عبوره بادية الشام « مسرحية » ، لتبدأ حملاته التي ظفر فيها « بالغنائم » ، ونسأل : ماذا خلّف خالد رضي الله عنه عند موته من حطام الدنيا ؟ فرسه ، غلامه ، سيفه ، أين غنائمه ؟ ! وليت حتّي نقل ما كتبه بعض المنصفين من الأجانب عن تلك العملية العسكرية الجبارة التي قام بها خالد .!



١٥ - « فتح دمشق وتسليمها : إثر خيانة قام بها بعض أرباب السُلطة المدنيّة والروحيّة ، ومنهم الأسقف جد القديس يوحنا » ، صفحة : ٢٠٣ ، وفي الصفحة : ٢٠٥ : « فتح قيسارية : بفضل خيانة يهودي من أهلها » .

لقد كان المسلمون أعجز من فتح دمشق لولا خيانة بعض أرباب السلطة المدنيّة والروحيّة ، وأعجز من فتح قيسارية لولا خيانة يهودي من أهلها !! ولا ندري الخيانات الأخرى التي تمّ بموجبها فتح مئات المدن المتناثرة ، ما بين وادي السند شرقاً ، وقلب فرنسة غرباً !!



١٦ - « أمّر الخليفة عمر سعد بن أبي وقّاص ، أحد الصحابة العشرة الذين بشّرهم محمد بالجَنّة على أثر وقعة بدر ، على جيش أرسله لإمداد المسلمين في العراق » ، صفحة : ٢٠٩ .

وقعة بدر ، أي غزوة بدر ، اشترك بها ٣١٣ من المسلمين المجاهدين ، والذين بُشّروا بالجَنّة عشرة ، قال ﷺ : « أبو بكر في الجَنّة ، وعمر في الجَنّة ، وعثمان في الجَنّة ، وعليّ في الجَنّة ، وطلحة في الجَنّة ، والزُّبير في الجَنّة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجَنّة ، وسعد بن أبي وقاص في الجَنّة ، وسعيد بن زيد في الجَنّة ، وأبو

عبيدة بن الجراح في الجنة » ، (أسد الغابة : ٣٨٨/٢)^(١) .

فلا علاقة بين بدر وتبشير هؤلاء رضي الله عنهم بالجنة .

☆ ☆ ☆

١٧ - بعد القادسيّة : « وانفتحت أمام الغزاة سهول العراق » ، صفحة : ٢٠٩

و ٢١٠ .

وهي عبارة مقصودة ، كرّرت في الصفحة ذاتها أيضاً ، ولا يستوعب حتّى رسالة المسلمين التي خرجوا من أجلها ، وكيف يستوعبها ، وهو يراهم أصحاب غنائم في مواطن الخصب في الشمال ؟! هؤلاء فاتحون محرّرون ، وإلاّ ما الفرق بينهم وبين الاسكندر ، أو الغزو الصليبي ، أو الاستعمار الحديث ؟

ومن السخرية في هذه الصفحة أيضاً : « مضى سعد ومن معه إلى المدائن عاصمة الفرس ، فانتهوا إلى دجلة وهو طافح بالماء من سيول الربيع ، وإذا الفرس قد رفعوا المعابر والسفن ، فلم يجد الغزاة سبيلاً إلى العبور ، ولم يشبّط الأمر عزيمة سعد ، فما زال حتى عبر دجلة ونزل الضفة الشرقيّة ، ولم يفقد شيئاً ، ولم يغرق من جمعه أحد ، فقالت الفرس : والله ماتقاتلون إلّاّ جيّناً ، وحسب إخباريو الإسلام ذلك العبور معجزة » .

وهذا الخبر الذي شوّهه حتّى ، مع سخريته منه ، حقيقته ما يلي : لما أراد المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص ، عبور دجلة إلى المدائن ، تعذّر حصولهم على السفن ، وكانت دجلة قد زادت زيادة عظيمة واسودّ ماؤها ، ورمت بالزبد من كثرة الماء بها ، فندب سعد المسلمين وعزم على عبور النهر على ظهور الجياد ، فأجابوه جميعاً : عزّم الله لنا ولك وعلى الرّشد فافعل ، فانتدب ستمئة فارس وأقرّ عليهم عاصم بن عمر ، فوقفوا على حافة النهر ، ثم كانت الطليعة الأولى ستين

(١) والحديث في المسند : ١٩٣/١

فارساً ، ابتدأ العبور بتلاوة قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً ﴾ ، [آل عمران ١٤٥/٣] . ثم لحق بقيّة الستمئة ، وتبعهم سعد بباقي الجند موجّهاً لهم أن يقولوا عند دخول الماء : « نستعينُ بالله ونتوكّل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم » ، ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف منهم أحدٌ ، فساروا في النهر كأنّهم يسرون على وجه الأرض ، حتّى ملؤوا ما بين الجانبين فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرّجالّة ، وكان المسلمون يتحدّثون على وجه الماء كما يتحدّثون على وجه الأرض ، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن والثوق بأمر الله ووعدته ونصرته وتأييده ، وعبروا النهر دون أن يفقدوا أحداً أو متاعاً ، غير قدح من خشب^(١) .

وكان سعد حين العبور يقول : « حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرن الله وليه ، وَلَيُظْهِرَنَّ اللَّهُ دِينَهُ ، وليهزمَنَّ اللَّهُ عَدُوّه ، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات »^(٢) .

وكان الفُرس يقفون في الجانب الآخر من النهر ، فلما رأى الفُرس المسلمين يطفئون على وجه الماء قالوا متعجبين : ديوانا ديوانا ، أي : مجانين . ثم قال الفرس : والله ماتقاتلون إنساً بل تقاتلون جيّناً .

إن قرأ حتّي وأمثاله عوناً من الله لجنده ، سخر وقال : « وحسب إخباريو الإسلام ذلك العبور معجزة » ، أما ما سمعه منهم بين آونة وأخرى من ظهور قديس مات منذ مئات السنين يعالج المرضى ويشفي ويُنذِر .. لا ارتياب ولا سخرية ، وإن قالوا : ظهرت فتاة يتساقط الزيت من بين أصابعها تشفي وتعالج المعنوهين والمرضى ، فلا ارتياب ولا سخرية !!

☆ ☆ ☆

(١) ابن كثير « البداية والنهاية » : ٦٥/٧

(٢) الطبري : ١٢/٤

١٨ - « واحتفر عمرو القناة الفرعونية القديمة ، فسُميت خليج أمير المؤمنين ، وهي تمر بعين شمس ، وتربط النيل شمالاً من بابلين^(١) بالبحر الأحمر عند القلزم^(٢) ، وكان ذلك تسهلاً لما أرادته العرب من نقل المؤونة إلى الحرمين » ، صفحة : ٢٢١ .

حفر عمرو بن العاص القناة الفرعونية لتشجيع ازدهار التجارة كما كانت منذ أيام سيزوستريس وتراجان ، ولكن لنقل المؤونة إلى الحرمين !! وهذا حدث فعلاً عام الرمادة ، وهو ما يحدث في أية دولة ، فأمر طيبعي أن تُقدّم المعونة لمواطني الجفاف ، وموطن الجفاف في موسم سيقدّم المعونة لموطن آخر جف في مواسم قادمة ، والعالم اليوم ينقل خارج نطاق الدولة إلى دول داهها الجفاف ، كما حدث في تشرين الثاني ١٩٨٤ عندما هبّ العالم يقدم لأثيوبيا وتشاد .. المعونة السخية .

ولكن حتيّ أرادته تاريخاً مشوهاً محقراً ، ما فتح إلا للغنائم والمؤن والخيرات .

☆ ☆ ☆

١٩ - « سنة ٦٥٢ بدّد عبد الله عمارة بحريّة قويّة للروم في معركة جرت قبالة الاسكندرية » .

« وفي سنة ٦٥٥ التقى الأسطول السوري المصري الذي جرّده معاوية وعبد الله بأسطول بيزنطي مؤلف من ٥٠٠ مركب ، فدارت الدائرة على الروم بالقرب من فينكس أمام شواطئ ليسيا ، وغلبت الروم ، وقهر الامبراطور قسطنطين الثاني الذي حضر المعركة بنفسه ، وفرّ يطلب النجاة ، هذه معركة ذي الصواري التي حلّ فيها القضاء المبرم على سيادة الروم البحريّة » ، صفحة ٢٢٣ .

(١) أصلها « باب ليون » ، انظر الطبري : ٤٩٣/١ ، وفي معجم البلدان : ٣١١/١ : اسم لموضع الفسطاط خاصة .

(٢) القلزم : السويس حالياً .

وصوابه : الكلام في الفقرتين ، كلام متناقض عن معركة واحدة هي « ذات الصواري » التي كانت بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح في ٣١ هـ / ٢٩ آب ٦٥٥ م ، أما أين وقعت هذه المعركة البحريّة الشهيرة - التي تاه بها حتّي - فقد جاء في « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ٨٠/١ » : « غزوة ذات الصواري في البحر من ناحية الاسكندرية » ، وابن خلدون يذكر صراحة « المجلد ٢ ، الجزء الأول ص : ١٣٠ » : « ثم بعث السّرايا ودوّخ في البلاد ، فأطاعوا وعاد إلى مصر ، ولما أصاب ابن أبي سرح افريقية ما أصاب ، ورجع إلى مصر خرج قسطنطين بن هرقل غازياً إلى الاسكندرية في ستمئة مركب » . كما ربطت المراجع العربيّة التي لم تحدّد موقع المعركة بين حدوث المعركة وبين ماخسره الروم في شمال افريقية بالذات .



٢٠ - « لم تقم هذه الحملات البحريّة على تشجيع خلفاء المدينة أو تجنيدهم ، بل كانت على عكس ذلك تنظّم دون رضاهم ، هذا ما يؤخذ من مضمون بعض العبارات الخطيرة التي نجدها في المصادر » ، صفحة : ٢٢٤ ، « ولم يسمح عثمان لمعاوية بغزو قبرس مع أنّه أخبره بقرها وسهولة الأمر فيها إلاّ بعد أن أوصاه أن يركب البحر ومعه امرأته » ، صفحة : ٢٥٧ .

لما ولي معاوية بن أبي سفيان إمارة الشام ، ألحّ على عمر الفاروق في غزو البحر ، وذلك لقرب الروم من السواحل العربية ، ومما كتبه معاوية لعمر رضي الله عنه : « إن قرية من قرى حمص ليسع بنباح كلابهم وصياح دجاجاتهم » ، ومعاوية يعني جزيرة أرواد ، احتار عمر رضي الله عنه ، وشغل قلبه ، أيسمح للناس بركوب البحر وما ركبوه من قبل مجاهدين فيه ؟

أمام هذه الحيرة ، كتب عمر إلى عمرو بن العاص واليه على مصر : « صف

لي البحر وراكبه ، فإن نفسي تنازعني عليه » ، فكتب عمرو إلى عمر : « إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ، ليس إلا السماء والماء ، إن ركذ خرق القلوب ، وإن تحرك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين - بالنجاة - قلة ، والشك كثرة ، هم فيه كدود على عود ، إن مال غرق ، وإن نجا برق ^(١) » .

قرأ عمر الفاروق كتاب عمرو بن العاص ، وأرسل قراره الذي اتخذ به إلى واليه على الشام معاوية قائلاً : « والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ، لأحمل فيه مسلماً أبداً .. وبالله لمسلم واحد أحب إليّ مما حوت الروم » .

وهذه هي العبارات الخطيرة التي رآها حتى في المصادر : « لأحمل فيه مسلماً أبداً » .

ولكن لم يتساءل حتى : لماذا وقف عمر هذا الموقف ؟ وهل يُعقل أن تُبنى دولة عالمية دون أسطول بحري ؟ عمر : العبقرية المتميزة في كل شيء ، هل يُعقل أنه وقف موقفه هذا ، لمجرد وصول رسالة عمرو من مصر ؟!!

وقف عمر رضي الله عنه موقفه هذا لأسباب :
- خوفه على أرواح المسلمين ، حيث إنهم ما عهدوا ركوب البحر مقاتلين فيه ، وأسطولهم فتي حديث ، ما زال يُبنى .

- غزا العلاء بن الحضرمي ^(٢) ، الذي كان على البحرين من قبل عمر ، في البحر ، فأصيب المسلمون على ساحل فارس ، فصار عمر لا يأذن لأحد في ركوب البحر غازياً مجاهداً .

- أرسل عمر رضي الله عنه علقمة بن مجزز المدلجي في البحر الأحمر في نفر من

(١) تاريخ الخلفاء : ١٥٥

(٢) أسد الغابة : ٧٤/٣ ، الكامل في التاريخ : ٢٤٩/٢ و ٢٥٢

المسلمين ليردّ غزوة حبشيّة جاءت من شواطئ البحر الأحمر الغربيّة ، فأصيب القوم ، فجعل عمر على نفسه وعداً ، ألاّ يحمل في البحر أحداً للغزو .

- لم يُبنَ بعد ويكتمل أسطول الدولة العربيّة الإسلاميّة ، وغزو البحر يحتاج إلى استعدادات لتأمين أسطول قوي متين ، خاصة وأن أسطول الروم له ماضي عريق ، وسفنه تجوب شواطئ المتوسط .

هذه الأسباب مجتمعة كانت غير مشجعة ، ولكن عمر رضي الله عنه ماعارض في بناء أسطول حربي في عكا ومصر . فعبارات عمر إذن قالها ريثاً يتم تحقيق الاستعدادات الكافية لركوب البحر ومجاهاة أسطول الروم . لقد أحبّ رضي الله عنه الحكمة والتريث ، ليتحقّق النصر بأقلّ خسائر ممكنة ، فلا يُعقل أن تبنى دولة الإسلام دون أسطول بحري ، وعشرات الآيات الكريمة في القرآن الكريم ، تذكر السفن والمنشآت الجوّاري في البحر كالأعلام .

ولما ولي عثمان رضي الله عنه الخلافة ، كتب إليه معاوية يستأذنه في غزو البحر ، ولجّ معاوية لاستكمال الاستعدادات ، وافق عثمان على طلبه ، ولكنه اشترط عليه شروطاً ، فكتب إليه : « لاتنتخب الناس ولا تُقرّع بينهم ، خيرهم ، فمن اختار الغزوطائعاً فاحمله وأعنه » .

وفعلاً .. استطاع هذا الأسطول فتح قبرص ، وهزيمة أسطول الروم في ذات الصواري .

☆ ☆ ☆

٢١ - وقال عن أبي بكر رضي الله عنه : « لم يتقاض راتباً ما لأن دولة الإسلام كانت آنئذ بلا دخل » ، صفحة : ٢٣٣ .

خطآن اثنان : بل تقاضى راتباً ، وكان آنئذ لدولة الإسلام دخل وبيت مال ، لقد كان لها مصادر دخل منذ تأسيسها في المدينة المنورة ، فأين ذهب

دخلها ؟ وأين قول الصديق رضي الله عنه : « والله لو منعوني عَنَاقًا كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعها ، إن الزكاة حقّ المال ، والله لأقاتلنَّ مَنْ فرّق بين الصلاة والزكاة » ؟

وجعل حتّي حكمه مستنداً إلى ثلاثة مصادر هي : ابن سعد ، وأسد الغابة ، وابن الأثير . وعدنا إلى هذه المصادر فوجدنا أن ابن سعد ١٨٤/٣ يقول : « لما استُخِلَفَ أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتّجر بها ، فلقيه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، فقالا له : أين تريد يا خليفة رسول الله ؟ قال : السوق ، قالوا : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فن أين أطعم عيالي ؟ قالوا له : انطلق حتى نفرض لك شيئاً ، فانطلق معها ففرضوا له كل يوم شطر شاة ، وكسوة سنويّة مناسبة » .

وفي رواية : جعلوا له ألفين : « ابن سعد : ١٨٥/٣ » .

وفي ابن الأثير « الكامل في التاريخ : ٤٩١/٢ » وما يثبت أنه أخذ حاجته وكفاف عياله ، ومع ذلك : « أمر أبو بكر أن يُرَدَّ جميع ما أخذ من بيت المال لنفقته بعد وفاته » .

أما مرجع حتّي الثالث « أسد الغابة ٣٠٩/٣ » لم نجد به شيئاً حول هذا الموضوع ، لدقّة مراجعه ، وأمانة نقله ، وسلامة استنتاجاته !!

☆ ☆ ☆

٢٢ - يوم الجمل : « صريح في هذا اليوم منافساً عليّ على الخلافة طلحة والزبير » صفحة : ٢٣٩ .

وصوابه : طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي ، طلحة الفيّاض قتل يوم الجمل ، رجع عن قتال علي رضي الله عنه ، واعتزل في بعض الصفوف ، فرمى بسهم أصاب ثُغرة نحره ، فمات ، « أسد الغابة : ٨٧/٣ » .

أما الزبير بن العوام ، أمه صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ ، ناداه علي رضي الله عنه يوم الجمل ودعاه وذكره بحديث لرسول الله ﷺ ، فانصرف عن القتال ، ونزل بوادي السباع ، وقام يصلي ، فأتاه ابن جرموز فقتله ، وجاء بسيفه إلى علي فقال : إن هذا سيف طالما فرّج الكرب عن رسول الله ﷺ ، ثم قال علي : بشر قاتل ابن صفية بالنار ، وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى من سنة ست وثلاثين ، « أسد الغابة : ٢٤٩/٢ » .



٢٣ - قال حتّي على لسان أسماء بنت أبي بكر تخاطب ابنها عبد الله بن الزبير : « أرى أن تموت كريماً ، ولا تتبع فاسقاً لثيماً » ، صفحة : ٢٥٦ .

وصوابه : قالت أسماء لابنها عبد الله : « لا يلعبن بك صبيان بني أمية ، عش كريماً ومت كريماً ، والله إني لأرجو أن يكون عزائي فيك حسناً بعد أن تقدمتني أو تقدمتك ، فإن في نفسي منك حرجاً حتى أنظر إلى ما يصير أمرك ، اللهم ارحم طول ذاك النحيب والظماء في هواجر المدينة وبرّه بأّمه ، اللهم إني قد سلمت فيه لأمرك ، ورضيت فيه بقضائك فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين .

يا بني مت كريماً ، قال : إن هذا قد أمني (يعني الحجاج) ، قالت : يا بني لا ترضى الدنيّة ، فإن الموت لا بدّ منه ، قال : إني أخاف أن يمثّل بي ، قالت : إن الكبش إذا ذبح لم يأمن السّلخ .

أنت والله يا بني أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنّك على حقّ وإليه تدعو ، فامض له فقد قُتل عليه أصحابك ، ولا تمكّن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا ، فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك ، وإن قلت كنت على حق ، فلما وهن أصحابي ضعفت ، فهذا

ليس فعل الأحرار ، ولا أهل الدين ، ومكم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن^(١) » .

« يا بني لا تقبلن منهم خطة تخاف فيها على نفسك الذل مخافة القتل ، فوالله لضربة بسيف في عز خير من ضربة سوط في ذل^(٢) » .

☆ ☆ ☆

٢٤ - قال حُتَي : عبد الله بن أبي سرح ، صفحة : ٢٦٤

وصوابه : عبد الله بن سعد بن أبي سرح .

وقال في الصفحة ذاتها : فضلة بن عبيد الأنصاري .

وصوابه : فضالة بن عبيد الأنصاري .

☆ ☆ ☆

٢٥ - « مروان الثاني (٧٤٤ - ٧٥٠) أبطل التنظيم القديم للجيش واستحدث له تنظيمًا أصبحت الوحدة فيه كتلة صغيرة متراصة من الجند تسمى كردوساً » ، صفحة ٢٩٣ .

وصوابه : الكراديس نظام عبّاً خالد بن الوليد به جيشه في اليرموك ، فقد رتبّه ولأوّل مرّة في تاريخ أمتنا ترتيباً جعله مَرِن الحركة سريعها ، مرتبطاً جندِيّه بأَميره ، وأَميره بالقائد العام ، لقد قَسَم جيش المسلمين في اليرموك أربعين كُردوساً .

فخالد سبق مروان الثاني إلى نظام الكراديس .

حتى لغة أخطأ حُتَي بفهم معنى كُردوس ، فالكُردوس (بضم الكاف) : القطعة العظيمة من الخيل ، والكراديس : الفِرَق منهم ، (اللسان : كردس ١٩٥/٦) .

☆ ☆ ☆

(١) أعلام النساء : ٥٠/١ و ٥١

(٢) أسد الغابة : ٢٤٢/٣

٢٦ - « إن الوليد الأول أمر بقتل زعيم بني تغلب القبيلة النصرانيّة العربيّة لأنّه أبى أن يُسلم » ، صفحة : ٣٠١

ومصدر حتّي هنا : الأغاني : ٩٩/١ . والأغاني كتاب أدب لا كتاب تاريخ معتمد ، وصاحبه ليس مؤرخاً . وليس من طبع المسلمين قتل من لم يسلم بدليل وجود مئات الألوف من النصارى في كل بلد مسلم حتى يومنا هذا ، فرسول الله ﷺ يقول : « من قتل معاهداً لم يَرَح رائحة الجنة » ، رواه البخاري .

وقول حتّي صوابه : ناوأ نصارى تغلب واليه من قبل عمر ، وهو : الوليد بن عقبة ، فنقد صبر الوليد مما كانوا يعملون ، فتوعدهم بقوله :

إذا ما عصبتُ الرأسَ مني بمشوذ فغِيَّكَ مني تغلب ابنة وائل
فبلغت هذه الكلمة عمر رضي الله عنه ، فخشي عمر أن يبطش الوليد بهم ، فعزله عن ولايته ، وعيّن أميراً غيره ، عطفاً ورعاية لنصارى تغلب .

فأين هذا مما نقله واعتمده حتّي ؟

☆ ☆ ☆

٢٧ - بسقوط الدولة الأمويّة « سقطت العروبة ، ولكن الإسلام واصل سيره ، وتحت لواء الإسلام العام ، أخذت الإيرانيّة تسلك سبيلها إلى الأمام » ، صفحة : ٣٥٨ .

لم تسقط العروبة بسقوط الدولة الأمويّة ، بل واصلت سيرها مع الإسلام ، لأنها وجه لعملة واحدة وجهها الآخر الإسلام . فالعباسيّون عرب أقحاح ، يكفيهم أن جدّهم العباس رضي الله عنه ، ولما شعر الرشيد بمخالب البرامكة تطول ، قطعها بليلة واحدة بلا رحمة .

☆ ☆ ☆

٢٨ - « وكان السبب في هلاك جعفر عند أكثر المؤرخين أن الرشيد رضي أن يكتب لجعفر على العباسية أخته ليحل له النظر إليها ومجالستها ، وتقدم إليه ألا يمسا ، فلما حج هارون علم أن العباسية قد حملت من جعفر وولدت له غلاماً وجّهت به مع حواضن إلى مكة » ، صفحة : ٣٦٨ .

وقال في الصفحة ذاتها : « نكب البيت الذي أسسه خالد البرمكي وجعله غرة في جبين الدهر ، فلم تقم له قائمة من بعد » .

قصة العباسية وجعفر ، أوردها صاحب « الأغاني » ، وروّج لها محمد المعروف بدياب الإتيدي في كتابه : « إعلام الناس بما وقع للبرامية مع بني العباس » ، فقد خصّص الإتيدي كتابه لتشويه حياة الرشيد خاصة ، والعباسيين عامة . وهلل لها في مطلع القرن العشرين جرجي زيدان .

وعلى عكس مقالته حتّى : لقد رفض المؤرخون قصة جعفر والعباسية ، وقالوا : ليس من التاريخ ما يقال عن صلتها - صلة العباسية - بجعفر البرمكي .

ونحن فنّدتنا هذه الرواية في كتابيّنا : « هارون الرشيد » و « جرجي زيدان في الميزان » ، ونوجز هنا بعض بنود تفنيدها :

الإتيدي يؤكّد أن الرشيد كان يشرب الخمر ويثمل منه ، وكذلك أخته العباسية وجعفر ، وحياة الرشيد كما هي على حقيقتها ، تكذب تعاطيه الخمر ، وهذا مما يفسد القصة المختلقة من أرومتها .

الرشيد لا يشرب شراباً مُسكرًا ، غير أنّه شرب النبيذ ، وهو الماء المُحلّى الذي لا يُسكر ، لقد شرب النبيذ بعرف زمانهم ، لا نبذ هذا الزمان ، وتنّبّه لذلك العلامة المؤرخ ابن خلدون ، فقال : لم يعاقر الرشيد الخمر لأنّه كان يصحب العلماء والأولياء ، يحافظ على الصلوات والعبادات ، ويصلّي الصبح في وقته ،

ويغزو عاماً ويحج عاماً ، وإنما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب أهل العراق وفتاويهم فيه معروفة ، وأما الخمر الصرف فلا سبيل إلى اتهامه بها ، ولا لتقليد الأخبار الواهية بها ، فلم يكن الرجل بحيث يُواقع محرماً من أكبر الكبائر عند أهل المِلَّة .

ويؤكد حتّي : « ولقد عاقر الخمر غير الرشيد خلفاء آخرون » ، صفحة ٤١٣ ، وأزعجه كلام ابن خلدون فقال : « وقد دافع ابن خلدون عن الرشيد والمأمون ، وزعم أن شرايها إنما كان النبيذ ، نبيذ التمر » ، صفحة ٤١٤ ، ونسي حتّي أن العلماء الأتقياء ، والأولياء الفصحاء ، كالفضيل بن عياض ، والقاضي أبي يوسف ، والإمام مالك ، والشافعي ، وعبد الله بن المبارك .. لم ينبّهوا الرشيد ولو مرة واحدة إلى ارتكابه الحرام كشر الخمر مثلاً ، لقد كانت نصائحهم كلها عامّة ، لقاء الله ، الخشية من الله ، ذكر الموت والدار الآخرة ، الزهد في الملْك .. ولو وجد خمرٌ مُسكرٌ في حياة الرشيد لنبّه لذلك الفضيل ، أو أبو يوسف ، أو أبو العتاهية ، أو الكسائي ، أو الإمام مالك .. ولو لمرة واحدة طيلة حياته .

وما ورد مطلقاً أن الرشيد جالس أو نادم النساء ، فأراد البرامكة - مخترعو القصة - الحطّ من فضل الرشيد ومجالسه ، وما فيها من احتشام وأدب ودين .

ومما يدحض الرواية .. أن إحدى روايات القصة قالت : إن جعفرًا كان يقترب من العبّاسة بعد كل جلسة يثُل بها الرشيد !! فولدت منه غلاماً ، وفي رواية أخرى : العبّاسة هي التي دفعت بنفسها إليه كجارية لتثبت الرواية عِفّة جعفر ، وسوء خلق العبّاسة ، وفي الرواية الثانية أيضاً ما ينقضها ، لقد جاء فيها : « لقد كانت أمّه - أمّ جعفر - تهدي إليه بنتاً بكرة كل ليلة جمعة » ، والعبّاسة ليست بكرة ، لقد مات عنها زوجها راوي الحديث الشريف ، أمير البصرة والكوفة ، محمد بن سلمان بن علي بن عبد الله بن العباس .

وتقول الرواية : كان الرشيد لا يصبر عن جعفر وعن أخته العباسة ، فكيف
كبر بطنها ، وكيف ولدت في بيته ولم ينتبه الرشيد إلى ذلك ؟!

والعباسة ، يعرفها جعفر جيداً حسب الرواية ، لذلك ذكرت الرواية عبارة
لتنسجم الأكذوبة : « دخلت عليه ولم يتحقق من وجهها » ، فكيف لم يتحقق
منها ولم يعرفها ، وهي التي تداوم معه يومياً في مجلس الشراب ؟!

والتاريخ لم يذكر لنا مطلقاً مصير الأميرين ابني العباسة ، إنها أميران من
نسل « برمكي فارسي » ، لو صح وجودهما ، لاغتم الفرس الفرصة وبايعوا لهما
كيداً بالدولة العباسية ، العربية الحكم والمظهر .

المتفحص للروايتين ، يجد التناقض واضحاً جلياً بينهما ، تناقضاً في البناء
والجوهر ، واتفقتا في الطعن والتجريح والافتراء ، لذلك رفض الخطيب البغدادي
(في تاريخ بغداد) ، وابن تغري بردي (في النجوم الزاهرة) أحداث العباسة مع
جعفر ، وخاصة إذا علمنا أن العباسة (عُلَيَّة بنت المهدي بنت المنصور) ، من
أظرف النساء وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانة ، قال الصولي : لا أعرف لخلفاء بني
العباس بنتاً مثلها ، كانت أكثر أيام طهرها مشغولة بالصلاة ، ودرس القرآن ،
ولزوم المحراب .

ومن أورد قصة العباسة مع جعفر جعلها سبباً لنكبة البرامكة ، وهذا يجعلها
من نسج الخيال أيضاً ، لأن نكبة البرامكة ، عمل حاسم ضد عمل خطير هو :
« إساءة استعمال السلطة » .

فمن وضع القصة ، ومن روج لها ؟

القصة من وضع البرامكة أو أعوانهم عن قصد ، روج لها الفرس ، إذلالاً
للرشيد الذي نكبهم ، فالقصة في عرفهم تطاول على عِرض وشرف وسمعة الرشيد

وإذلال له ، وليطمسوا - عن سوء قصد - نواياهم وشعوبيتهم وتفاخرهم في فارسيته ، وليطمسوا أيضاً تشيعهم المغرق في الحقد على العباسيين .

ورُوجَّ للقصة الخرافية - كما يقول صاحب الأعلام « ١٩٨/٥ » - ككتاب الخيال الغربيون ، فنُشرت عنها عدة قصص منها ما نشره لاهارب Laharpe بالفرنسية ، وفون هامار Von Hammer بالألمانية . وجاء جرجي زيدان لأمر صليبي في نفسه ، ونسي فضل العباسة وصيانتها لدينها .. وألّف كتاباً اعتمد كُله على قصة من نسج الخيال البرمكي^(١) .

أما « نكب البيت الذي أسسه خالد البرمكي وجعله غرة في جبين الدهر » ، فهو بيت فارسي كسروي ، أرادها شعوية لا عربيّة ولا إسلاميّة ، فعاجله الرشيد بنكبة ماحقة .

إن نكبة البرامكة نكبة وهلاك جماعي ، فهو لابد عقاب على فعل جماعي ، خُطِّط له لكنه لم يتم ، فالرشيد لم يُرق دماً يوماً ، ولم يسجن شخصاً في أي يوم .. إلا لسبب يُقرّه الدين والعقل والمنطق السليم ، فمن باب أولى ألاّ ينكّل بجماعة بسبب ظن ، أو بسبب إساءة فردية من أحد أفرادها .

لقد حمى البرامكة بجاههم وبالأموال التي رُضعت بين أيديهم الثقافة الفارسية ، ونشروها بما لهم من جاه وسلطان ، روى الجاحظ عن ثُمّامة ، قال : كان أصحابنا يقولون : لم يكن يُرى لجلس خالد « البرمكي » دار إلاّ وخالد بناها له ، ولا ضيعة إلاّ وخالد ابتاعها له ، ولا ولد إلاّ وخالد ابتاع أمّه إن كانت أمة أو أدّى مهرها إن كانت حرة ، ولا دابة إلاّ وخالد حمله عليها ، إما من نتاجه أو من غير نتاجه^(٢) .

(١) جعل جرجي زيدان عنوان كتابه البعيد عن الحقيقة والتاريخ : « العباسة أخت الرشيد » .

(٢) الجعشيري : ١٧٣ ، تاريخ بغداد : ١٤٤/٤

ولقد آوى البرامكة كثيرين ممن اتهموا بالزندقة كمحمد بن الليث الخطيب^(١) ، وهشام بن الحكم الرافضي ، ولقد هال البرامكة الفرس قوة الدولة العباسية ، خاصة وقد انتقل الحكم من الأمويين إلى العباسيين ، ونفوس الفرس تطمح إلى حكم فارسي في المظهر والمضمون ، في اللغة والتراث ، لذلك شجعوا المانوية والزرادشتية والمزدكية بحجة حرية الرأي .

ولذلك قال كثيرون إن البرامكة يطربون لذكر الشوك والكفر في مجالسهم الخاصة ، قال الأصمعي في البرامكة :

إذا ذُكِرَ الشُّوكُ في مجلسٍ أنارتُ وجوهُ بني بَرَمَك
وإنْ تَلَيْتُ عَنْدهم آيَةً أتوا بالأحاديثِ عَنْ مَرْدَك^(٢)
وقال آخر :

إنَّ الفراغَ دَعَاني إلى ابتناء المَسَاجِدِ
وإنْ رأيَ فيهِمَ _____ كرايَ يحيى بن خَالِد^(٣)

لقد نكب الرشيد البرامكة بسبب « إساءة استعمال السلطة » ، أطلقوا عدو الرشيد يحيى بن عبد الله ووجهوا معه من أوصله إلى بلاده ، وأنفقوا الأموال على قصورهم وخدمهم وبني ملتهم وتطاولوا في بنيانهم ، وحموا الشعويّة وكل ما هو فارسي ، كل ذلك على حساب الرشيد ، فكانهم هم الخلفاء ، لذلك قال الرشيد بعد نكبتهم :

إن استهانتَها إذا وقعت لبقدر ما تعلوها رَبَّتْ به
وإذا بدت للنمل أجحةً حتى يطير فقد دنا عَطْبُ به^(٤)

دولة الرشيد غرة في جبين الدهر خالدة ، لا « دولة البرامكة » .

(١) ابن النديم : ١٢

(٢) عيون الأخبار : ٥١/١

(٤) مروج الذهب : ٤٠٦/٦

جابر بن حيان الكوفي ، الحسن بن الهيثم ، إِيَادَ اللَّهِ البتّاني ، الخوارزمي ،
أبو حنيفة الدينوري ، البيروني .. العلماء الذين تعتز بهم الإنسانية ، لأنّ نهضتها
تدين لهم بالفضل ، منهم من عاش في كنف الرشيد ، ومنهم من هبّأ له الرشيد
كنوز العلوم في « بيت الحكمة » ، فنهلوا من مراجعها ومصادرِها ، لقد بنى لهم
الرشيد « بيت الحكمة » مكتبة فريدة لا نظير لها إلا في جوهرة العالم قرطبة ،
فأينعت هذه المكتبة أيام المأمون ، فكل عالم استفاد من هذه الدار ، التي جعل
فيها الرشيد راتب النساخ ألفي دينار في الشهر الواحد .

في دولة الرشيد تقدّمت الصناعات : الإنبيق ، الساعات الدقّاقة ، أدوات
الملاحة ، تقطير الأدوية ، العمليّات الجراحية الدقيقة بأدوات تشريح راقية ،
المستشفيات العديدة في كل المدن الكبرى ، وفي كل الأقاليم .

إن الثروة الهائلة عمّت دولة الرشيد ، فأمنت الرفاه لكل الناس لا لبغداد
وحدها ، ثروة عظيمة استخدمت في مجالاتها الصحيحة ، كما رسم أبو يوسف في
كتابه « الخراج » ، ولم تنفق في قصور ألف ليلة وليلة الأسطوريّة .

التندّر على تاريخنا صار مهنة تمتن لطنع تراثنا .

والافتراء صار حرفة تنفق الملايين عليها ، من قبل جهات يهتمها أن يشعر
جيلنا بعقدة النقص ، وليزهد بصانعي تاريخه ، وأعلام فكره ، وبالتالي ليفتّش
عن رجالات جدد ، وفكر جديد يظنّه مثالياً ، لأنّه صوّر له بتزيينات
وزيادات وتفخيم وتبجيل عن قصد ، لأنّهم يعلمون علم اليقين أن احتقار
رجالاتنا ، أو الزهد بتاريخنا ، فيه المسخ لذاتيتنا ، وفيه تفكّك الأمة ،
واضحلال شخصيتها ، وهذا ما يسعون إليه بكل طاقاتهم .

فدولة الرشيد غرّة في جبين الدهر خالدة ، لا دولة بني برمك .

☆ ☆ ☆

٢٩ - « وذكر المسعودي أن إبراهيم بن المهدي استزار أخاه الرشيد ، فلما وضعت البوارد على المائدة ، رأى الرشيد السمك ، فاستصغر القطع ، فقال إبراهيم : هذه ألسنة السمك ، وأردف الخادم قائلاً : يا أمير المؤمنين فيها أكثر من مئة وخمسين لساناً . فاستحلفه الرشيد عن مبلغ ثمن السمك ، فأخبره أنه قام ذلك بأكثر من ألف درهم . وأننا إذا جردنا صورة حياة البلاط ببغداد عما ألبستها إياه القرائح الشرقية من الإطناب والمبالغة ، لرأينا فيها بالرغم من ذلك التجريد ما يملأ النفس دهشة وعجباً » ، صفحة ٣٧٧ .

ما أرخص هذا الدس ، إنه يدل على نفسية معينة ، أقل ما نقول فيها ، إنها نفسية من قال : « ولا تقربوا الصلاة » ، وأغفل : « وأنتم سكارى » .

القصة كما أوردها المسعودي في مروج الذهب : ٣٧٣/٢ ، حرفياً كما يلي : « حدث إبراهيم بن المهدي قال : استزرت الرشيد بالرقعة ، فزارني ، وكان يأكل الطعام الحار قبل البارد ، فلما وضعت البوارد رأى فيما قرب إليه منها جام قريص^(١) مثل قريص السمك ، فاستصغر القطع وقال : لِمَ صَغُرَ طَبَّاخُكَ تقطيع السمك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه ألسنة السمك ، قال : فيشبه أن يكون في هذا الجام مئة لسان ، فقال مراقب خادمه : يا أمير المؤمنين ، فيها أكثر من مئة وخمسين ، فاستحلفه عن مبلغ ثمن السمك ، فأخبره أنه قام بأكثر من ألف درهم ، فرفع الرشيد يده ، وحلف أن لا يطعم شيئاً دون أن يحضره ألف درهم ، فلما حضر المال ، أمر أن يتصدق به ، وقال : أرجو أن يكون كفارة لسرفك في إنفاقك على جام سمك ألف درهم ، ثم ناول الجام بعض خدمه وقال : اخرج من

(١) أي إناء من فضة فيه قطع .

دار أخي ، ثم انظر أول سائل تراه فادفعه إليه . قال إبراهيم : وكان شراء الجام على الرشيد بمائتين وسبعين ديناراً ، فغمزت بعض خدمي للخروج مع الخادم ليبتاع الجام من يصير إليه ، وفطن الرشيد ، فقال له : يا غلام ، إذا دفعته إلى سائل فقل له يقول لك أمير المؤمنين : احذر أن تبيعه بأقل من مائتي دينار ، فإنه خير منها ، ففعل الخادم ذلك ، فوالله ما أمكن خادمي أن يخلصه من السائل إلا بمائتي دينار .

هذه هي القصة ، فأَيُّ إشكال فيها ؟

بل كيف قُلبَت رأساً على عقب ؟

الرشيد ضيف عند أخيه إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ، فأراد إبراهيم إكرام أخيه الرشيد ، فقدم إليه صحناً من ألسنة السمك ، وظنه الرشيد قطع سمك صغيرة ، ولما علم أنه ألسنة سمك أنب أخاه إبراهيم ، وأمره أن يتصدق بألف درهم « لسرّيك في إنفاقك على جام سمك » ، ثم أمر أن يتصدق بالجام بما فيه ، فتصدّق به ، وأمر الخادم أن يُعلِّم أول سائل يراه ما قيمة ما قدّم إليه ، فأية غضاظة في هذا ؟ إنها صور مشرقة مشرفة ، فكيف يوردها حتّى ناقصة مبتورة ، ولا يروي ردّ فعل الرشيد ، ويجعلها قصّة للتندّر على حياة بلاط الرشيد ، والقصّة لم تكن في قصر الرشيد ، إنها في الرقة في بيت إبراهيم بن المهدي ؟

وهذا دليل كاف يثبت بُعْدُهُ عن الموضوعية ، ويثبت تشويهه ودسّه عن علم وقصد ، وإلاّ ما دام كتاب المسعودي مروج الذهب بين يديه مصدراً ، فلماذا لم يتم القصة ، وقد قال : « ذكر المسعودي » ؟!

لقد أورد القصة بشكل يدين بها الرشيد ، قمة الحضارة العربيّة الإسلاميّة . فهنيئاً لمن اطلع على تاريخنا عن طريق ما كتب حتّى !! ومن أجل هذا الدس

والتشويه ، عمدت أمريكا لطبع كتاب حتي لصالح الجيش الأمريكي ونشر التاريخ العربي مشوّهاً .



٣٠ - ويقول حتي في الصفحة ٣٧٢ : إن تقفور أرسل كتاباً « مهيناً » للرشيد .

والحقيقة التاريخية تقول : في سنة ١٨٧ هـ ، نقض صاحب الروم تقفور الصلح الذي كان بين المسلمين وبين الامبراطورة إيريني ، بعد أن خلعتها الروم وملّكوه ، ولما تأكّد تقفور أن الروم قد استوسقت^(١) له بالطاعة ، كتب إلى الرشيد :

من تقفور ملك الروم ، إلى هارون ملك العرب ، أما بعد ، فإن الملكة التي كانت قبلي ، أقامتك مقام الرُّخ^(٢) ، وأقامت نفسها مقام البَيْدق ، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثاله إليها ، لكن ذاك ضعف النساء وحقهن ، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها ، وافقد نفسك بما يقع به من المصادرة لك ، وإلا فالسيف بيننا وبينك .

فلما قرأ الرشيد الكتاب غضب ، فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارون أمير المؤمنين إلى تقفور كلب الروم ، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه والسلام^(٣) .

ثم شخص من يومه ، وسار حتى أناخ بباب هِرْقَلَة ، ففتح وغنم ، فطلب

(١) استوسق له الأمر إذا تمكّن منه .

(٢) الرُّخ : من أداة الشطرنج ، والبَيْدق من أداة الشطرنج أيضاً ويمثّل جندياً ، ومعروف أن الرُّخ أقوى حركة وقية من البَيْدق على رقعة الشطرنج .

(٣) الكامل في التاريخ : ١١٨/٥ ، البداية والنهاية : ١٩٣/١٠ ، تاريخ الموصل : ٣٠٩ ، تاريخ الخلفاء : ٢٨٨ ، تاريخ ابن الوردي : ٢٨٣/١

تقفور المودة على جزية يؤديها كل سنة ، فأجابه الرشيد إلى ذلك ، فلما رجع من غزوته ، وصار بالركة نقض تقفور العهد ، وخان الميثاق ، وكان البرد شديداً ، فيئس تقفور من رجعة الرشيد إليه ، ولكن الرشيد عاد بنفسه مع جيشه ، فلم يبرح حتى بلغ ما أراد ، وأذل تقفور وجنده .

ويقول حتّي في الصفحة ٣٧٣ عن الرشيد : أرسل الحملات على البيزنطيين وهو مقيم في مقرّه بالركة عند الفرات ، على خط الدفاع على الحدود الشاميّة .

فكتاب الرشيد هو الكتاب « المهين » لنقفور .

والرشيد قاد بنفسه جيشه إلى قلب بلاد الروم ولم يقم في مقرّه بالركة عند الفرات على خط الدفاع على الحدود الشاميّة . لكنه حتّي ، يكتب بروح المستشرقين المتعصّبين ، الذين أصرّوا على إدانة تاريخنا ، والاستخفاف بأعلامه .

☆ ☆ ☆

٣١ - « إن خمسة آلاف نصراني من بني تنوخ رآهم المهدي بجوار حلب ، فأمرهم أن يُسلموا فامتثلوا » .

المرجع يا فيليب خوري حتّي ؟

المرجع : تاريخ مختصر الدول ، لابن العربي^(١) .

كفانا ، إنه معروف بصليبيته ، وبعده عن الحقيقة ، وفي تلفيقه الأحداث ، وتشويه تاريخنا ورجاله .

☆ ☆ ☆

٣٢ - بعد ذِكْرِ حتّي : غارات القراصنة المسلمين على صِقْلِيَّة قال : « واستولى

(١) . يكثر حتّي من الاستعانة في كتابه بتاريخ ابن العربي (نشر صالحاني ، بيروت : ١٨٩٠) ، وهو كتاب غير موثوق .

الأغلبية أيضاً على مالطة وسردينيا ، وذلك بواسطة قرصانهم الذين نفذوا بغاراتهم إلى رومة ، وفي الوقت نفسه تكررّت غارات القرصان المسلمين من كريت على جنوبي بحر إيجه » ، صفحة : ٥٤٢

وقال في الصفحة ٦٥٩ : « قرصنة البحر المراكشيون » ^(١) .

القرصنة : هم لصوص البحر .

وما كان في يوم من الأيام الفقيه المجاهد أسد بن الفرات ، وجيشه الذي فتح صِقْلِيَّةَ ، قرصنة ، إنهم مجاهدون ، ولم يذكر هؤلاء المجاهدين بلفظ « قرصنة » إلا حاقد ، صليبي ، مبشّر .

ودليل أنهم فاتحون لا قرصنة ما يلي :

كانت حضارة المسلمين عند فتح صِقْلِيَّةَ في أوج عظمتها ، فانسابت إليها خلال قرنين من الزمن ألوان الثقافة والمدنيّة من العالم الإسلامي .

لقد قامت في جزيرة صقلية دولة إسلاميّة ، ازدهرت في ظلها حضارة رائعة في الجزيرة ، وغدت حديقة يانعة تزدهو بعلومها وتجارتها وصناعتها ، حتى إذا أدرك المسلمون الوهن ، وحلّ بينهم التفكُّك ، توالى حملات النورمان الفرنج على الجزيرة ، حتى تمكن الدوق روجر من احتلال الجزيرة ، وانتهت بذلك دولة الإسلام في صقلية كما ينتهي الحلم السعيد .

إن صقلية تعتبر بحق مركزاً هاماً من مراكز نقل الفكر الإسلامي إلى الغرب ، فقد كانت في العصور الوسطى مركز إشعاع فكري لأوربة جميعها ، جاء في دائرة المعارف « لاروس » ^(٢) : إن صقلية مدينة للعرب بأسمى ما عرفته

(١) هكذا وردت الكلمة وصوابها : « المراكشيون » .

(٢) المجلد : ١٤ ، ص : ٦٧٩ ، انظر « موسوعة التاريخ الإسلامي » : ٢٨٣/٤

من تقدّم زراعي ، فالقطن وقصب السكر والفسق وغيرها ، لم تعرفه الجزيرة إلاّ بعد دخول المسلمين إليها .

وما هو جدير بالذكر أن الحضارة العربيّة الإسلاميّة في صقلية استمرت في الازدهار حيناً من الدهر بعد احتلال النورماندين لها ، فقد قدّر النورمان تفوّق المسلمين الحضاري ، فأثروا الانتفاع بعلوم المسلمين ومعارفهم وصناعاتهم ، ولذا فقد سمحوا ببقاء جالية إسلاميّة في صقلية ، تعيش في ظل النورمان آمنة متمتعة بشعائرها ونشاطها العلمي والصناعي ، ولا شك أن هذا التسامح قد اقتبسه النورمان من المسلمين تقليداً .

كما دعا الدوق روجر الثاني ابن فاتح الجزيرة النورماندي ، رهطاً من العلماء المسلمين من الصقليين المحليين ، ومن إفريقية والأندلس للعمل في بلاطه ، وكان في مقدّمة هؤلاء العلامة الجغرافي أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي السبتي ، الذي دعاه الدوق وأغدق عليه رعايته ، وعهد إليه بأن يعمل كرة أرضيّة من الفضة الخالصة ، ترسم عليها الأقاليم المعروفة آنذاك ، فقام العلامة المسلم بمهمته على أكمل وجه ، فكافأه الدوق عليها أعظم مكافأة .

كما احتفظ روجر بنظام الإدارة الإسلامي ، واستعان في إدارة شؤون الدولة بالموظفين المسلمين ، بحيث كان بلاطه في « بلرم » شرقياً أكثر منه غربياً ، وبقيت صقلية نحو قرن من الزمن بعد هذا العهد وهي في وضع فذ نادر ، إذ كانت مملكة نصرانية ، أسندت فيها بعض الوظائف العليا إلى المسلمين .

ولذلك .. فلا غرابة إذا قلنا : إن النقود التي ضربها النورمان سنة احتلالهم بلرم ، كانت تحمل الشهادة الإسلامية كاملة ، والآية الكريمة : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ، [الصف : ٩] .

وكانت زينة الملك غليام كملوك المسلمين تماماً ، ومن عجيب أمره أنه يقرأ ويكتب بالعربية ، وعلامته : الحمد لله حق حمده ، وكانت علامة أبيه : الحمد لله شكراً لأنعمه .

فمن ترك هذا الأثر في صقلية ، فاتح ، حضاري ... لا لصوص بحر قراصنة .



٣٣ - وقال في الصفحة ٥٤٤ في معرض حديثه عن قيام الدولة الطولونية : « وكان ذلك فاتحة فصل جديد في تاريخ مصر ، أصبحت بعده دولة مستقلة ، حافظت على سيادتها طوال العصور الوسطى » .

ثم ناقض حتّى ذاته في الصفحة ٥٤٧ عندما قال : « فلا عجب إذا كانت الدولة التي شيّدها ابن طولون قد عادت إلى حوزة العباسيين في ولاية شيبان (٩٠٤ - ٥) ابن رابع الملوك الطولونيين » .

فكيف حافظت على سيادتها طوال العصور الوسطى ، وهذه الدولة قامت : ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م ، وانتهت : ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م حيث عادت مصر ولاية عباسية كما كانت ؟



٣٤ - وقال عن معركة عين جالوت : إنها كانت بقيادة « القائد العظيم بيبرس قائد السلطان قُطُز » ، صفحة ٥٨٤

وكرر ذلك ثانية في الصفحة ٧٧٦ : « انتصار بيبرس في عين جالوت » .

وصوابه : قائد عين جالوت : الملك المظفر قُطُز ، الذي بدأ حكمه لمصر في ٢٤ ذي القعدة سنة ٦٥٧ هـ ، والذي خرج من القاهرة في يوم الاثنين الخامس من

شهر شعبان ٦٥٨ هـ (آب - أغسطس - ١٢٦٠ م) على رأس قوّاته ، وأرسل
طلّاعه بقيادة الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري .

وفي صباح يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان (٦ أيلول
- سبتمبر - ١٢٦٠ م) ، بدأت المعركة بين المسلمين والتتار ، وكان السلطان قطز
يقود المعركة بنفسه ، يخترق الصفوف وهو يصيح : « وإسلاماه » ، ولما تحقّق له
النصر على التتار الذين كانوا بقيادة « كتبغا » ، نزل عن فرسه ، ومزّغ وجهه في
الأرض ، وسجد لله شكراً على ما أولاه من نصر باهر ، وأرسل رأس كتبغا إلى
القاهرة ، وطيف به ، وعمّ البشّر والسُرور كل مكان .

وسارت بعضُ القوات الإسلاميّة بقيادة بيبرس لمطاردة التتار .

فقائد عين جالوت الملك المظفر قُطز ، لا بيبرس الذي تسلّم بعد قُطز .

وفي الصفحة ذاتها « صفحة : ٥٨٤ » ، يقول حتّي أيضاً : آخر الخلفاء
العباسيين في بغداد « المعتصم » .

وصوابه : آخر الخلفاء العباسيين في بغداد : « المستعصم بالله » .



٣٥ - « وحسد موسى طارقاً مولاه على هذا الانتصار الرائع الذي لم يكن
منتظراً ، فشخص في حزيران سنة ٧١٢ إلى الأندلس على رأس عشرة آلاف من
العرب وأهل الشام ، وقصد المدن والحصون التي تجنبها مولاه كمدينة شذونة
وقرمونة وإشبيلية » ، « التقى موسى بطارق في طليطلة أوقريباً منها ، فوبّخه
وضربه بالسّوط ، وسار به مشدود الوثاق لتقدمه دون رأيه وهو مولاه » ،
صفحة ٥٩١ .

وفي الصفحة ٥٩٢ قال : « إذلال موسى : سام سليمان خليفة الوليد « موسى »
ألوان العذاب وانزله إلى أحطّ دركات المذلة ، فقد أقامه في الشمس يوماً كاملاً في

نهار صائف حتى خرّ مغشياً عليه ، ثم جرّده من سلطته ، وصادر أمواله ، وآخر ما سُمِعَ عن هذا القائد الكبير فاتح أفريقية والأندلس ، أنّه شوهد في شيخوخته يستعطي في قرية نائية في وادي القرى من أعمال الحجاز .

وصواب ما سبق : فتح طارق فتوحه كلها وهو يعلم ، أنا قائده المباشر هو موسى بن نصير ، ويتّضح ذلك بقوله لأولاد غيطشة بعد معركة وادي لكّة عندما سأله : أنت أمير نفسك ، أم فوقك أمير ؟ فأجاب طارق بوضوح : « بل على رأسي أمير ، وفوق ذلك الأمير أمير أعظم ^(١) » .

لقد كان طارق يُعلِّمُ موسى أخباره أولاً بأول ، لقد كانت السفن رائحة غادية بين جبل طارق والجزيرة الخضراء من ناحية ، وبين الساحل الأفريقي من ناحية ثانية ، فلا يعقل مطلقاً أن موسى ظل جاهلاً بما يفتح طارق ، الذي وصل إلى طليطلة وما وراءها .

لقد شعر موسى بأن المسلمين قد استرسلوا أكثر مما ينبغي ، وأن خطوط مواصلاتهم في الأندلس الواسعة في خطر ، فقد بقيت مناطق واسعة في شرق الأندلس وفي غربها لم تفتح بعد ، فسار بنفسه يفتح تلك المدن كي لا يفصل الجيش الإسلامي في الشمال عن الحامية الصغيرة التي كانت في قرطبة ، أو قطع الجيش والحامية معاً عن موانئ الاتصال بإفريقية ، ودليل ذلك أن موسى في الأندلس ، سلك طريقاً غير التي سلكها طارق ، ففتح مدناً لم تفتح من قبل .

فمن قال إن موسى حسد طارقاً ، ودبّت بنفسه الغيرة ، لا صحّة لقوله ، فليس للحسد في مثل هذا الوضع مكان ، لأن طارقاً مهما كان حاله في الأندلس ، فهو مولى موسى ، يفتح باسمه ، والرّجلان بعد لقائهما تعاوناً ، وترك موسى طارقاً على قيادة جيشه ، وسار كل منهما في اتجاه ، متعاونين متساعدين ، ولو

(١) نفع الطبيب : ٢٤٩/١ ، و « الأمير الأعظم » هو الوليد ، خليفة المساميين بدمشق .

كان ما ذكر من خلاف وحقد وحسد صحيحاً ، لما حدث ما جرى من تكامل تام في العمل بعد لقاءها .

ومرجع الرواية التي تظهر وتصوّر القائدين المسلمين العظميين متعاديين مغيث الرومي ، الذي كان يرى في نفسه أنه أحق من موسى في ولاية الأندلس ، ومغيث الرومي لما سمع أن الخليفة يريد تعيين طارق على الأندلس بعد موسى ، مضى يخوّف الخليفة منه ، ويبعده عن إنفاذ هذا الغرض ، لأنه كان يطمع لنفسه في ذلك ، ويبدو أن الخليفة استبان كذب حديثه ، فلم يعطه الولاية التي رجا ، فعاد إلى الأندلس كما خرج منها ، بل ترك سليمان بن عبد الملك الأندلس في يد عبد العزيز بن موسى بن نصير^(١) .

وبذلك يمكن القول : إن موسى عبر المضيق إلى الأندلس ، بناء على استغاثة وجهها إليه طارق ، ولو عبر موسى بعدد قليل من الجند لقلنا : إنه عبر من تلقاء نفسه ، لكي يرى النتيجة ، وما وصل إليه طارق من فتوح ، ولكنه عبر في جيش عدده ١٨,٠٠٠ جندي ، وتخير الأجناد الذين صاحبه ، تخير المقبل على أمر خطير ، هو إتمام فتح الأندلس ، وحماية المسلمين المتجهين مع طارق نحو الشمال .

وهكذا .. إن حدث خلاف بين القائدين الكبيرين ، فهو تأنيب موسى لطارق فقط ، فقد خاف موسى على انتشار المسلمين بعددهم القليل في بلاد شاسعة كالأندلس ، لكن طارقاً لم يتوقّف عن التوغّل كما أمر موسى ، بل تابع القتال كي لا يعطي الإسبان فرصة يلمون شعثهم ، ويوحّدون كلمتهم .

والفقرة الثانية تقول : نكّل سليمان بن عبد الملك بطارق وموسى ، وصادر أملاك موسى وعذّبه ..

(١) فجر الأندلس : ٨٨ .

لو كان سليمان قد أنزل بموسى هذه الأمور ، لما ترك ولديه واليين على أفريقية والأندلس ، وموسى كان أثيراً على نفس يزيد بن المهلب وزير سليمان بن عبد الملك ، وصاحب الأمر في دولته ، وكل ما نستطيع قبوله ، أن سليمان ترك موسى لكبر سنّه ، فاستحسن أن يخلّيه من العمل ، وأن يَبقى ابنه مكانه في أفريقية والأندلس ، وبقي الفاتح الكبير في صحبة الخليفة حتى مات وهو في ركبته في طريق الحج بوادي القرى .



٣٦ - « ثم أخذ - عبد الرحمن الغافقي - بوردو عنوة ، وأشعل النار في كنائسها ، وبعد أن أحرق الباسيليكا (الكنيسة) القائمة خارج أسوار بواتييه ، زحف شمالاً حتى جوار مدينة تور » ، الصفحة : ٥٩٦ .

« وليس من شك في أن الطُرف والكنوز النفيسة التي عُرِفَتْ فيها كانت من العوامل التي حرّكت الفاتحين لمهاجمتها » ، معركة بواتييه معركة فاصلة في التاريخ : « ولكن الواقع أنها لم تفصل شيئاً » ، صفحة : ٥٩٧ .

وصواب ما سبق .

النصوص التي وردت بالمراجع الأجنبية اللاتينية تشير بوضوح إلى أن الذين خرّبوا الكنائس والأديرة هم قبائل الوند ، والوندال ، فجاء مؤرخو الكنيسة وقالوا : إن المراد بهذه الألفاظ هم المسلمون ، مع أن الفرنجة أنفسهم بقيادة شارل مارتل نهبوا الكنائس ، واستولوا على كنوزها ، وخرّبوها فيما بعد وقعة بواتييه^(١) .

الكنائس والأديرة التي تهدّمت في فرنسة ، جرت أحداثها وفق ما يلي :

(١) فجر الأندلس : ٢٥٨ و ٢٥٩ .

- إن عدداً من الكنائس والأديرة ، وخاصة تلك التي كانت مبنية خارج أسوار المدن ككنيسة مدينة تور مثلاً ، كانت قلاعاً وحصوناً في حقيقتها ، وكان الفرنجة يقاتلون المسلمين من ورائها ، فليس بدعاً إذا هدم المسلمون بعضها أثناء المعارك .

- وكانت قبائل البرابرة الجرمان لا تزال إلى ذلك الحين على الوثنيّة ، وكان القتال محتدماً بينها وبين خصومها من الفرنجة وسواهم ، فكانت تلك القبائل تعيش في غربي أوربة ، وتدمّر كل شيء بما في ذلك الكنائس .

- كان شارل مارتل نفسه إذا هاجم أراضي خصومه ومنافسيه ، لا يتورّع عن تهديم الكنائس ، مع أنه كان مسيحياً .

- وبما أن المؤرخين الأوربيين الأوّلين كانوا قسّساً ورهباناً ، فقد افتروا على المسلمين ، واتهموهم بأنهم كانوا يهدمون الكنائس والأديرة ، تأليباً للرأي العام المسيحي عليهم ، وكانوا أيضاً ينسبون إليهم هدم الكنائس التي كانت قد تهدّمت على يد القبائل الوثنيّة ، وعلى يد شارل مارتل نفسه .

- وعلى الإطلاق .. لم يُعرّف عن المسلمين خلال فتوحاتهم الواسعة شرقاً وغرباً ، أنهم اعتدوا على أديرة ورهبان ، إلّا في أرض غاليا ، فقد جادت قرائح المؤرخين الصليبيين بذلك زوراً وبهتاناً بعد بلاط الشهداء ؟!

أما قول حتّي : « وليس من شك في أن الطُرف والكنوز النفيسة التي عُرِفَتْ فيها كانت من العوامل التي حرّكت الفاتحين لمهاجمتها » ، فقول فيه كلّ الشك ، لأن هذه الطرف والكنوز النفيسة قد نهبتها القبائل الوثنيّة ، وما بقي منها أتمّ شارل مارتل نهبه وتدميره ، قبل الفتح العربي الإسلامي لفرنسة .

وقول حتّي عن بواتييه : « ولكن الواقع أنها لم تفصل شيئاً » ، فقول مردود

أيضاً ، فلو انتصر المسلمون في بواتيه ، لتخلّصت أوربة من ظلماتها وجهالتها واستبدادها ، وحطّمت الاستغلال والاضطهاد ، كما كانت ستتخلّص من عار محاكم التفتيش السوداء فيما بعد .

انتصار المسلمين يعني انتصار الحضارة بكل معانيها ، واسبانية وهي أقرب بقعة من فرنسة ، خير شاهد ، أما قال « ول ديورانت » في قصة الحضارة : « ولم تشهد بلاد الأندلس في تاريخها كلّ حكماً أكثر حرماً وعدالة وحرية مما شهدته في أيام فاتحيها العرب » ؟ . .

والحقيقة التي لا جدال فيها : أنه في سهول « تور - بواتيه » فقد المسلمون سيادة العالم بأسره ، وتغيّرت مصائر العالم القديم كلّهُ ، قال جيبون : « لو انتصر العرب في تور - بواتيه ، لتلّى القرآن وفُسر في أكسفورد وكبرج » ، فبواتيه معركة فاصلة في التاريخ العالمي ، فقد ترتّب عليها تغيير مجرى التاريخ إلى حدّ كبير ، وحتى يراها « لم تفصل شيئاً » .



٣٧ - « وأراد المعتمد اتقاء الخطر الذي تهدّده به ألفونسو السادس والسيد ، فارتكب أكبر خطأ ، إذ طلب النجدة من يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين في مراكش ، ورغبه في الجهاد ونصرة الإسلام » ، صفحة : ٦٤٢ . ثم قال حتّي « صفحة ٦٤٣ » : « غير أنه لم تمض فترة طويلة حتى عاد زعيم المرابطين هذا هو وأتباعه ، وكان هؤلاء قد سُموا البادية وقحطها ، وتاقت أنفسهم لأطايب المدينة الأندلسية التي تدوّقوها من قبل ، فنزلوا الأندلس مرة ثانية ، ولكنهم نزلوها هذه المرّة فاتحين لا منجدين » .

ما هذه الافتراءات والدسائس الرخيصة ؟
أين هذا من الحقيقة التاريخية ؟

توحدت جهود ألفونسو السادس ملك قشتالة الذي كان يحكم جليقية وجزءاً من البرتغال واشتوريش وليون ، وسانشو الأول ملك أراغون وناقارا ، والكونت برنجار ريموند حاكم برشلونة ، واتفقوا على سحق دولة الإسلام في الأندلس ، معتقدين جازمين بأن قدراتهم كافية لهذه المهمة .

لقد أخطأ المعتمد بن عباد أعظم أمراء الأندلس في معاونة ألفونسو على محاصرة طليطلة ، بيد أنه تنبه إلى خطئه ، فصار أوفر أمراء الأندلس نشاطاً لتحطيم قوى النصرانية ، وقال : « تالله إنني لأؤثر أن أرعى الجمال لسلطان مراکش ، على أن أغدو تابعاً لملك النصارى ، وأن أودّي له الجزية . إن رعي الجمال خير من رعي الخنازير » .

اجتمع ابن عباد مع الأمراء الآخرين في إشبيلية ثم في قرطبة ، واتفقوا على أن يرسلوا سفيراً إلى يوسف بن تاشفين أمير المرابطين يلتسون عونه وغوثه ، كما أمّت مدينة مراکش وفود شعبية كبيرة^(١) ، قدمت من الأندلس بزعامة بعض الفقهاء تطلب العون والغوث من أمير المرابطين .

قبل ابن تاشفين طلبهم ، وعبر في ربيع الأول ٤٧٩ هـ / آب (أغسطس) ١٠٨٦ م ، وما كادت السفن تنشر قلاعها حتى صعد إلى مقدّمة سفينته ، ورفع يديه نحو السماء ودعا الله مخلصاً : « اللهم إن كنت تعلم أن في جوازي هذا خيراً وصلاً للمسلمين فسهّل عليّ جواز هذا البحر ، وإن كان غير ذلك فصعّبهُ حتى لا أجوزه » .

وحقّق أمير المرابطين في « الزلاّقة » نصراً اهتزت له نفوس المسلمين في كل بقاع العالم الإسلامي ، وذلك يوم الجمعة ١٢ رجب ٤٧٩ هـ / ٢٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٠٨٦ م .

(١) الاستقصا : ٣٦/٢ ، الحلل الموشية : ٣٠ ، الحلل السندسية : ٤٧ .

استطاع ألفونسو السادس حشد جيش بشكل سريع ، جاءت امداداته من
فرنسة وألمانية ، فعبر ابن تاشفين عبوره الثاني في ربيع الأول ٤٨١ هـ / حزيران
(يونية) ١٠٨٨ م ، فأبعد الخطر الصليبي ، وترك حامية في الأندلس ، ولكن
ملوك الطوائف عادوا إلى خلافاتهم ، حتى حاول بعضهم توطيد سلطانهم على
حساب الإسلام ذاته ، ولم يتورّع بعضهم عن التحالف سراً مع ألفونسو السادس ،
فعاد ابن تاشفين إلى الأندلس بطلب من القضاة والفقهاء ، كما أن أبا حامد الغزالي
وأبا بكر الطرطوشي في الشرق الإسلامي أرسلوا لابن تاشفين خطاباً يحثانه فيه
على خدمة الإسلام ، ويفتيانه في ملوك الطوائف ، فضم ابن تاشفين الأندلس
لدولة المرابطين .

والواقع يقول إن ابن تاشفين لم يطمع في الأندلس ، وتردّد كثيراً قبل
العبور ، وعفّ عن الغنائم بعد الزلاّقة ، وتركها للمعتد ولأمرأ الأندلس ، ولم
يأخذ منها شيئاً ، وعاد إلى المغرب ، وكان الجواز الثاني بسبب اختلافات ملوك
الطوائف ، وكان الجواز الثالث لوضع حدّ لمهزلة ملوك الطوائف ، فقد شغله
هؤلاء الأمراء المتفرّقون عن الفتح والجهاد في أفريقية لفرقتهم وخلافاتهم ، فلاقوا
جزاء فرقتهم وخيانتهم . وابن تاشفين خصّ الأمراء وحدهم بقسوته وعقابه ، وعفا
عن الشعب المسلم ، لأنّ التناقض جلي بين مصلحة الشعب الذي طلب الاتحاد في
وجه النصارى ، والأمراء الذين آثروا التفرّق والخلاف حباً في الحكم وحفاظاً على
المصلحة الخاصة .

وأصبحت إسبانية المسلمة كلها بيد المرابطين سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ،
باستثناء ولاية سرقسطة ، حيث كان المستعين بالله أبو جعفر أحمد بن هود ،
حيث أبقاه ابن تاشفين لموقفه المشرف المشهود في وجه الزحف الصليبي .

لقد أبقى ابن تاشفين حكم العرب في إسبانية أربعة قرون أخرى ، فرأى

حتّى في ذلك (أكبر خطأ) ، وصحيح أن ابن تاشفين نفى المعتمد بن عباد إلى مراكش ، لكنه لم يسجنه ولم يعذّبه ، بل كانت إقامة جبرية ، فزوجه وبناته كنّ معه دوماً .

وقول حتّي حول الموضوع ذاته : غير أنه لم تمض فترة طويلة حتى عاد زعيم المرابطين هذا هو وأتباعه ، وكان هؤلاء قد سئوا البادية وقحطها ، وتاقت أنفسهم لأطايب المدينة الأندلسيّة التي تذوّقوها من قبل ، فنزلوا الأندلس مرّة ثانية ، ولكنهم نزلوها هذه المرّة فاتحين لا منجدين^(١) ، « ، صفحة ٦٤٣ ، يدحضه ما يلي :

- لم يسأموا البادية وقحطها ، فالمغرب جنّة وارفة ، وهم الذين اختاروا نشر الإسلام في موريتانية والسنغال وحدود الصحراء الكبرى الجنوبية طائعين مختارين ، وتركوا الأندلس لمسلميها .

- وأطايب المدينة الأندلسيّة رأوها جهاداً ، ولما جاءت الغنائم بعد الزلاّقة ، تركوها كلها لأهل الأندلس ، ولم يأخذوا منها شيئاً مطلقاً .

- وحتّي في قوله ما زال يريد إبعاد المسلمين عن الجهاد ، ويجعل العامل الاقتصادي « الغنائم والطيّبات » سبب حروب المسلمين ، وقد رددنا ذلك في صفحات سابقة .

- إن نجدة أمير المرابطين يوسف بن تاشفين لمسلمي الأندلس ، دفع عنهم

(١) قال حتّي أيضاً في الصفحة ٦٣٩ : « خرب المرابطون المراكشيون غرناطة سنة ١٠٩٠ م » ، والحقيقة : حاصر ابن تاشفين غرناطة ، لأن أميرها عبد الله بن بلكين بن باديس ، الذي كان قد تحالف سراً مع ألفونسو السادس ، ففتح ابن تاشفين غرناطة بعد حصار شهرين ، وأرسل عبد الله بن بلكين أسيراً إلى أغمات بالقرب من مراكش ، دون أن يدمر غرناطة .

خطر الصليبيين الإسبان ، وأبقاهم أربعة قرون أخرى في الأندلس ، مما أغضب حتى ، وجعل ابن عباد في نظره : يرتكب أكبر خطأ . فمن الذي ارتكب الخطأ ، ابن عباد في طلبه لابن تاشفين ، أم حتى في أحكامه وتعصُّبه وبعده عن الحقيقة الجليّة الواضحة ؟!



٣٨ - وقال حتى بعد مصرع غرناطة : « وبهذا انتهت المشكلة الإسلامية في إسبانية » ، « أقصى المسلمون عن البلاد ، وظهر محيّا إسبانية النصرانية ردحا من الدهر مشرقا كالبدر ، ولكن بنوز مستعار ، ثم حلّ به الحسوف وعم الظلام ، وما زالت البلاد تتسكّع في تلك الظلمة منذ ذلك الحين » ، صفحة : ٦٦٠ .

وقال في الصفحة ٧١٧ : « كان استرجاع النصارى لباري في عام ٨٧١ فاتحة عهد جديد زال فيه الخطر الذي كان جاثما على صدر إيطالية وأواسط أوروبا » .
فتح إسبانية مشكلة !! كلام يثبت حقد فيليب خوري حتى وصليبيته ، وتعمّقه في كتابة تاريخنا مع موضوعيته !!

المؤرخ الإسباني « سانسيث أوليورنوت » يقول : « إن الفتح العربي لإسبانيا جلب إليها كل خير » ، ويراه حتى « مشكلة » .

« انتهت المشكلة الإسلامية في إسبانية » ، حيث كانت جامعات المسلمين مفتوحة - كما يقول دريير - للطلبة الأوربيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم ، وكان أمراء أوربة يقدون على بلاد الإسلام ليُعَالجوا فيها ، وجربت الفرنسي درس في مدارس اشبيلية وقرطبة ، وتزوّد بالحضارة العربية الإسلامية ، ثم نُصّب بابا في رومة باسم سلفستر الثاني .

وغوستاف لوبون تمنى لو أن العرب فتحوا فرنسا ، لتغدو باريس مثل قرطبة في إسبانية مركزا للحضارة والعلم ، حيث كان رجل الشارع فيها يكتب

ويقرأ ويقرض الشعر أحياناً ، في الوقت الذي كان فيه ملوك أوربة لا يعرفون كتابة أسمائهم ، ويبصون بأختامهم .

ونامس تخبُّط حتَّى عندما قال : « ظهر محيّا إسبانية النصرانيّة ردحاً من الدهر مشرقاً كالبدر ، ولكن بنور مستعار » ، وجه إسبانية الحقيقي أشرق كالبدر أيام الفتح الإسلامي ، فإن ازدهرت إسبانية حقبة بعد مصرع غرناطة « بنور مستعار » فإنها كانت في دور تمثّل الحضارة العربيّة الإسلاميّة .

وكلمة « خطر » في الفقرة الثالثة ، يردها قول المؤرخ الإسباني سانسييت ، وقول غوستاف لوبون .



٣٩ - « أما المدينة - أنطاكية - وقلعتها وكنائسها الشهيرة فقد أحرقها - بيبرس - كلها ، وكانت كارثة لم تنهض بعدها أنطاكية حتى اليوم » ، صفحة : ٧٧٧ .
« هدموا أبراجها - أبراج عكا - ودكّوا تحصيناتها ، وأحرقوا منازلها » ،
صفحة : ٧٧٩ .

« وجاء المماليك فزاد هذا الدمار بتخريبهم مدن الساحل التي كان الإفرنج - الصليبيون - قد نزلوها » ، صفحة ٧٨٠ .

« أما أرمينية الصغرى فقد نهبها قلاوون اقتصاصاً لما قام به أهلها من مساعدة المغول ، ثم فتح قلاع الصليبيين أيضاً ، ودكّ أبنية طرابلس إلى الأرض ، ولكن أعيد بناؤها بعد بضع سنين » ، صفحة ٨٠١ .

أنطاكية : ثاني إمارة - بعد الرّها - أسسها الصليبيون في الشرق سنة ١٠٩٧ م ، وتوج بيبرس أعماله الحربيّة بتحريرها ، فوصل مدينة أنطاكية في منتصف أيار « مايو » ١٢٦٨ م ، وهناك قسّم جيشه إلى ثلاث فرق ، إحداها

اتجهت إلى ميناء السويدية لتقطع الصلة بين أنطاكية والبحر ، والثانية سدت الممرات بين قيليقية والشام لمنع وصول أية مساعدة إلى أنطاكية من أرمينية الصغرى ، في حين أخذت القوة الرئيسية تحت قيادة بيبرس نفسه تهاجم المدينة ، ولم تلبث أن سقطت بيده^(١) ، فجاء تحرير أنطاكية صدمة كبرى هزت الصليبيين ، فهوّل المصادر الصليبيّة الأمر ، حتى قدّروا عدد الأسرى في مراجعهم بمئة ألف أسير .

أما إحراق كنائس أنطاكية وتدميرها ، فإن حدث هذا ، فيكون ساعة حصار المدينة وقصفها ، أما هدم الكنائس ، لأنها كنائس ، فهذه ليست من شيم المسلمين أبداً .

أما عكا ، فيجب أن يعلم حتّى ومن على شاكلته ما يلي : إن حملة إيطاليّة تبنّتها البندقيّة ، وصلت عكا في آب « أغسطس » ١٢٩٠ م ، تدفعها الحماسة الدينيّة ، ولم تكد تطأ أرض عكا حتى أراد رجالها التعبير عن حماسهم الدينيّة ، فدفعتهم جهالتهم إلى الشروع في مهاجمة الفلاحين المسلمين في إقليم عكا ، ثم عادوا بعد ذلك إلى المدينة ليزبحوا كل من بداخلها من تجار المسلمين .

سمع السلطان قلاوون بما حدث ، فأقسم على أن ينتقم من الصليبيين ، ولم يكد يفرغ من كافة استعداداته الحربيّة ، ويفادر القاهرة متوجّهاً إلى الشام ، حتى دهمه الموت في ١٠ (نوفمبر) ١٢٩٠ م ، فهلّل الصليبيّون لتلك الوفاة ، وظنّوا أنّها إرادة الله تدخّلت لإنقاذ عكا ، ولكن سرعان ما خاب ظنّهم ، فقد استلم الحكم السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ، وحاصر عكا في ١٥ نيسان (إبريل) ١٢٩١ م ، ف ضرب أسوار المدينة بالمجانيق الكبار ، وبذلك أمكن إحداث عدة

(١) الحركة الصليبيّة ، د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، ص : ١١٤٩ .

ثقب في سور المدينة ، وفي يوم الجمعة ١٨ إيار « مايو » شدّد السلطان الأشرف خليل هجومه على عكا ، ونجحت قوّاته في تحرير المدينة .
فهل يمكن تحرير المدينة ، وقد تحصّن بها الصليبيّون دون دك أسوارها بالمجانيق ؟

وهكذا .. كل كلمة قالها حتّي عن تحرير أيّة مدينة ، قول فيه تهويل وعويل ، محقّقاً إسقاطاً على تاريخنا ، ارتكبه أجداده عندما احتلوا هذه المدن ، فرانسمان Runciman مؤرّخ الحروب الصليبيّة في أوربّة يقول : مذبحه بيت المقدس عام ١٠٩٩ م ، كانت لطخة عار في تاريخ الحملة الصليبيّة الأولى ، ففي مسجد عمر وحده ذُبِح عشرة آلاف مسلم ، ويكفي أن المؤرخين وصفوا هذه الحملات الصليبيّة بكلمتين اثنتين : « بربريّة همجيّة » ، وهذه البربريّة والهمجيّة أراد حتّي وصم المسلمين بها عندما حرّروا بلادهم من الصليبيين ، ونفيها عن قومه .

ولو كتب حتّي هذه الفترة - وغيرها - كما هي على حقيقتها ، مظهرأ بربريّة وهمجيّة « قومه » ، لما طُبِعَ من موجز كتابه خمسون ألف نسخة من قبل الجيش الأمريكي !!



٤٠ - « فتنة كان بطلها ضابط في الجيش اسمه أحمد عراقي من أبناء الفلاحين » ، صفحة : ٨٨٣ .

هل كانت الثورة العراقيّة مجرد فتنة ، كما أطلق عليها حتّي تحقيراً واستخفافاً بها ؟

لقد جنّدت سورّيّة والعراق شبابها للجهاد مع عراقي ، وكانت المآذن تدعو إلى انتصار عراقي ورفاقه ، كما حدث في تونس ، فهل اشترك الشباب العربي المسلم بفتنة ، أم بثورة ؟ وهل دعت المآذن لانتصار ثورة ، أم لانتصار فتنة ؟

الحقيقة التاريخية تقول^(١) :

بدأ سعيد باشا حفيد محمد علي سياسة القروض ، والتجأ إلى رجل الأعمال الدولي أبنهايم لتدبير القروض ، ففي عام ١٨٦٢ م ، كان أول قرض لمصر يعقده سعيد باشا بمساعدة أبنهايم . وخصم الدائنون من هذا القرض مبلغاً لا يستهان به ، وألزموا الحكومة بدفع فوائد ، وتسديد القرض بمبلغه الرسمي .

وفي عام ١٨٦٤ م وضع أبنهايم الترتيبات للحصول على قرض من بنك فروهلنغ وغوش مقداره : ٧٠٠ ألف جنيه استرليني ، ولم يدخل الخزانة المصرية سوى : ٤٨٦٠ ألف جنيه استرليني ، وكضمان للقرض سلم إسماعيل باشا إلى الدائنين الدخل الذي تحصل عليه الدولة من ثلاث أقاليم في الدلتا ، وتنازلت القروض من البنوك الأجنبية ، وتمكنت البنوك الإنجليزية خلال أحد عشر عاماً من ربط مصر بدين بلغت قيمته ٦٨ مليون جنيه كفرق بين التسهيلات ونفقات العمولة ، وبلغت كمية دين مصر الخارجي قبيل عام ١٨٧٦ م أربعة وتسعين مليون جنيه استرليني ، وقد تسرب إلى جيوب أصحاب البنوك كفرق بين التسهيلات ونفقات العمولة وغيرها ٢٢ مليون جنيه استرليني ، ومع ذلك ، أدرج هذا المبلغ الذي لم تستلمه مصر في الواقع مع المبالغ الاسمية للدين ، ودفعت مصر حتى عام ١٨٧٦ م لا أقل من ٥٠ مليون جنيه كفوائد على القروض الأصلية وسندات الدين ، ولم يُنفق في الحقيقة سوى مبلغ يتراوح ما بين ٥ إلى ٦ ملايين جنيه على منشآت تعود بالفائدة على مصر .

واضطر الخديوي إلى الموافقة على مطالب اللجنة المشكلة لدفع الديون ، وشكلت وزارة أوربية مختلطة شغل فيها أحد الإنجليز منصب وزير المالية ،

(١) انظر : الثورة العربية المفترى عليها ، سعد النائه ، مجلة الدوحة ، العدد : ١٠٦ ، المحرم ١٤٠٥ هـ / ت ١ « أكتوبر » ١٩٨٤ ، ص : ٧٦ وما بعدها .

وشغل أحد الفرنسيين منصب وزير الأشغال العامة ، كما شغل ممثلاً النمسة وإيطالية منصبي المراقب العام ومساعد وزير المالية ، وأصبح الأوربيون يسيطرون على شؤون مصر المالية ، وعلى إدارة البلاد أيضاً .

كان هذا مع المعاناة التي لقيها شعب مصر دافعاً لثورة عرابي . لقد بحث الاستعمار الأوربي عن استنزاف المال بأيّة وسيلة ، ومن أي مصدر ، وانهالوا على الفلاحين بالسيّاط ليحصلوا على الضرائب ، واضطر الفلاحون إلى الالتجاء للمرابين الأجانب ، وبلغت فوائد الرّبا الفاحش ٤٠ ٪ ، واجتاحتهم المجاعة .

وكتب مراسل صحيفة التايمز في ذلك الوقت : « مما يلهو به الزوار المتكهّمون أن يحصوا الموظفين الأوربيين القاعدين الذين يتقاضون آلاف الجنيّحات ، في الوقت الذي لا يستطيع فيه مئات من خدم الحكومة الوطنيين الحصول على مرتّبات قليلة متأخّرة من العام الماضي » ، ثم كتب : « إن وجود جيش جرر من موظفي الحكومة أشرف على الموت جوعاً ، لفضيحة أحق بالاعتبار من نفس تأجيل الدين العمومي تأجيلاً مؤقتاً » .

ثم قرّرت « الوزارة الأوربيّة المختلطة » تسريح ٢٥٠٠ ضابط من الجيش ، وتخفيض رواتب الباقيين بمقدار النصف ، وعدم دفع ما عليها من مرّتبّات سابقة ، فكان لا بدّ من الثورة والأوضاع في مصر تسيطر عليها وزارة انجليزية فرنسية نمساوية ايطالية .

وفي ٩ أيلول « سبتمبر » ١٨٨١ م يوم خالد في تاريخ مصر ، حيث احتشدت قوى الجيش بأسلحتها وذخيرتها في ميدان عابدين ، وتجمّع وراء صفوف الجيش آلاف من أهل القاهرة هاتفه : عرابي ، عرابي .

وأدرك الأجانب مغزى الثورة ، وكتب مراسل التايمز : « لا فائدة من إخفاء الحقيقة ، وهي أن هذه الحركة لا ترمي إلّا إلى هدم تدخل أوربة في

الإدارة المصريّة ، وأنه إذا كانت هذه النيّة منذ أسبوعين مقصورة على فئة قليلة من الضباط ، فإنها ليست الآن كذلك ، إن سكان الاسكندريّة والقاهرة المدنيين على الأقل ، وهم الذين كانوا على وجه العموم لا يهتمون بما يحدث ، أصبحوا يؤيّدون عمل الجيش كل التأييد ، وهم الآن أجراً على الجهر بأهدافهم .

وفي ٢٠ أيّار ١٨٨٢ قديم الأسطول الانجليزي إلى الاسكندريّة .

وفي ٢٥ أيّار طلبت بريطانية وفرنسة من الخديوي رسمياً إبعاد عرابي عن مصر ، وإقالة وزارة محمود سامي البارودي ، تسلّم الخديوي توفيق الإنذار ، واستقالت الوزارة .

وفي ٢٧ أيّار رفض ضباط حامية الاسكندرية إقالة عرابي ، فوافق الخديوي على إعادة عرابي وحده إلى وزارة الحربيّة .

وفي ١١ حزيران كانت فتنة الاسكندرية التي أثارها القنصل الإنجليزي عن طريق خادمه المالطي ، كانت نتيجتها ٥٠ قتيلاً وأوريباً ، و١٤٠ عريباً مصرياً ذُبحوا بسويغات .

وفي ٦ تموز قدّم الأميرال سيور ، قائد الأسطول الانجليزي في مصر ، إنذاراً إلى رئيس حامية الاسكندرية طالباً إليه توقيف أعمال التحصينات التي أمر بها عرابي ، وفي ١١ تموز ١٨٨٢ قَصَفَ سيور الاسكندرية بوحشيّة ، فحوّل المدينة إلى كومة ركام ، وتتابع أحداث الثورة ، ولكن بعد معركة التل الكبير « ١٣ أيلول » دخلت القوات الإنكليزية القاهرة ، وصدر الحكم بالإعدام بعدها على عرابي^(١) ، ثم استبدل بالنفي المؤبد إلى سيلان ، ومصادرة أملاكه وأمواله .

(١) ذكر محمود شاكري في كتابه « أباطيل وأسار » ، صفحة : ٤٢١ : « أقسم بشارة تقلا بشرفه ودينه لعرابي أنه وطني ومع الثورة ، فلما قبض على عرابي دخل عليه - بشارة تقلا - وتوقّع عليه أشد التوقّع ، ثم بصق في وجهه شامئاً ، فقال عرابي في مذكراته : فرأيت أن الرجل خائن لا شرف له . ولم يزد » .

لقد كانت ثورة وطنية بكل المقاييس العلميّة والعاطفيّة والإنسانية ، ولكن
حتّي رآها « فتنة » !!

هذه بعض افتراءات حتّي على تاريخنا العربي الإسلامي ، أوردناها مثلاً
ونموذجاً ، فمن ينبش كتاب حتّي يلمس ويرى بسهولة افتراءات وهفوات أخرى
كثيرة ، ويلمس من خلالها بعدها وبعده عن الموضوعيّة .



فيليب حتّي

والسيرة الشريفة

☆ « على أن قريشاً التي انتسب إليها الرسول كانت من نزار ، وهي من الدوحة الشمالية » .
حتّي .

نثبت في هذا الفصل إساءات وهفوات فيليب خوري حتّي ، التي قالها وقرّرها بحق رسول الله ﷺ ، متّبعين ورودها ، حسب تسلسل صفحات كتاب : « تاريخ العرب - مطّول » :

١ - « ولقد روى أبو هريرة عن أعرابي جاء يزور النبي قال : قام رسول الله ﷺ إلى الصلاة ، وقنا معه ، فقال أعرابي في الصلاة : اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً » ، صفحة : ٣٠ . وجعل حتّي مصدر هذا الحديث : أبو داود ، السنن .

أين هذا الخلط من الرواية الصحيحة كما جاءت في سنن أبي داود والبخاري والترمذي والنسائي ؟ الرواية تقول :

عن أبي هريرة قال : « قام رسول الله ﷺ في صلاة وقنا معه ، فقال أعرابي وهو - أي النبي ﷺ - في الصلاة : اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً ،

فلما سَلَّمَ النبي ﷺ قال للأعرابي : لقد حَجَّرت واسعاً ، يريد رحمة الله ^(١) .

فلم يقل الأعرابي في الصلاة ، بل قال الأعرابي والنبي ﷺ في الصلاة ، وعند الترمذي : أنه صَلَّى ثم قال : اللَّهُمَّ ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً ، فقال له النبي ﷺ لقد حَجَّرت واسعاً .

☆ ☆ ☆

٢ - « على أن قريشاً التي انتسب إليها الرسول كانت من نزار ، وهي من الدوحة الشمالية » ، صفحة : ٣٩ .

وهل في عبارة « التي انتسب إليها » ، إلا التشكيك والبعد عن الحقيقة ومجانبة الموضوعية ، مع استفهام كبير يوضع حول هذا المؤلف « النزيه الأكاديمي » ؟!

إن لم يكن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب من قريش ، فَنُ من قريش إذن ؟

« التي انتسب إليها » ، وكأنه ﷺ مولى لا يُعْرَفُ نَسَبُهُ ، فدخل تحت كنف قريش يحتمي بها ، ويأمن تحت لوائها ؟!

ولو لم يكن رسول الله ﷺ من صفوة قريش ، لعابت قريش عليه انتسابه إليها ، وطعنت بنسبه ، وهي التي تفاخر بالأنساب .

سأل هرقل Heraclius أبا سفيان بن حرب عن رسول الله ﷺ : كيف نسبه فيكم ؟

(١) انظر فتح الباري ، كتاب الأدب ، حديث : ٦٠١٠ ، جزء ١٠ ص ٤٣٨ ط : دار الفكر ، وفي ص : ٤٣٩ : أنه الذي بال في المسجد ، وأنه ذو الخويصرة اليماني ، أو الأقرع بن حابس ، وفي كتاب الوضوء ص : ٣٢٤ : فتناوله الناس بالسنتهم . ولمصنف في الأدب : فثار إليه الناس ، فقاموا إليه ، فزجره الناس ، وعند البيهقي : فصاح الناس به ..

فأجاب أبو سفيان : مَحْضاً من أَوْسَطنا نسباً ، هو فينا ذو نسب ، هو والله من بيت قريش^(١) .

وأنا أرى أن فيليب خوري حتّي هو الذي يقال عنه انتسب إلى العرب ، لأنّه لا يعقل أن يكون منهم وهو يشوّه تاريخهم ، ويشكك بحقائقه ، وإلّا بماذا نفسر هذا الافتراء على رسول الله ﷺ ؟

☆ ☆ ☆

٣ - « ولما كان النبيّ محمد شديد الرغبة في أن ينزع من عقول شعبه الآراء الدينيّة لعصر ما قبل الإسلام ، وخاصّة الشرك والوثنيّة ، فإنه لتعلّقه الشديد بمبدأ التوحيد ، أعلن أن الدين الجديد يحوكل ما كان قبله ، فحسب المفسّرون ذلك إيعازاً لحوكل ما تحدّر إليهم عن العصور الماضية من آراء وأفكار ، ولكن أتى لهم ذلك ؟ إن للفكر حياة مستمرة لا يستطيع الإنسان أن يميتها تماماً ، وليس في مقدور شخص واحد مهما كان قوياً أن ينقض الماضي بكلمة واحدة » ، صفحة ١١٧ ، و ١١٨ .

حقّاً وصدقاً ، كانت عند رسول الله ﷺ رغبة شديدة في نزع الشرك والوثنيّة من عقول العرب ، لأن الشرك والوثنيّة المحطّاط في مستوى العقل البشري ، والحدار في كرامته أن يعبد صنماً ، أو يتقرّب إلى الله عز وجل بوثن .

التوحيد المطلق مبدأ رئيس في مبادئ الإسلام : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، فلا شرك ولا وثنيّة .

أما أن الدين الجديد يحوكل ما كان قبله ، فهو هراء وافتراء من افتراءات حتّي ، وفلسفته التي أتبعها « إنّ للفكر حياة .. » ، « وليس في مقدور شخص

(١) إعلام السائلين : ١٠ ، ابن خلدون : ٣٦٢/٢ ، البداية والنهاية : ٢٦٢/٤ ، الكامل في التاريخ : ١٤٣/٢ ، السيرة الحلبية : ٢٧٢/٣ ، السيرة النبويّة لابن كثير : ٤٩٥/٣ .

واحد مهما كان قوياً أن ينقض الماضي بكلمة واحدة » .. فحشو كلام . الإسلام جاء لينقض ويتم ويضيف .. ينقض الأوهام والشرك والوثنية والبدع والتحريف الذي لحق بالأديان قبله ، ويتم نقصها الروحي ، ويضيف تشريعاً للحياة كاملاً .

« الإسلام يحوماً قبله » ، وفي الصفحة ١٦٧ - وكررها - « ومحا الإسلام ما قبله » ، تخبط يقوله من لم يستوعب مصادره ، أو أنه يعرف الحقيقة ويتجنى عليها ، أو هو مشوّه التفكير والفهم . « الإسلام يَجْبُ ما قبله » حديث شريف قاله ﷺ لخالد بن الوليد رضي الله عنه عند إسلامه بعد غزوة الخندق وبعد صلح الحديبية ، يريد بها ﷺ : إذا دخل رجل في الإسلام ، فدخوله يحوماً ما كان قد عمله في جاهليته من ذنوب وآثام وبُعْدٍ عن الله عز وجل ، ويثبت خطأ حتى ، وفهمه السقيم القرآن الكريم ذاته حيث ذكر كثيراً الأمم التي سبقت وأحوالها والعبر من قيام الدول والمخطاطها ، وذكر أحوال العرب في الجاهلية وعقائدهم وأعمالهم وآراءهم ..

قال سويد بن الحارث : وفدتُ سابع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ ، فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ﷺ ما رأى من سَمْتِنَا وَزَيْنَا ، فقال ﷺ : « من أنتم ؟ » ، قلنا : مؤمنون ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « إن لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم وإيمانكم ؟ » .

قلنا : خمس عشرة خصلة ، خمس منها أَمَرْتُنَا بها رُسُلُكَ أن نُؤْمِنَ بها ، وخمس أَمَرْتُنَا أن نعمل بها ، وخمس تَخْلُقُنَا بها في الجاهليّة ، فنحن عليها ، إلّا أن تكره منها شيئاً .

فقال رسول الله ﷺ : « ما الخمسة التي أَمَرْتُمْ بها رسلي أن تؤمنوا بها ؟ » .

قلنا : أَمَرْتُنَا أن نُؤْمِنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت .

قال ﷺ : « وما الخمسة التي أمرتكم أن تعملوها ؟ » .

قلنا : أمرتنا أن نقول : « لا إله إلا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً .

فقال ﷺ : « وما الخمسة التي تخلّتم بها في الجاهليّة ؟ » .

قلنا : الشكر عند الرّخاء ، والصّبر عند البلاء ، والرضى بمرّ القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، وترك الشّتمة بالأعداء .

فقال رسول الله ﷺ : « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء » ، ثم قال ﷺ : « وأنا أزيدكم خمساً ، فيتمّ لكم عشرون خصلة ، إن كنتم كما تقولون ، فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبثوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً تزولون ، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تفرّضون ، وارغبوا فيما عليه تقدّمون ، وفيه تخلّدون » ^(١) .

فلم يحو الإسلام في هذا الحديث الشريف خمسة أخلاق تخلّق بها العرب في الجاهلية ، ولكنها لو كانت شركاً ووثنيّة ما تردد مطلقاً بمحوها .

☆ ☆ ☆

٤ - وفي الصفحة ١٣٨ قال حتّي : قال - ﷺ - : « لقد أهديت للعزى شاة عفراء » ، وكان ذلك في أيام حدّاثه .

ومع يقيننا بعدم صحة هذا الكلام ، عدنا إلى « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف » علّنا نجد ولو حديثاً ضعيفاً يثبت كلام حتّي فلم نجد ، لأن الله عز وجل حفظ نبيّه الكريم ﷺ من كل أمور الجاهليّة .

☆ ☆ ☆

(١) طبقات ابن سعد : ٣٣٧/١ ، البداية والنهاية : ٩٤/٥ ، السيرة النبويّة لابن كثير : ١٨٠/٤ .

٥ - « في السّنة الحادية والسبعين بعد الخمسة أوما يقاربها ، وُلِدَ في قبيلة قريش بمكّة صبي دعتهُ أمُّه باسم قد يظل مجهولاً ، وبعد أن شبّ أطلق عليه قومه لقب الأمين فلزمه ، أما في القرآن فاسمه محمد » ، صفحة : ١٥٥ .

هذا ما قاله حتّي ، وقد أخطأ بما يلي :

- ولد ﷺ يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول عام الفيل ، الموافق : ٣٠ آب (أغسطس) ٥٧٠ م .

- ولما وُلِدَ ﷺ دعت أمُّه جدّه عبد المطلب ، فأخذه ودخل به الكعبة وسماه محمداً ، فقيل : كيف سميت بهذا الاسم وليس لأحد من آبائك ؟ فقال : إني لأرجو أن يحمدّه أهل الأرض كلّهم .

فاسمه ﷺ « محمد » منذ يوم ولادته لا كما يدعي حتّي : « دعتهُ أمُّه باسم قد يظل مجهولاً » .

- والأمين صفة أطلقها عليه قومه ، فهو محمد الأمين .

فهو محمد منذ ولادته ، وفي صباه ، وفي شبابه ... ولكن سوء الفهم ، وخبث الطويّة أوجدتا - في كتابه - مشكلة ، كي يقول : إنه جاء بجديد ، ولو كان الذي جاء به هراء وتخبُّطاً .

☆ ☆ ☆

٦ - « وفيما هونائم [ﷺ] يوماً في هذا الغار - غار حراء - سمع صوتاً يأمره قائلاً : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ إلخ سورة العلق ، فكان هذا أوّل الوحي وبدء الرسالة » ، صفحة ١٥٧ .

ثم قال في الصفحة ذاتها : « إلى أن جاءت السور المدنية ، فإذا الصوت واحد واضح ، وإذا محمد يتحقّق أن هذا الصوت هو صوت جبريل » .

يُفْهَمُ من المقطعين أَنَّ النبي ﷺ لم يتحقق من الوحي طيلة بقاءه في مكة ، حوالي ثلاث عشرة سنة ، إلى أن وصل المدينة المنورة : « إلى أن جاءت السُّور المدينة » . وهذا مرفوض ، فالحديث كما أورده عروة عن عائشة يدل على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ ، كان في اليقظة ، فليس القرآن ، هذا التشريع المتكامل ، رؤى وأحلاماً ، ومحمد يعلم منذ اليوم الأول أن الذي جاءه ، هو جبريل ، فتتبع الحديث الشريف : « فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل ، سمعت صوتاً في السماء ، يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل » .



٧ - « وكان النبي في السنة السابقة - أي سنة ٦٢٦ - قد أمر بني النضير ، وهم قبيلة من يهود المدينة أيضاً بالجلء ، أما يهود خيبر فأخرجهم من واحتهم الخصيبة في الشمال من المدينة سنة ٦٢٩ » ، الصفحة : ١٦٢ .

لقد أجلى رسول الله ﷺ بني النضير ، ولكن حتي لم يذكر سبب هذا الإجلء .

لقد خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر ، للجوار المعقود ، والذي نص على أن يعاونوه في الديات^(١) ، وكان مع رسول الله ﷺ نفر من أصحابه دون العشرة ، فقال بنو النضير : نعم يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، وقد آن لك أن تزورنا وأن تأتينا ، ولكن حتى تطعم وترجع بجاجتك ، وكان ﷺ جالساً إلى جنب جدار

(١) الطبري : ٥٥٠/٢ ، عيون الأثر : ٤٨/٢ ، الكامل في التاريخ : ١١٩/٢ ، ابن هشام : ١٠٨/٣ ، البداية والنهاية : ٧٤/٤ ، السيرة النبوية لابن كثير : ١٠٨/٣ ، الاكتفاء : ١١١/٨ ب ، السيرة النبوية والآثار المحمدية : ٩٤/٢ .

من بيوتهم ، فخلا بعضهم ببعض ، وقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة ، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيُلقي عليه صخرة فيريحنا منه ؟

فقال عمرو بن جحاش بن كعب - وهو أحد ساداتهم - : أنا لذلك ، فقال لهم سلام بن مشكم : لا تفعلوا ، والله ليُخَبِّرَنَّ بما همتم به ، إنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه .

وقال بعض اليهود عندما رأوا قلة أصحابه ﷺ : تقتله ونأخذ أصحابه أسارى إلى مكَّة فنبيعهم من قريش .

وأُتي الخبرُ رسولَ الله ﷺ من السماء ، فقام ورجع مسرعاً إلى المدينة ، ثم أرسل محمد بن مسلمة إليهم ، فبلغهم أمر رسول الله ﷺ أن أخرجوا من المدينة ، فلا تسكنوني بها ، فقد هممت بما هممت به من الغدر ، وأخبرهم بما هموا به من ظهور عمرو بن جحاش على البيت ليطرح الصخرة ، فسكتوا ولم يقولوا حرفاً .

حاصر المسلمون حصونهم ، فسألوه ﷺ أن يجليهم ، ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا آلة الحرب والسلاح . وكان ذلك ، فخرجوا مظهرين التجلُّد ، مع زهو وفخر ، فجعلوا يمرُّون قافلة في إثر قافلة ، وسلام بن أبي الحقيق رافع جِلْدَ جَمَلٍ مملوء حُلِيًّا وينادي بأعلى صوته : هذا أعددناه لرفع الأرض وخفضها ، وإن كنا تركنا نخلاً ففي خيبر النخل .

لقد طرح الإسلام في لحظاته الأولى في المدينة مبدأ عاماً ثابتاً على مرِّ الزمن ، ألا وهو المآخاة والتسامح ، والعيش معاً مع الأديان الأخرى ، مع الاحترام الكامل لعقائدها ، ولم يجعل ذلك شعاراً مرفوعاً ، بل منهجاً أثبتته الوقائع والأعمال .

الإسلام معتقد قوي ومتسامح معاً ، ولكنه ما جعل التسامح موقفاً مهتزاً يتلقَّى بسببه الضربات والمؤامرات ، بل جعل للتسامح قوة تحميه .

لقد أجلي رسول الله ﷺ بني النضير لغدرهم ، لمؤامراتهم ، لسبب ، بل لأسباب منطقية كافية .

- أما يهود خيبر فأخرجهم من واحتهم الخصبية في الشمال من المدينة ، هذا قول حتّي ، وهو رأي سبقه إليه دافيد صموئيل مرجليوث في كتابه : Muhammed and the Rise of Islam, P. 392 ، حيث قال : إن المسلمين إنما غزوا خيبر للحصول على ما فيها من الغنائم . وحتّي يقول : أخرجهم من واحتهم الخصبية .

ولكن غزوة خيبر لها أسبابها التي أغفلها حتّي ، وأغفلها مرجليوث من قبل .

ويمكننا أن نحمل أسباب غزوة خيبر بما يلي :

- العداوة المستمرة التي أعلنها حييّ بن أخطب ، وتبنّاها سلام بن مشكم .
- رجوع النبي ﷺ من الحديبية دون عمرة ، فظن اليهود أن ضعفاً حلّ بالمسلمين .

- اتصال يهود خيبر بغطفان يحرضونهم على المسلمين ، مقابل بعض ثمار خيبر وتمرها .

- الحلف المعقود برئاسة خيبر ، والذي أراد مداومة المدينة المنورة .

- ولا يفوتنا أن يهود بني النضير الذين نزلوا خيبر ، هم الذين هيّؤوا وحرّضوا لغزوة الخندق ، قدموا مكة على قريش ، يدعونهم ويحرضونهم على حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنّنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، والذين قالوا لقريش هذا ، هم سادة اليهود ، وزعماء خيبر وعلمائها ، فهم يمثلون قومهم كافة ، فالعقاب العادل أن أوانه ، « والاعتداء أمر ممقوت لا الحرب ، وليست كل حرب اعتداء » ، إن حبّ القتل للقتل ذاته خلّق رفضه الإسلام ، حارب سفك

الدماء ، وجعله غريزة مزجورة ، ولكنها ليست مباداة ، لحاجتها في أوقات مناسبة ، أولاها الدفاع عن النفس في الحرب الوقائية .

ومع ذلك ما أخرجهم رسول الله ﷺ ، بل دفع الأرض لهم بشطراً مما يخرج منها ، وقال ﷺ لهم : « على أننا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم »^(١) ، « ونقرّكم ما شئنا »^(٢) ، لقد ترك لهم ﷺ فرصة أخيرة .

وأقرّهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ .

ثم أقرّهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إلى أن اعتدوا على عبد الله بن عمر ، وعلى مطهر بن رافع ، فأجلاهم ، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من ثمر وغيره .
التسامح سمة الإسلام أبداً ، فلو عاش اليهود في خير واحترموا عهودهم ، وأزالوا من نفوسهم التآمر والاعتداء والتعالي ، فلا إجلاء ، أما أن يقبل المسلمون الظلم والتآمر والجور ، فهذا ما لا يقول به عقل سليم .



٨ - « وبعد ثلاثة أشهر من حجة الوداع مرض النبي ﷺ فجأة فمات وهو يشكو من صداع شديد ، وذلك في الثامن من حزيران سنة ٦٣٢ هـ » ، صفحة :

١٦٥

بعد ثلاثة أشهر من حجة الوداع مرض النبي ﷺ فجأة فمات ..

ونسي حتى لجهل أولتجاهل الشاة المسهومة التي قدّمته زينب بنت الحارث وهي امرأة سلام بن مشكم إلى رسول الله ﷺ ، « فعمدت إلى عنزها فذبختها وسلختها وطبختها ، ثم عمدت إلى سم لا يلبث أن يقتل من ساعته ، فسبّت

(١) ابن هشام : ٢١٧/٢ ، السيرة الحلبية : ٦٦/٣ ، السيرة النبوية لابن كثير : ٣٧٥/٣

(٢) فتوح البلدان للبلاذري : ٣٦

الشاة ، وأكثر في الذراعين والكتف «^(١) .

وبقي رسول الله ﷺ ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه ، فقال :
« ما زلتُ أجِدُ من الأكلة التي أكلتُ من الشاة يوم خيبر عَداداً - معاودة الألم -
حتى كان هذا أوان انقطاع أبْهري^(٢) » .



٩ - « ولم ينس محمد وهو في ذروة المجد أيام فقره وخمول ذكره ، بل بقي
زاهداً في الطعام واللباس ، يسكن بيتاً من الطين كأكثر المنازل الحقيرة في الجزيرة
العربية وفي الشام اليوم » ، صفحة : ١٦٥

محمد ﷺ ما كان في يوم من الأيام ، حتى قبل النبوة ، حامل الذكر ، إنه
محمد الأمين ، فهو محط أنظار قريش في ودائعها ، ومحط أنظارها في الاستقامة
والخلق القويم .. ولكن حتي يتخير ألفاظه ، فهو يقول في الصفحة ١٦٠ :
« واشتدت إساءة قريش لمحمد ، فخرج إلى الطائف يطلب النصرة والمنعة بأهلها
من قومه ، ويرجو إسلامها ، ولكنه عاد خائباً » ، وخائباً كلمة لا تليق ، أترأه
يقول عن السيد المسيح خاب وخسر عندما سيق إلى الصلب حسب رأيه ؟ ولو
قبلها عنه عليه الصلاة والسلام لا نقبلها نحن احتراماً وتكريماً .

ولا يضيره لو قال : « المنازل المتواضعة أو البسيطة » ، بدل قوله :
« المنازل الحقيرة » ، فكلمة « متواضعة » أكرم ولائقة أكثر .

وقال في الصفحة ١٦٦ : « وتركت أعمال محمد اليومية وسلوكه في الأمور

(١) ابن خلدون : ٣٩٧/٢ ، الطبري : ١٥/٣ ، البداية والنهاية : ٢٠٨/٤ ، الكامل في التاريخ :
١٥٠/٢ ، السيرة الحلبية : ٦٣/٣

(٢) الأبهز : عرق مستبطن القلب ، وفي رواية : « ما زالت الأكلة التي أكلتُ بخيبر تُعَادُنِي فهذا
أوان انقطاع أبْهري » ، وتعَادُنِي : تراجعني ، ويعاودني ألم سَمُها .

الخطيرة والتافهة ، أبعد الأثر في النفوس ، بحيث أصبحت قدوة يَتَّقِدِي بها الملايين إلى يومنا الحاضر .

رسول الله ﷺ ليست أعماله خطيرة وتافهة ، أعماله كلها هامة كبيرها وصغيرها ، ولا يقوم بعمل تافه وآخر خطير . إنه لم يستوعب معنى « السُّنة » ، ولو استوعبها لما عاب على مئات الملايين اتباع رسول الله ﷺ واقتداءهم به .



١٠ - « وفي علم الإلهيات القرآني ، ليس محمد إلا بشراً لم يتم الله على يده من العجائب غير إعجاز القرآن ، إلا أن التقاليد والأساطير التي اصطنعتها العامة من بعد ، نسجت حول هامة الرسول هالة من النور الإلهي » ، صفحة ١٧٧/١٧٨

ليس محمد إلا بشراً ، صحيح : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ ، ولكنه ﷺ امتاز عن البشر بـ ﴿ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ ، وهذا الذي « نسج حول هامته هالة من النور الإلهي » ، لا التقاليد والأساطير .

ومعجزة القرآن الكريم معجزة خالدة كافية ، لأن الإسلام خاطب العقل الإنساني ، ولم يخاطب العواطف الإنسانية ، فالمعجزة وخوارق العادة تخاطب العواطف ولا تخاطب العقل ، والقناعة العقلية أبقى وأخلد ، وخوارق العادات « الأعاجيب » تنفع من رآها ، وَيُسَلِّمُ المؤمنون بوقوعها تسليماً . ومع ذلك « التقاليد والأساطير » شيء ، والتاريخ الصحيح شيء آخر .

التاريخ الثابت يذكر لرسول الله ﷺ معجزات خارقة كثيرة ، منها :

وصف ﷺ المسجد الأقصى عندما سأله أبو جهل وقريش معه عن دليل يثبت الإسراء والمعراج وصفاً دقيقاً ، وأخبر قریشاً عن غيرها قافلة قافلة « غيركم بالتنعيم - اسم مكان - يقدمها جمل أورك ، عليه غارتان مخيطتان ، تطلع عليكم

من طلوع الشمس » ، فخرجوا إلى الثنية « مكان قرب مكة » ، بزعامة أبي جهل ، فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس ليكذبوه ﷺ ، وقال قائل : هذه الشمس قد طلعت ، فقال آخر : والله وهذه العير قد طلعت يتقدمها بعير أورق كما قال (١) .

ووصف ﷺ معركة مؤتة وبين ميدان وقوعها والمدينة المنورة مئات الأميال فقال : أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتل شهيداً ، ثم صمت رسول الله ﷺ برهة حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون . ثم قال ﷺ : « أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قُتل شهيداً » ، فكبر الأنصار حتى ارتجت جنبات المسجد النبوي الشريف طرباً وسروراً بهذا الفوز الكبير ، وبهذا الشرف العظيم ، ثم قال رسول الله ﷺ : « أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم » (٢) .

وأخبر ﷺ أصحابه الكرام بفتوحات أمته فيما سيأتي من الزمان ، مثل :

« إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر ، فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإن لهم فيكم صهراً وذمة » (٣) ، وأخبر ﷺ أثناء حفر الخندق بأن الحيرة وقصور كسرى وقصور الشام ستفتح للمسلمين ، وقد فتحت (٤) .

(١) الكامل في التاريخ : ٣٦/٢ ، وكتب السيرة كلها .

(٢) الاكتفاء : ١٣٦/١ أ ، السيرة النبوية لابن كثير : ٤٦٣/٣ ، ابن هشام : ١٤/٤ ، الكامل في التاريخ : ١٦٠/٢ ، ابن خلدون : ٤١/٢ ، السيرة الحلبية : ٧٨/٣ ، الطبري : ٤١/٣ ، عيون الأثر : ١٥٥/٢ ، ابن سعد : ١٢٩/٢

(٣) الطبري : ٢٢٨/٢

(٤) الكامل في التاريخ : ١٢٢/٢

وقال عند الهجرة لسراقة بن مالك وهو في أشد الساعات حرجاً ، إنه سيلبس
سوارى كسرى ونطاقه ، وتمّ ذلك بعد فتح العراق ^(١) .

وفي الطريق إلى تبوك لما فقد الجيش الماء ، قال ﷺ لأبي قتادة : هاتِ
المِيضَاءَ ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ ، فحَلَّ السَّقاء ، وصبَّ في المِيضَاءَ ماءً قليلاً ، مع قليل من
ريقه الشريف ، ثم وضع يده الشريفة فيه ، ثم قال : ادنوا فخذوا ، فجعل الماء
يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما تركوا إناء إلا ملؤوه ، ورووا إبلهم
وخيلهم ، ثم أمر الناس أن يملؤوا أنيتهم وأسقيتهم .

هذه المعجزات وعشرات غيرها أرادها فيليب خوري حَتَّى « أساطير » .



١١ - « يقول إخباريو العرب إن المقوقس أهدى إلى رسول الله مارية
القبطية وأختها ، ولقد ولدت له الأولى إبراهيم » ، صفحة : ٢١٦
وحَتَّى لا يثق بإخباري العرب ، لأنه انسلخ عنهم عندما باع قلمه لأعداء
الأُمَّة العربيَّة .

لقد حمل حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ رسالة رسول الله ﷺ إلى المقوقس ، والرسالة
محفوطة إلى يومنا هذا في متحف توب كابي في اسطنبول ، وبلَّغ حاطب الرسالة ،
وعاد بهدايا المقوقس ، وتزوج رسول الله ﷺ مارية القبطية ، وهي أم ولده
إبراهيم ، وتزوَّج حَسَّان بن ثابت أختها شيرين ^(٢) .



(١) الكامل في التاريخ : ٧٤/٢ ، وإعلانه ﷺ عن موت كسرى يوم اغتياله معجزة كبيرة ، كانت
سبب إسلام الأبناء في اليمن .

(٢) أسد الغابة : ٤٣٢/١ ، السيرة الحلبية : ٢٨١/٣ ، السيرة النبوية لابن كثير : ٥١٤/٣

١٢ - « ولقد ذكر النقادة ابن خلدون في مقدّمته الشهيرة ص : ٤١٢ هذا النوع من الطب - الطب النبوي - في شيء من الاستخفاف » ، « وقال : إن النبي إنما بعث ليعلم الناس الشرائع لا علم الطب » ، صفحة : ٣٢٤
بل لا يجد القارئ استخفافاً مطلقاً ، والعكس صحيح .

قال ابن خلدون في مقدّمته « الفصل التاسع عشر ، في علم الطب ، ص : ٤٩٣ » : « إِنَّمَا بُعِثَ - ﷺ - ليعلمنا الشرائع ، ولم يُبْعَثْ لتعريف الطب ولا غيره » ، ثم قال ابن خلدون عن الطب النبويّ وهو في غاية الاحترام والالتزام : « إِذَا اسْتُعْمِلَ عَلَى جِهَةِ التَّبَرُّكِ وَصَدَقَ الْعَقْدُ الْإِيمَانِي ، فَيَكُونُ لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي النَّفْعِ ، وَلَيْسَ هَذَا فِي الطَّبِّ الْمَزَاجِيِّ ، وَإِنَّمَا صَدَقَ آثَارُ الْكَلِمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ ، كَمَا وَقَعَ فِي مَدَاوِةِ الْمَبْطُونِ بِالْعَسَلِ ، وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى الصَّوَابِ ، لَا رَبَّ سِوَاهُ » .

☆ ☆ ☆

وفي الصفحة ٥٠٨ يحيلنا حتّي إلى مرجع أجنبي ، انظر : Bullelin de l'institut degypte , vol . xxv111 (Cairo , 1946) pp. 1-5 حيث تجد صورة صغيرة للنبي يرجع عهدها إلى سنة ١٨/١٢١٧

يحيلنا إلى هذا المرجع ، وكأن الأمر حقيقة ، لم يكلف نفسه عناء القول ، إنها خياليّة ، غير صحيحة ، لأنها رسمت بعد رسول الله بستمئة سنة ، فمن رآه سنة ١٢١٧ م أو ١٢١٨ م كي يرسمه ؟!

ولو كان خبراً أو حادثة فيها تمجيد ، أو فضل لحضارتنا الإسلامية ، لقال حتّي بكل ثقة : الخبر مرفوض ، لأنه كُتِبَ بعد ستمئة سنة من وقوعه ، لِمَ لَمْ يذكره الأولون ؟!

☆ ☆ ☆

فيليب حتّي

وعقيدتنا

☆ « يجب أن نستخدم القرآن ، وهو
أمضى سلاح في الإسلام ، ضد الإسلام
نفسه ، حتى نقضي عليه تماماً يجب
أن نبين للمسلمين أن الصحيح في
القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد فيه
ليس صحيحاً » .

المبشر تاكلي

« التبشير والاستعمار ، ص : ٤٠ »

افتري حتّي افتراءات كثيرة حول الإسلام عقيدةً ومنهجاً ، وأتى بأحكام قلقة
مضطربة ، نوردها حسب تسلسل ورودها في صفحات « تاريخ العرب -
مطوّل » :

١ - « وقد ظهرت ديانة العرب بعد اليهودية والمسيحية ، فأصبحت ثالثة
الديانات التوحيدية وخاتمتها ، وهي من الناحية التاريخية تَمَّتْ بأوثق الصلات
إلى هاتين الديانتين ، فكانت أقرب الديانات إليهما على الإطلاق ، وهكذا فإن
هذه الديانات الثلاثة ليست إلا نتاجاً لحياة روحية واحدة هي الحياة السامية ،
ومن هنا هان على المسلم المؤمن - إذا استثنينا بعض الأحوال - أن يُسَلَّم بمعظم
ما تنطوي عليه العقائد المسيحية » ، صفحة : ٢

أ - « ديانة العرب » : الإسلام ما خُصَّ بالعرب ليسمى « ديانة العرب » ،

فآيات الدالة على عموم الرسالة ، وعالمية الإسلام كثيرة ، منها قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ، [ص : ٨٧ - ٨٨] .

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ،

[الفرقان : ١] .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ﴾ ، [سبأ : ٢٨] .

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ، [الأعراف : ١٥٨] .

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ

كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ، [التوبة : ٣٣] .

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ، [الأنبياء : ١٠٧] .

ب - « وهي من الناحية التاريخية تَمَّتْ بأوثق الصلات إلى هاتين الديانتين

- اليهودية والمسيحية - » : اعتقد المستشرقون والغربيون أن اليهود هم مصدر العقائد الدينية التي احتوتها التوراة ، وأنهم هم الذين تلقوا وحياها الأول من أنبيائهم غير مسبوقين إليها فيما سلف .

والأمر لا يحتاج إلى عناء لإظهار الخطأ في القول المذكور ، فإن مراجعة

التوراة - التي بين أيدي الناس حالياً - أيسر مراجعة ، ترينا أن اليهود تلقوا أهم

العقائد الكونية ، وأهم التعاليم الشرعية من تقدم أنبياءهم ، بل من الشعوب التي

عاشوا بينها ، وكان فيها أناس من أتباع الرسل الأقدمين .

إن التوراة المتبقية اليوم تبتدئ بسفر التكوين - وهو جماع عقائدهم

الدينية - ولا تسنده إلى أحد من أنبياء بني إسرائيل ، ولذا فلا حاجة إلى القول

بأن عقائده سابقة للنبوءات الإسرائيلية ، وأن اليهود تعلموه عن سبقتهم ، سواء

كان من وحي الأنبياء الأسبقين ، أو من تراث الشعوب الموروث عن الأسلاف .

فكيف يقرأ المستشرقون هذا في التوراة ، ثم يلجئون بإصرار على أصالة اليهودية ، واعتبار الإسلام فرعاً من هذه الشجرة ؟ بينما هي فرع من أصل قديم ، بل من عدة أصول ، وإن في أصول الإيمان : كإيمان بالله ، والنُّبُوت ، والحساب والعقاب .. قرناً كبيراً بين الإسلام واليهودية وغيره من الأديان .

إن الله « يَهْوَا » عند بني إسرائيل إله قبيلة واحدة ، يختصُّها بحظوته ، والله في الإسلام إله الخلق أجمعين ، ولا فضل بينهم إلا بالتقوى .

الحساب عند بني إسرائيل يُؤخذ الأبناء بذنب الآباء ، فيلحق الجزاء بالخلف البعيد انتقاماً من جنيات الأجداد .. أمّا الحساب في الإسلام ، فلا يؤخذ إنسان بحريرة إنسان ، ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾

والهيكل في اليهودية هو الذي يتقبَّل القربان من العباد ، ولا يقبل قربان بغير وساطة الكهَّان الأخبار ، أمّا في الإسلام فلا شيء من هذا مطلقاً .

إن جاز التشبيه بالأصول والفروع ، فيمكننا أن نقول أن الإسلام شجرة أخرى تحمل الثمرات الخيرة من الأديان السابقة بعد التهذيب والتجويد ، وإن ثمرات الشجرة الإسلامية لا تحملها تلك الشجرات .

فليست اليهودية جذراً للعقيدة الإسلامية لأنها تفرَّعت عما سبقها ، ولم تكن جذراً لما تلاها .

والثابت أن اليهود تعلَّموا عن المسلمين في لغتهم وأدبهم وحكمتهم .. لاسيما في العصر الحديث ، وأن المسلمين لم يأخذوا من اليهود شيئاً غير تلك (الإسرائيليات) التي تناقلها الجاهلون ، وفرغ المصلحون من تطهيرها من العقول .

أما الافتراء القائل بأن الإسلام أخذ من المسيحية ، فقد سبق حتي إليه : داوود

صموئيل مرجليوث ، والقس كانون سل ، ودرمنجهم ، وقالوا : إن الجزء الخاص بالمسيحية في القرآن قد تعلّمه النبي ﷺ من صهيب أو من ورقة بن نوفل ..

وقد ردّ « بودلي » في كتابه « سيرة الرسول » هذا الافتراء معتمداً على عدم وجود ترجمة للإنجيل قبل ظهور الرسول ، وذكر أن الترجمات العربية للعهدين القديم والحديث ظهرت بعد عهد النبي ببضعة قرون ، فكيف يُقال أنه اطلع عليه أو أخذ منه ؟.

هذا .. ويخالف الإسلام عقيدة التثليث في المسيحية ، بتوحيد مطلق ، فأين الاقتباس ؟!

وأما القول إن الإسلام فرع لأن فيه كما في اليهودية والمسيحية صلاة وصوم وعبادات ، فليس وجود عبادة في دين ، ووجود ما يشبهها في دين آخر دليلاً لاتهم أحد الدينين بأنه أخذ عن الآخر ، ولا شك أن منطق من يقول بهذا منطق سقيم ، واستنباطه غير مستقيم . ومع كل هذا فإن العبادات في الإسلام غيرها في اليهودية أو المسيحية .

ج - « وهكذا .. فإن هذه الديانات الثلاث ليست إلا نتاجاً لحياة روحية واحدة هي الحياة السّامية » ، وقال في الصفحة ٨ : « كذلك بلغت الديانة السّامية في الإسلام كمالها الطبيعي » .

وهذه الأقوال تنفي الوحي ، والصوت الإلهي في الإسلام ، وفي الديانات السّماوية كلها ، الدين ليس نتاجاً لحياة روحية ، بل وحي الله لنبي . وبلغ الإسلام الكمال لأنه خاتم الأديان .

د - « ومن هنا هان على المسلم المؤمن - إذا استثنينا بعض الأحوال - أن يسلم بمعظم ما تنطوي عليه العقائد المسيحية » .

هذا ادعاء ، تقيضه الصحيح ، هان على المسيحي في البلدان التي فتحت أن يُسَلِّم ، ويعتق عقيدة الفاتحين لأنه رأى عقيدة المسلمين بصفتها خالية من أية شائبة تشوبها ، فالمسيح عليه السَّلام في القرآن مكرَّم له معجزات لم يذكرها الإنجيل ، وأُمُّ صِدِّيقَة .



٢ - « تقديس الحجارة والغدران في العصور التي سبقت عصر الحجر الأسود ، وبئر زمزم في الجزيرة ، وعصر بيت إيل في فلسطين » ، صفحة : ٣٢ ، وقال في الصفحة : ٨٤ : « عبادة الكعبة » ، وقال في الصفحة : ١٣٩ : « وفي وسطها - وسط الكعبة - قام نصب هو عبارة عن قطعة من الحجر البركاني الأسود يعبدونه » ، وفي الصفحة : ١٦٣ نجد : « وأقرَّ - صَلَّى - الحجَّ إلى الكعبة ولثم الحجر الأسود فيها ، وهما من فروض الدين المرعية في الجاهلية » ^(١) .

الحجُّ فيه طقوس وثنية !

تقديس وتقبيل الحجر الأسود الذي يشبه الحجارة المقدسة الأخرى ، بقايا وثنية جاهلية !!

الحجُّ ليس من الطقوس الوثنية ، إنَّه من شعائر أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ ، [إبراهيم : ٣٧] ، واستجاب له ربُّه ، وجعل من مقام إبراهيم مصلًى ، ومكان التقاء تهوي إليه أفئدة البشر في مشارق الأرض ومغاربها .

وما نظن عاقلاً يمكن أن يدور في خلدِه أن الله تعالى أراد تقديس بيت إبراهيم وإسماعيل لحجارته وجدرانه ، لأننا ندرك أن التقديس هنا تقديس

(١) ونسي حتَّى أن قومه قد تركوا التوحيد ، وأخذوا التثليث من العقائد الوثنية ، انظر كتاب : « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » و « محاضرات في النصرانية » .

معنوي ، فلا قدسيّة لأحجار الكعبة بذاتها ، إنما القدسيّة للأمر الإلهي وحده ، فالامتثال لأمر الله تعالى ، وهو المعول عليه في هذا المقام ، بدليل لو رُفِعَ هذا الأمر الإلهي لَرُفِعَ معه تقديس المكان ، واتجاه المسلمين إلى الكعبة رمز لوحدة العقيدة والهدف ، والاتجاه إلى الكعبة إنما يتم بالجسد وحده ، وأمّا القلب والروح فإلى الله اتجاهاً وبه تعلقها .

وما خطر ببال أحد من المسلمين أنّه يتوجّه إلى الكعبة لذاتها ، أي لحجارتها ، بل يدرك أنّه يتّجه بفكره وروحه وقلبه إليه تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ ، [البقرة : ١١٥] ، ولسان الحاج المسلم يثبت هذا ، فقلبه ولسانه يقولان : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ..) ، فالتلبية استجابة لأمر الله ، وليست للكعبة ، وما سمعنا عن أحد أنّه قال : لبيك يا كعبة لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ولعلّ مما يفسّر هذا ، قول بعض الصالحين : طاف الجسد بالبيت ، وطاف القلب بربّ البيت .

فلا « عبادة للكعبة » مطلقاً ، وما قال بهذا مسلم .

أما الحجر الأسود ، فإنّنا نقول حوله : اتخذ العرب آلهتهم في الجاهليّة من أشياء لا تخصّ ، ومع ذلك فلم يروا مطلقاً أن الحجر الأسود كان ضمن آلهتهم ، بل كانت له مكانة محترمة لأنّه من بقايا بناء إبراهيم للكعبة . وعلى ذلك .. إن الإسلام لم يقر « وثنيّة » كانت في الجاهليّة .

وإنّ استلام الحجر الأسود في الحجّ يرجع إلى اعتبار رمزي ، لا إلى تقديس الحجر ذاته ، فلما أعادت قريش بناء الكعبة ، اختلفت بطونها على من يعيد الحجر إلى مكانه ، وأقبل محمد الأمين قبل البعثة بخمس سنوات ، فدعوه لرجاحة عقله وجبّهم له « فهو الأمين » ليفصل في الأمر ، فبسط رداءه ووضع فيه الحجر ، وجاء من كل بطن رجل حمل من طرف الرداء حتى أوصله عليه الصلّاة والسّلام إلى موضعه ، فوضعه بيده الشريفة ، وأنهى مشكلة حرجة .

ووقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً أمام هذا الحجر وقال : « إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنني رأيت رسول الله يقبلُك ما قبّلتك » ، ولهذا فليس تقبيله واجباً على الحاج ، ولا يشترط تقبيله .

والحجر الأسود ليس في وسط الكعبة ، بل في ركن من أركانها ، وليس لثمة من الفروض المرعية في الجاهلية ، فأين دراسة التاريخ بعلم وشمولية وموضوعية يا حُتّي ؟!



٣ - « إلا أن أبرهة لم يفلح بل فتك الجدري (سجيل في القرآن) بجيشه أي فتك » ، صفحة : ٨٤ ، وجعل حُتّي مرجعه : ابن هشام السيرة ، صفحة : ٣٦

عدنا إلى الجزء الأول من سيرة ابن هشام ، صفحة ٣٦ ، فوجدنا ابتداء خبر : النزاع على الين بين أبرهة وأرياط ، وفي الصفحة ٤٧ ، يقول ابن هشام تحت عنوان : عقاب الله لأبرهة وجنده : « فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان ^(١) ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في رجليه أمثال الحمص والعَدَس ^(٢) ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك - وليس كلهم أصابت - وخرجوا هاربين يتدرون الطريق الذي منه جاؤوا .. » .

هذا ما أورده ابن هشام .

وجاء في كتاب الله عز وجل : هُوَ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ

(١) نوعان من الطيور .

(٢) في الشكل فقط ، وليس في المقدار .

سَجِيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿١٠﴾ ، [سورة : الفيل] ، ولما نزلت هذه السُّورة ، كان في قريش من يعي ويدرك تمام الإدراك حادثة الفيل ، فلو كان بها شك يساوي واحد إلى مئة لانتهزت قريش آيات السُّورة إعلامياً ، وحاربت رسول الله ﷺ والمسلمين وقرآنهم ..

فمن أين جاء حَتَّى بَأْن السَّجِيل هو الجدري ؟

☆ ☆ ☆

٤ - « إن بلاد الحجاز لم تساهم أيام الجاهليَّة في مجرى الحوادث العالميَّة ، ولكنها في الواقع لم تكن مجهولة تمام الجهل ، وقد بدأ انعزالها بعد الإسلام منذ السنة الثامنة للهجرة ، حين جهَّز المسلمون عشرة آلاف رجل إلى مكَّة ، فتَّت أمنيَّة محمد في أن يفتح أمَّ القُرَى من غير إراقة دماء ، فدخلها ثم عفا عن خصومه جميعاً ، وطهَّر الكعبة من الأصنام ، ودخل أهل مكَّة في الإسلام » ، صفحة : ١٤٦

هل صحيح أن بلاد الحجاز بدأ انعزالها بعد الإسلام منذ السَّنَة الثامنة للهجرة ؟..

أم عكس هذا القول هو الصحيح ؟

وهل يُعَقَّل أن حَتَّى لم يقرأ أو يطَّلَع على رسائل رسول الله ﷺ إلى ملوك وأمرء عصره ، فأضحت الحجازُ مركز ثقل العالم كله ؟

أين العزلة وقد أرسل ﷺ عمرو بن أميَّة الضمري برسالة إلى نجاشي الحبشة يدعوه فيها إلى الإسلام ؟

وأرسل عبد الله بن حذافة السَّهمي إلى كسرى في المدائن .

ودحية الكلبي إلى هرقل قيصر الروم في القدس .

وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم مصر في الاسكندريَّة .

موضوعية (١٠)

وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحرث بن أبي شير الغساني .. يدعوهم إلى الإسلام .

أية عزلة هذه بعد السنة الثامنة للهجرة ، وقد بدأت الحجاز تسيطر على سير الأحداث العالمية ، حتى أضحت المدينة المنورة وهي في الحجاز عاصمة لكل الجزيرة العربية ، مع كل البلاد المحررة في مصر وشمال إفريقيا والشام والعراق !؟



٥ - « ولكنه لم يكن طبيعياً أن تمر مدنيّة الجنوب العربيّة دون أن تترك بعض الآثار في أختها الشمالية ، وهذه نقوش حِمْيَر تشير إلى ذلك ، فهناك رقيم (٥٤٢ - ٣ م) لأبرهة يعرض لانهيار سد مأرب ، كَشَفَ عنه المستشرق غلازر ، ونشره فإذا في مطلععه هذه الكلمات : (بقوة ونعمة ورحمة الرحمان ومسيحه وروح قدسه) ، ولفظة (رحمان) في الأصل تسترعي اهتمام الباحث ، لأنها أصبحت فيما بعد الرحمان في لغة قريش ، ولهذا اللفظة شأن واضح في القرآن كأحد أسماء الله الحسنى العامة في جميع المصنّفات العربيّة ، وأخصها كتب الفقه وعلم الكلام والشرع ، وهي كثيرة الورد في سورة مريم ، واللفظة الواردة في الرقيم المذكور ، وإن دلّت على الإله الحيّ عند النصارى ، فالظاهر أنّها مأخوذة عن اسم أحد المعبودات القديمة في الجنوب ، ومما يذكر في هذه المناسبة أن الأسود العنسي الذي قام فتكهنّ في اليمن في بدء الإسلام كان يُسمّى نفسه رحمان اليمن ، كما تسمّى مسيلمة من قبل رحمان اليمامة .. » ، صفحة : ١٤٦

أولاً : فالظاهر أنّها مأخوذة من اسم أحد المعبودات القديمة في الجنوب ، رأي لا صحة له ، فلم يرد مطلقاً أن لفظ « رحمان » ، قد أطلقت على أحد المعبودات القديمة لا في الجنوب ولا في غيره .

ثانياً : تسمّى الأسود العنسي « برحمان اليمن » ، لأنه قام بردّته يقول :

« أيُّها المترّدون علينا ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفّروا ما جمعت
فنحن أولى به .. »^(١) ، وكانت ردّته « أوّل ردّة في الإسلام » ، فلما تنبأ مسيماً
الكذاب ، حاكي الأسود وقلّده وتسمّى « برحمان اليامة » تقليداً ومحاكاة ليس
غير .

ثالثاً : كلمة « رحمان » اسم من أسماء الله الحسنى منذ آدم أبي الأنبياء ، ولم
يغيّر الله - سبحانه وتعالى - أو يلغي اسماً من أسمائه الحسنى في الإسلام ، وفي
إنجيل متى ، الاصحاح الخامس : ١٧ : « لا تظنّوا أنّي جئتُ لأنّقضَ الناموسَ
والأنبياءَ ، ما جئتُ لأنّقضَ بل لأُكَمِّلَ » .

فالأنبياء ما نقضوا كل ما سبق ، نقضوا ما ابتدع وحرف ، ثم أكملوا وأتمّوا .



٦ - وقال حُتّي عن الوثنيّة التي « تضععت » : « وتدنت إلى حيث
أضاعت مكانتها ، ولم يبق لها فاعلية في إحياء نفوس الأُمّة الخاملة وإيقاظها ،
فخرج عليها فئة اعتنقوا نزعة توحيدية غامضة ، هؤلاء الخنفاء ، ومنهم أميّة بن
أبي الصلت المتوفى ٦٢٤ م ، وكانت تربطه بالرسول قرابة عن طريق أمّه ، ومنهم
ورقة بن نوفل ابن عم خديجة ، ولو أن بعض المصادر جعلت ورقة نصرانياً ، أما
من ناحية النُظم السياسيّة ، فإن الحياة القوميّة المنظّمة التي نشأت قديماً بين عرب
الجنوب إذ ذاك متهدّمة متضععة ، وقد تهيأت الأسباب ، ودنت السّاعة لظهور
زعيم ديني وقومي عظيم » ، صفحة : ١٥٢

وقال في الصفحة : ١٥٨ : « ولكن القوم أمعنوا في ضلالهم وأسرفوا في

(١) البداية والنهاية : ٣٠٧/٦ و ٣٠٨ ، الطبري : ٢٢٩/٣ ، الكامل في التاريخ : ٢٢٨/٢ .. وما
أخذ في بقعة من قبل المسلمين ، كان يصرف على فقراء ومرافق وخدمات تلك البقعة ،
والفائض يرسل إلى العاصمة .

الإساءة إليه ، إلا زوجته خديجة ، وكانت قد تأثرت بتعاليم ابن عمها ورقة بن نوفل ، وهو حنيف ، فكانت أول امرأة أسلمت .

- لو تضععت الوثنية وأضاعت مكانتها ، ولم يبق لها فاعلية .. لما قامت قريش تحارب رسول الله ﷺ بهذا العنف والقوة . لقد سَفَّه ﷺ عباداتهم وأصنامهم ودعاهم إلى التوحيد ، فقاموا يدافعون عن أوثانهم ..

- أما هذه الغمزات : قرابة رسول الله ﷺ من أمية بن أبي الصلت ، وقرابة ورقة بن نوفل من خديجة زوجته ﷺ ، وبعض المصادر تجعله « نصرانياً » ، كل هذه الغمزات يدحضها البحث العلمي الموضوعي :

لو تعلم رسول الله ﷺ من ورقة وأمية ، لقالت قريش له لما دعاها إلى الإسلام والقرآن : إنها أعطياك هذا ، ولكان ذلك ورقة رابحة بيد قريش ، لأنه - ﷺ - لن يستطيع إنكار ما أخذ وهم شهود ، وهذا ما لم تقله قريش في حربها الإعلامية ضد النبي ، وضد القرآن ، وهي التي أشاعت ما أشاعت ، وعملت ما عملت للوقوف في وجهه ﷺ .

وأين ورقة وأمية بن أبي الصلت من سؤال يُسأله رسول الله ﷺ ، فترى الإجابة قد وُجدت في حينها ، وجاء القرآن الكريم يشرحها ويحدد موقفه منها ، وهذا يدحض دحضا قاطعاً كون القرآن من عندها ، ولو كان جزء من عندها ، لكنت الحوادث التي جرت بعدهم ، وتكلم بها رسول الله ﷺ من عنده لها أسلوب يغاير أسلوبه ، أي لكان في القرآن أسلوبان متغايران ، وهذا ما لا نراه في القرآن الكريم مطلقاً .

وفي القرآن العظيم آيات لا توافق عقيدة المسيحية ، فكيف يُملئها ورقة أو أمية ؟

ولماذا انتقى ورقة وأمّية محمداً وأعطياه هذا التشريع الخالد المعجز ، ولم يدّعياه لنفسيهما ؟

لماذا يعطيان المجد والخلود والشهرة وخير البشرية وإنقاذها إلى محمد يتيماً أبي طالب ، ولم يدّعا ذلك لنفسيهما ؟

والقرآن العظيم معجز ، وتحديده قائم لأمة تباغت بالفصاحة واللغة ، وفيه من المعجزات العلميّة ما جعل المنصفين اليوم في الثلث الأخير من القرن العشرين في حيرة ودهشة ، لأنها فوق طاقة البشر .. وهذا ينفي أن القرآن من عند بشر ، ورقة أو أمّية أو غيرهما .. ويثبت الوحي والنبوة والرّسالة الإلهية .



٧ - « ولم يكن الإسلام يطالب المنضوين فيه إلا بالشهادة الشفهيّة وتأدية الزكاة » ، صفحة : ١٦٥

النطق بالشهادة نقطة بدء تعني الدخول في عقيدة جديدة ، يلتزم بموجبها بحقوق وواجبات .

وما ذكرت الزكاة في الإسلام إلا قرّنت بالصلاة : أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة .

فالنطق بالشهادة ، يعقبه عمل بأركان الإسلام جميعها ، ومن نطق بالشهادة فقط ولم يدخل الإيمان قلبه قال عنه سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ، وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ ، [الحجرات : ٤٩] . فالإيمان : « ما وقر بالقلب وصدّقه العمل » ، لذلك أرسل ﷺ معاذ بن جبل إلى الين وحضرموت معلماً . وعمر بن العاص إلى عَمَّان معلماً ، والعلاء بن الحضرمي إلى البحرين معلماً .. وكان ﷺ يقول : ما بال أقوام لا يتعلّمون ولا يعلمون ..

النطق بالشهادة نقطة البدء لعقيدة من أسسها : « ليس مني إلا عالم أو متعلّم » ، ومن أسسها : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

قال عز وجل : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ، [الزمر : ٩] . ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ، [طه : ١١٤] .



٨ - « والنُّقَاد من العلماء يرون أنَّ لفظة أمِّي في القرآن (الأعراف : ١٥٦ ، آل عمران : ٦٨ - ٦٩ ، الجمعة : ٢) ، ترمز إلى غير أهل الكتاب ، ويجب أن تفسّر - كلمة كان محمد أمياً - بمعنى الذي لا يقرأ الأسفار المقدّسة مما عند اليهود والنصارى » ، صفحة ١٦٨

لا يقرأ الأسفار المقدّسة ممّا عند اليهود والنصارى ، كلام صحيح مقبول ، وهو اعتراف من حتّي أنه - ﷺ - لم يطّلع على عقائد اليهود والنصارى ، ولم يعلمه أحدٌ منهم ، ولم يقتبس أيضاً من كتبهم شيئاً .

« والنُّقَاد من العلماء » عبارة غامضة ، لأنّه لم يذكر منهم أحداً .

إن أوّل من قال : « لفظة أمِّي في القرآن ترمز إلى غير أهل الكتاب .. » ، وروّج لهذا أبو الوليد الباجي ، من علماء الأندلس في القرن السادس الهجري ، والباجي قال : كتب النبي اسمه فقط في معاهدة صلح الحديبية كمعجزة ، ورأى ذلك زيادة في معجزاته . ثم قال بهذا من « النُّقَاد » نولدكه في كتابه : (تاريخ القرآن : ٥٨/١) ، وقال : أورد البخاري في صحيحه خبراً في ثلاث روايات يستفاد منه أن النبيّ كتب بيده يوم عقد معاهدة الحديبية مع مندوب قريش سهيل بن عمرو ، سنة ست للهجرة (٦٢٨ م) .

أُمِّيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ تفسرها آية كريمة ، وحديث شريف :

﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ يَمِينِكَ إِذًا لِازْتَابِ الْمُبْطِلُونَ ﴾ ، [العنكبوت : ٤٨] .

وقال ﷺ : « نحن أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا تقرأ ولا تحسب » ، فعنى الآية الكريمة واضح جلي في هذا الحديث الشريف .

ولو تذكر الذين يخوضون في هذا البحث لإثبات قراءة وكتابة النبي ، أن ما يقولونه قد يكون وجه إلى النبي ﷺ مباشرة ، وأن القرآن الكريم قد رد عليه وعلى زيفه علناً وبصراحة قطعية ، وأن أصحابه وأخصاءه ﷺ كانوا يتلون هذا الرد الصريح القطعي ، لو قرؤوا على أنفسهم التعب والعناء ، ولما عرضوها لتهمة الغرض والعناد ، بل الكذب والمكابرة .. فلا يمكن أن يعلن النبي ﷺ بلسان القرآن الكريم ، وبأسلوب قاطع صريح أنه لا يقرأ ولا يكتب لو كان يقرأ ويكتب ، ولا سيما لو كان أصحابه يعرفون ذلك فيه ، لأنه يثير حالاً شك هؤلاء في ربانيّة القرآن الكريم ، وصدق النبي ﷺ ، وهذا وذاك من الخطورة بمكان عظيم .

أما عما جرى في صلح الحديبية ، فروايات البخاري ومسلم والسيرة الحلبية ، وسيرة ابن هشام ، وفي الطبري والكامل في التاريخ ، والبداية والنهاية .. كلها روايات محمولة بعضها على بعض ، يفسر بعضها بعضاً ، وهي تنص على ما يلي :

لما أراد النبي ﷺ كتابة صلح الحديبية ، دعا علي بن أبي طالب ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل : لا نعرف هذا ، ولكن اكتب : باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو نعلمك رسول الله ماقتاتلك ، ولكن اكتب : اسمك واسم أبيك ، فقال لعلي رضي الله عنه : امح رسول الله ، فقال : لا أمحوك

أبداً ، فقال ﷺ : أرنيه ، فأراه إيّاه ، فحاه رسول الله ﷺ بيده الشريفة ، وقال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو . فلو كان ﷺ قارئاً كاتباً لما قال : أرني مكانها .

وما سبق ذكره ابن كثير في تفسيره : ٤١٧/٣ ، حيث قال بعد الآية الكريمة : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ يَمِينِكَ ﴾ ، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دائماً إلى يوم الدين ، لا يحسن الكتابة ، ولا يخط سطرأ ولا حرفاً بيده ، بل كان له كُتَّابٌ يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم ، ومن زعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنه ﷺ كتب يوم الحديبية : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله ، فإننا حمله على ذلك رواية في صحيح البخاري : ثم أخذ فكتب ، وهذه محمولة على الرواية الأخرى : ثم أمر فكتب^(١) ، ولهذا اشتد النكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال بقول الباجي ، وتبرؤوا منه ، وأنشدوا في ذلك أقوالاً^(٢) ، وخطبوا به في محافلهم ، وإننا أراد الرجل - أعني الباجي - فيما يظهر عنه أنه كتب ذلك على وجه المعجزة ، لا أنه كان يحسن الكتابة .



٩ - « في السنة التي تلت وفاة النبي » ، عهد أبو بكر فيما تذهب إليه التقاليد الإسلامية ، إلى زيد بن ثابت كاتب النبي ، أن يجمع أجزاء القرآن المبعثرة من المخطوطات المختلفة ، ويقال إن عمر هو الذي أشار بذلك على أبي بكر لما لاحظ أن القتلى قد استحر^(٣) في القراء (حفظة القرآن) في حروب الردة ، وخشي على القرآن من الضياع .. » ، صفحة : ١٦٩ .

(١) ورواية مسلم عن البراء بن عازب أيضاً فيها : « أرني مكانها » .

(٢) منها قولهم :

تَرِئْتُ مِمَّنْ شَرَى دُنْيَا بِأَخِيرَةٍ وَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَتَبَا
(٣) كَثُرَ وَشَاعَ فِي الْقُرَاء .

ثم قال حُتّي : « وأمر بكل نُسخِ القرآن الأخرى أن تُباد ، أما في رأي العلم الحديث فإنَّ المصحف الذي كتبه زيد بن ثابت لأبي بكر الصديق كان مصحفاً خاصاً لا رسمياً » ، صفحة ١٦٩ .

وقال في الصفحة ١٧٠ : « ولقد اتَّفَق دارسو القرآن من نقاد العلم الحديث على صحة الرواية في نُسخِهِ المتداولة اليوم ، وأن هذه النسخ تكاد أن تكون مطابقة للأصل الذي أقرّه زيد ، وأن نصَّ القرآن المعروف اليوم هو كما نزل على لسان محمد » .

وفي الصفحة ١٧٢ : « ومريم أمُّ عيسى هي بنت عمران وأخت هارون في أن واحد » ..

هذا التخبُّط مصدره إما ضحالة ثقافة وعلم حُتّي ، أو الدسُّ الرخيص . فتراه يبدأ بقوله : « فيما تذهب إليه التقاليد الإسلامية » ، وهذا في رأيه تمريض وارتباب ، أتبعها بقوله : « ويقال إن عمر هو الذي أشار بذلك على أبي بكر .. » .. من أين نأتي بتوثيق تاريخ أُمَّة هي صاحبة الحدث والأمر ؟ إن تاريخ الرومان واليونان والفرس والصين والهند .. لم تذكر المراجع والمصادر العربية تفاصيله ، فهل شكَّت تلك الأُمَم بتاريخها المفصَّل ، لأننا لم نذكر عنه شيئاً ؟!

إن دقَّة القرآن العلمية ، بل الحرفيَّة أثبتها العلم الحديث ، باعتراف فيليب خوري حُتّي عندما قال : « ولقد اتَّفَق دارسو القرآن من نقاد العلم الحديث على صحة الرواية في نسخه المتداولة اليوم .. » .

القرآن الكريم محفوظ بعناية ما سقط منه حرف ، والتَّالون له ضابطون لكلماته واحدة واحدة على مرِّ الزمن .

وسلامة النصّ القرآني كانت موضع دراسة الدكتور موريس بوكاي ، فقدّم كتابه : (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ، دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة) ، فخرج - عن علم ودراسة وموضوعية - بنتيجة هي : « صحّة القرآن التي لا تقبل الجدل تعطي النصّ مكانة خاصّة بين كتب التنزيل ، ولا يشترك مع نصّ القرآن في هذه الصّحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد » ، صفحة : ٢٤٦ ، وطالب الدكتور بوكاي بناء على دراسته العلمية : « بحثيّة دراسة الأمور العلميّة والتاريخيّة الواردة في (الكتب المقدّسة) على ضوء القرآن الكريم فقط دون سواه ، فهو وحده لا يحتوي على أيّة مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث » .

إن دقة النصّ القرآني أمر لا يحتاج إلى طويل حديث ، ولكن حتّى غمز عندما قال : « ومريم أم عيسى هي بنت عمران وأخت هارون في آن واحد » ، صفحة ١٧٢ ، وقد سخّف كما سخّف بعض المستشرقين والمبشّرين حين أشاروا إلى بعد المسافة بين مريم وهارون ، وهذا مستغرب ، لأنّ النبيّ الكريم والقرآن العظيم لا يجهلان هذه المسافة ، ولقد ذكرت الروايات (انظر الطبري ، ابن كثير ..) أن المغيرة بن شعبه سأل النبيّ ﷺ عن هذه المسألة بالذات ، فأجابه بأنّ بني إسرائيل كانوا يتسمّون بأسماء أنبيائهم وصالحهم ويتشبهون بهم ، وهذا هو المتبادر من الآية الكريمة ، حيث قصد التشبيه بين مريم وهارون عليهما السّلام بالورع ، على الأسلوب العربي حيث يقولون يا أخا الصّلاح ، يا أخا الجود ، يا أخا العرب ..

فيا أخت هارون كناية عمّا كانت تعرف به مريم من التقوى ، وتشبيهها لها بهارون أخي موسى عليهما السّلام ، الذي كان رئيس كهنة الله^(١) .

(١) التفسير الحديث ، محمد عزة دروزة : ٤٠/٣ .

أما قول حتّي : « وأمر - أبو بكر - بكل نسخ القرآن الأخرى أن تباد » ، فهو قول من يظن بأنّه لم يكن زمن خلافة أبي بكر الصّدّيق إلا أبو بكر وزيد بن ثابت ، أين المسلمون ؟ أين صحابة رسول الله ﷺ من تغيير حرف واحد زيادة أو نقصاناً ؟! هذا .. ولم تكن هناك نسخ للقرآن أخرى قبل جمع زيد لنسخته ، فماذا أباد^(١) ؟!



١٠ - « لقد نسج الإسلام في ترتيب صلاة الجمعة على منوال اليهود في عبادتهم بالكنيس ، إلا أنّه تأثّر من بعد بطقوس صلاة الأحد التي يارسها النصارى في البَيْع » ، صفحة : ١٨١ .

كيف نسج ؟

كيف تأثّر ؟

لم يوضح حتّي ذلك ، أما إذا أراد أن في الإسلام كما في اليهوديّة والمسيحيّة صلاة جماعة وعبادات ، فقول سخيف ، لأن جميع أديان العالم فيها ما يقوم النفس ، فليس وجود عبادة في دين ، ووجود ما يشبهها في دين آخر دليلاً لاتهم أحد الدينين بأنّه أخذ عن صاحبه ، ومنطق من يقول بهذا منطق سقيم . ومع كل هذا ، العبادات في الإسلام غيرها في المسيحيّة أو اليهوديّة كما مرّ معنا في صفحات سابقة .



١١ - « ولقد تغيّرت مقادير الزكاة على مرّ الأيام ، إلا أنّها تتعيّن دائماً

(١) أُبيدت عشرات الأناجيل ، واعتمد من الأناجيل أربعة فقط ، فحتّي هنا في موقف الإسقاط ، وكأنّه اتهم المسلمين بما اتهم ، لكي لا يُسأل ويُناقش لماذا أُبيدت عشرات الأناجيل واعتُدت أربعة فقط ؟!

بالرجوع إلى الفقه ، والزكاة على العموم تبلغ اثنين ونصف بالمئة من الأصل الذي تجب منه .. » ، صفحة ١٨٢ ، وقال في الصفحة ٢٩٢ : « وقد جعل معاوية الزكاة اثنين ونصفاً بالمئة من أعطيات المسلمين » .

وصواب ما سبق :

الزكاة لا تتغير على مرّ الأيام ، إن نسبتها ثابتة ، قال ﷺ : « إذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم ، وليس عليك شيء (يعني في الذهب) حتى يكون لك عشرون ديناراً ، فإذا كان لك عشرون ديناراً ، وحال عليها الحول ففيها نصف دينار » ، رواه أبو داود والبيهقي ، نيل الأوطار : ١٣٨/٤ .

وتعريف الزكاة : حقٌ يجب في المال ، مقداره ربع العشر ، أي ٢,٥٪ .

وزكاة الزروع والثمار معروفة ، قال ﷺ : « فيما سقت السماء والعيون أو كان عَثْرِيًّا^(١) العُشْر ، وفيما سقي بالنضح نصف العُشْر » ، رواه الجماعة إلا مسلماً عن ابن عمر (نيل الأوطار : ١٣٩/٤) .

وقوله ﷺ : « فيما سقت الأنهار والغيم العشور ، وفيما سقي بالسانية^(٢) نصف العشور » .

ولزكاة الحيوان أو الأنعام بحثها المحدد أيضاً^(٣) .

فزكاة المال على مرّ الأيام نسبتها ثابتة ، ولكن يجب تقويم نصاب الزكاة في

(١) العثري : ما يسقيه المطر ، أو تشرب عروقه من ماء قريب من غير سقي ، وفي لفظ : بعلًا .

(٢) السائي : البعير الذي يستقى به الماء من البئر .

(٣) انظر « الفقه الإسلامي وأدلته » ، د . وهبة الزحيلي : ٨٣٧/١ : [زكاة الإبل ، الغنم ، البقر ، الخيل ..] .

كل زمان بحسب القوّة الشرائيّة للنقد المعاصر ، وبحسب سعر الصرف لكل من الذهب والفضّة في كل سنة ، وفي بلد المزكّي وقت إخراج الزكاة .



١٢ - وقال حتّي عن عمر رضي الله عنه : « يحرم من لم يكن عربياً من حقّ الرعوّيّة في هذه الجمهوريّة .. » ؛ صفحة ٢٢٦

هذا القول الذي تنقضه أعمال وتوصيات عمر رضي الله عنه ، يجعلنا نقول : إنه أراد الانتقاص من قدر عمر ، وخاصة عندما قال عنه رضي الله عنه : أجلي اليهود بالرغم من عقود الأمان السالفة .. والعقود التي أرادها حتّي صوابها ما يلي :

تفحص عمر رضي الله عنه الأمر مع كبار الصحابة ، ثم قال لليهود في خيبر : من كان عنده عهد من رسول الله ﷺ فليأت به أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد فليتهجّز للجلاء^(١) ، فأجلى يهود خيبر ، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من ثمر وغيره ، كما أجلى يهود فدك ونصارى لجران .

جاء رجل من بني الحقيق وقال : يا أمير المؤمنين ، أخرجنا وقد أقرنا محمد وعاملنا على أموالنا ، وشرط ذلك لنا ؟

فقال عمر رضي الله عنه : أظننت أني نسيت قول رسول الله ﷺ لك : « كيف بك إذا أخرجت من خيبر يعدو بك قلوصلك^(٢) ليلة بعد ليلة » ؟ ، فقال : هذه كانت هزيمة^(٣) من أبي القاسم ، فقال عمر : كذبت يا عدو الله^(٤) .

(١) الطبري : ٢١/٣ .

(٢) القلوصل من التوق الشّابة .

(٣) الهزل ضدّ الجدّ .

(٤) السيرة الحلبية : ٦٨/٣ ، السيرة النبوية لابن كثير : ٤١٥/٣ ، الكامل في التاريخ : ١٥١/٢ ، ابن هشام : ٢٢٨/٣ ، ابن خلدون : ٣٩/٢ ، البلاذري (فتوح البلدان) : ٤١ ، البداية والنهاية : ٢١٩/٤ : « لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان » .

فعمر ، وقد تمثّل الإسلام به ، أحرص الناس على عقود الأمان والمعاهدات وتنفيذها .



١٣ - « وقد احتفظ الإسلام بنظام الرقيق السّامي القديم الذي أقرّته التّوراة من قبل ، ومع أنّ الإسلام أوصى بإصلاح شأن العبد ، وضع - أي ألغى - الشرع استرقاق المسلم ، فإنّ الرقيق لم يكن من حقّه أن يُعتقَ بمجرد دخوله في الإسلام ، وكان معظم العبيد في فجر الإسلام من أسرى الحرب ، أو الغزو ، أو من الذين شروا بالمال .. ونصّت الشريعة الإسلاميّة أنّ مولود الأمّة من غير سيّدها عبد سواء أكان الوالد عبداً أو حراً ، وكذلك يحسب ولدها من سيّدها ما لم يعترف ببنوّته ، أمّا أولاد العبد من زوجة حرة فأحرار » ، صفحة : ٣٠٣ .

- « وقد احتفظ الإسلام بنظام الرقيق السّامي القديم الذي أقرّته التوراة من قبل » ، وصواب هذه العبارات : في التوراة :

اليهودي لا يُسترق ، أما غير اليهودي فهو وحده الذي يجوز استرقاقه بالحرب أو الشراء ، ويعامل بعنف ، ولا يجوز تحريره أو افتدائه ، ويبقى رقيقاً أبداً الدهر ، (سفر التثنية ١٥ : ١٢ - ١٤) ، وفي اعتقاد اليهود ، أنّ الله جعل الغرباء عبيداً لليهود ، فلا يتحرّر من يقع في رقّهم بعثقٍ أو فداء .

أمّا في الإسلام : فالرّق عَجْزٌ حُكْمِيٌّ يصيب من يقع أسيراً في حرب مشروعة ، وبهذا التعريف يختلف الرّق في الإسلام في مصدره ومفهومه عن قوانين وشرائع الشعوب الأخرى ، لأنّ مصدره الوحيد في الإسلام « حرب مشروعة » ، وهي قتال من يصد دعوة الإسلام بعد أن يتبلّغها ، وألغى ما سواه من المصادر الأخرى ، فضيّق بذلك المدخل إلى الرّق ، ثمّ حضّ على العتق ويسرّ أسبابه ،

فأوسع بذلك الخروج من الرّق ، وأمر أن يعامل الرقيق معاملة كريمة تحفظ شعوره الإنساني^(١) .

وهذا الرّق مؤقت ، يزول بالفداء أو العتق ، وشرّع للأرقاء شرعة لم يسبقه إليها دين من الأديان ، واعتبر الرّق نظاماً دولياً لا يمكن إلغاؤه من جانب واحد ، فالرّق في الإسلام نظام استثنائي فرضته ظروف الحرب كمعاملة بالمثل ، هذا .. وليس في القرآن الكريم آية واحدة تحثُّ أو تحضُّ أو تحبّد الرّق ، وكذلك الحديث الشريف .

فأين هذا من نظام الرقيق الذي أقرّته التوراة ؟

- « إنَّ الرقيق لم يكن من حقّه أن يعتق بمجرد دخوله في الإسلام » .

وهذا أمر طبيعي ، خشي الإسلام ألاعيب المنافقين ، فقد يُظهر أحدهم الإيمان في الأسر ، حتى إذا نجا بنفسه ، عاد إلى قومه يحمل السلاح ليسيء إلى من أحسنوا إليه ، وإذا كان الرجل صادقاً في الإسلام ، فلن تنزّه مهلة يسترد بعدها حرّيته في منفذ من المنافذ ، كالعتق أو المكاتبه أو التدبير^(٢) ..

- « ونصّت الشريعة الإسلاميّة أن مولود الأمّة من غير سيّدها عبد سواء أكان الوالد عبداً أو حرّاً ، وكذلك يحسب ولدها من سيّدها ما لم يعترف ببنوّته .. » .

أولاً : هل يحقُّ للأمّة لقاء غير سيّدها إذا تسرّى بها ؟

ثانياً : إذا أصاب السيّد أمّته فحملت منه ووضعت حرّم بيعها أو هبتها ، واعتقت بموته ، وكان ولدها منه حرّاً .

(١) انظر : الرّق ماضيه وحاضره ، د . عبد السلام الترماني ، سلسلة عالم المعرفة (٢٣) .

(٢) وإذا كان الإنسان رقيقاً لمشرك أو كافر وأسلم فإنه يتحرّر ، فقد أعتق النبي ﷺ عبيد أهل الطائف لما انضموا إليه ، وأبى أن يردهم إلى مالكيهم وقال : « هم عتقاء الله عز وجل » .

- ولم يتعرّض حتّى لموقف الكنيسة من الرّق ، لأنّها أيدت بوجه عام استرقاق من لا يدين بالمسيحيّة ، وقد اتخذ الأوروبيون من هذا المبدأ أساساً لاسترقاق الشّعوب ، واستندت الكنيسة في إباحتها استرقاق الزوج إلى ماورد في التوراة^(١) من أن نوحاً عليه السّلام لعن ابنه حام ودعا ربّه أن يجعله هو وأولاده عبيداً لأخوتيه سام ويافت ولأولادهم من بعدهم ، وقد كان للكنيسة مصلحة ماديّة في الاعتماد على هذا النصّ التوراتي لتبرير استرقاق الزوج ، فقد أغراها تجار العبيد بالمال ، وجعلوا لها رسماً عن كل عبد تُعمّده ، فيتنصّر بالتّعميد وتطهر روحه من دنس اللعنة التي أصابته من دعاء نوح . وفي المعجم الكبير للقرن التاسع عشر « لاروس » : لا يعجب الإنسان من بقاء الرق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم ، فإنّ نواب الدّين الرّسميين يقرّون صحّته ، ويسلمون بمشروعيتها .. وجاء فيه أيضاً : الخلاصة أن الدين المسيحي ارتضى الاسترقاق تماماً إلى يومنا هذا ، ويتعذّر على الإنسان أن يثبت أنّه سعى في إبطاله .

وكانت الملكة « اليزابيث الأولى : ١٥٥٨ - ١٦٠٣ م » ، تشارك في الاتّجار بالرقيق ، وكانت شريكة « لجون هوكنز » أعظم نخّاس في التاريخ ، وقد رفعتّه إلى مرتبة النبلاء إعجاباً ببطولته ، وحملت شعاره رقيقاً يرفل في السّلاسل والقيود .

ومن المفارقات الطريفة : أنّ السّفينة التي أعدّها لجون هوكنز ، كانت تسمّى « يسوع » ، وكان عدد السّفن المحصّنة للاتّجار بالرقيق ١٩٢ سفينة ، تُسّع حملتها في الرحلة الواحدة ٤٧,١٤٦ رقيقاً ، وقد طلبت انجلترا من رجال الدين مبرّراً لهذه التجارة ، فأسعفوها بنصوص التوراة التي تقدّمت !!

(١) وهنا يصح القول : « وقد احتفظت المسيحيّة بنظام الرقيق السّامي القديم الذي أقرّته التوراة من قبل » .

ولويس الثالث عشر ملك فرنسا ، لم يصدر قراراً باسترقاق الزوج ، إلاً بعد أن أوحوا له أنه الطريق السليم لهدايتهم للمسيحية !!

☆ ☆ ☆

١٤ - « ولقد أثر القانون الروماني مباشرة أو بواسطة التلمود في التشريع الأموي ، إلا أن المدى الذي بلغه ذلك الأثر لم يتحقق بعد » ، صفحة : ٣١٠ .
ولن يتحقق هذا الأثر ، لأنه لا يوجد تشريع أموي مطلقاً ، فالإسلام كان نهج المجتمع في الدولة الأموية .

☆ ☆ ☆

١٥ - واصل بن عطاء : « وهو مؤسس المدرسة الفكرية التي اعتمد أصحابها على العقل دون النقل ، وقالوا بالمنزلة بين المنزلتين ، أي أن الفاسق المرتكب للكبائر يعتزل عن جماعة المؤمنين ، فهو ليس بمؤمن ولا كافر ، بل له مقام وسط بين الاثنين وهو الاعتزال ومنه عرفوا بالمعتزلة » ، صفحة : ٣١٣ .
وصواب سبب التسمية ما يلي :

سئل الحسن البصري^(١) عن يكفر أصحاب الكبائر ، وعن يرجئونهم ، فتفكر الحسن في ذلك ، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء^(٢) : أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً ، بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن : اعتزل عنا واصل ، فسمي هو وأصحابه معتزلة^(٣) .

☆ ☆ ☆

(١) توفي رضي الله عنه سنة ١١٠ هـ .

(٢) ٨٠ - ١٣١ هـ .

(٣) الملل والنحل للشهرستاني : ٤٨/١

١٦ - « بناء المدارس يُعَدُّ من النوافل في الإسلام » ، صفحة ٤٩٩ .

النَّفْلُ وَالنَّافِلَةُ : ما يفعله الإنسان مما لا يجب عليه ، [اللسان : نفل] .

أين هذا من أوّل كلمة نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿ اقرأ ﴾ ؟

ومن السُّورة الثَّانِيَّة من حيث النُّزول : ﴿ ن ، والقلم وما يسطرون ﴾ ،
وفسّر العلماء « ن » بالدواة ؟

وأين هذا من : « العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ، « ليس منّي إلاّ عالم
أو متعلّم » ؟

بل أين هذا من أسرى بدر ، قال ابن سعد « الطبقات : ٢٢/٢ » : « كان
أهل مكّة يكتبون ، وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن له فداء دُفِعَ إليه عشرة
غلمان من غلمان المدينة فعلمهم ، فإذا حذقوا فهو فداؤه » ؟

وهل وصل المسلمون إلى بقعة من الأرض ولم تزدهر بها العلوم ، ولم ينشئوا
فيها المدارس والجامعات والمستشفيات .. ؟

أنسي حتّى الأندلس وصِقْلِيَّة وجنوب فرنسة وما وراء النهر وبغداد
ودمشق ، إن في دمشق حيّ كامل اسمه حيّ المدارس ؟

فبناء المدارس في الإسلام من الفروض ، علماً أن المساجد كانت حلقاتها
مدارس لكل العلوم أيضاً .

☆ ☆ ☆

١٧ - « جعل المأمون الاعتزال دين الدولة الرّسمي » ، صفحة ٥١٧ .

ونسأل حتّى : ماذا كان دين الدولة قبله ؟

الصواب : الاعتزال مذهب الدولة الرّسمي ، فالدين هو الإسلام لم يتبدل ولم
يتغيّر .

وقال في الصفحة ٧٣٦ : « أما الأحكام التي وضعها عليهم الشرع الشافعي فانظر بشأنها الأبشيهي » .

وصوابه : المذهب الشافعي ، ولا نعرف شرعاً اسمه « الشرع الشافعي » .



١٨ - وقال حُتّي في الصفحة ٨٦٨ عن الجزيرة العربية : « كانت الجزيرة العربية كتلة مستقلة بذاتها متميزة من كتلة أفريقية الشمالية ، وكتلة الهلال الخصيب ومصر . وقد أحاط بالجزيرة بصفقتها مهد الإسلام هالة من القدسيّة ، ومن هنا صار لها مكانة خاصّة في قلوب المسلمين في كل العالم ، وقد طبعها قدسيّتها هذه وانعزالها الجغرافي ومواصلاتها غير المنظّمة بطابع العصور الوسطى الذي لا يزال يميّزها حتى الآن » .

- الجزيرة العربية كتلة متّمة لكتلة الهلال الخصيب ومصر ، وبعض الجغرافيين يعتبرون أرض الجزيرة ما بين الدجلة والفرات منها ضمناً .

- وصحيح أن للجزيرة العربية مكانتها الخاصّة في قلوب المسلمين في كل العالم ، كما لكل أتباع الديانات الأخرى أمكنة لها قدسيّتها عندهم ، ولكن هذه القدسيّة لم تسبب انعزالها ، بل العكس صحيح ، هذه القدسيّة جعلت مئات الألوف من المسلمين يؤمنونها كل عام . وطابع العصور الوسطى طابع رائع عظيم .

طابع العصور الوسطى طابع التأخر والظلام والجهل وحرق العلماء ومحاربة المعرفة حقّاً لا ريب فيه ، لكنه ينطبق على أوربة وحدها ، باستثناء أوربة التي وصلها المسلمون .

وطابع العصور الوسطى في العالم الإسلامي طابع الجامعات المفتوحة للطلبة الأوربيين الذين جاؤوا من بلادهم لطلب العلم ، فطابع العصور الوسطى عندنا ، طابع الحضارة الرفيعة السامقة ، التي نهلت منها أوربة فكانت نهضتها .

فيليب حتّي

وحضارتنا

☆ « إنَّ التاريخ لا يهتم بماذا كان يمكن أن يحدث ، لو أن هذا قد حدث ، أو لو أن ذلك لم يحدث ، إنَّ التاريخ أعقق وأدق من أن يسبح في الخيال ، فواجهه الأوّل هو الاهتمام بالحقائق ، فكل موجة علم أو معرفة قدمت لأوربة في ذلك العصر ، كان مصدرها بلدان إسلاميّة » .

د . زيفريد هونكة

[شمس العرب تسطع على الغرب ، ص : ٥٤١]

أما الافتراءات التي أوردتها حتّي حول حضارتنا العربيّة الإسلاميّة ، فمنها :

١ - « ولم ينشئ العرب امبراطوريّة فحسب ، بل أنشأوا ثقافة زاهرة أيضاً » ، صفحة : ٢

وصوابه : ولم ينشئ المسلمون امبراطوريّة فحسب ، بل أنشؤوا حضارة زاهرة أيضاً .

☆ ☆ ☆

٢ - « وقاموا مقام الوسيط في أن نقلوا إلى أوربة خلال العصور الوسطى كثيراً من هذه المؤثرات الفكرية التي أنتجت بالتالي يقظة أوربة الغربية ، ومهدت لها سبيل نهضتها الحديثة » ، صفحة : ٢ أيضاً .

يناقض ما سبق ، رأي آخر سجّله حتّي في الصفحة : ٤ ، قال فيه : « ثم إن اللغة العربية هي لغة تخاطب لما يقرب من خمسة وأربعين مليوناً من الناس ^(١) ، وقد كانت طوال قرون عديدة في العصور الوسطى لغة العلم والثقافة والفكر الرّاقى في جميع أنحاء العالم المتدّن ، بحيث كان ما أُلّف فيها فيما بين القرن التاسع والقرن الثاني عشر من التّأليف الفلسفيّة والتّاريخيّة والدينيّة والفلكيّة والجغرافيّة أكثر مما أُلّف في أي لغة أخرى ، وهذه لغات أوربة الغربيّة لا تزال إلى الآن تحمل أثر الطابع العربي في طائفة كبيرة من الألفاظ المستعارة » .

العرب المسلمون ليسوا في مقام الوسيط ، كما في الفقرة الأولى ، بل أَلّفوا وأضافوا ورفدوا الحضارة في شتى فروعها العلميّة .

وقال حتّي في الصفحة : ٢٣٢ : « المدنيّة العربيّة الإسلاميّة - وصوابها الحضارة العربيّة الإسلاميّة - هي تكملة للمدنية - أي الحضارة - السّاميّة العريقة التي زهت في الهلال الخصيب ، ابتدعها ورعاها الآشوريّون والبابليّون والفينيقيّون والآراميّون والعبرانيّون - وهذا إقحام للعبرانيين بدل العرب الكنعانيّين ^(٢) - ، ثم أتمّ عملهم العرب ، فهي مثال الذروة القصوى التي بلغتها مدنيّة - أي حضارة - البحر المتوسّط القائمة في غرب آسية » .
« وقاموا مقام الوسيط » .

إنّ هذه العبارة الحاقدة ، تعطي العرب المسلمين دور ساعي البريد فقط ، وتنقص من قدرهم .

إن بساط الحضارة بساط نسجته وتنسجه أيدي كثيرة ، وكلّها تهبه طاقاتها ، وكلّها تستحق الثناء والتقدير .

(١) ما يقرب من مئتي مليون من الناس حالياً .

(٢) يتناسى الكنعانيّين لأن التوراة لم تذكرهم بين أبناء سام ، لأسباب سياسيّة ودينيّة .

ولم تنكر الحضارة العربية الإسلامية اعتمادها في نموها وتطورها وازدهارها على حضارات أخرى سبقتها ، كحضارة الهند والفرس والصين والإغريق^(١) .

أما ما أسماه الأوربيون : « المعجزة اليونانية » ، فإنها تتلخص بقيام اليونان بتدوين ما ابتدعته عبقریات الشرق الأدنى من الآثار بشكل منسق .

وبما أن حضارة كل أمة هي امتداد لحضارة من سبقتها من الأمم ، فيجدر القول هنا إن العديد من الحقائق التاريخية تذكر بأن الحضارة اليونانية هي امتداد للحضارة العربية القديمة في وادي الرافدين ، ووادي النيل ، وبلاد الشام ، ولذلك فمن المؤكد أن يكون الإغريق الذين اقتبسوا من الحضارة العربية في شرق البحر المتوسط ومصر الشيء الكثير من العلوم المختلفة ، الذي عاد أكثره إلينا على أنه علم وطب إغريقي ونُسي الأصل^(٢) .

إن طاليس (٦٢٤ - ٥٣٦ ق . م) كان من أوائل علماء اليونان المتخصصين بالعلم والحكمة ، وقد قام بزيارة مصر عدة مرات ، ونقل معه العلوم الهندسية ، إضافة إلى ذلك ، فإنه تعلم من الفينيقيين العرب تحسينات في فن الملاحة بواسطة النجوم ، بمساعدة الجداول الفلكية البابلية .

أما فيثاغورس (٥٧٢ - ٤٩٧ ق . م) الذي زار مصر عدة مرات ، وتعلم فيها العلوم الرياضية ، كما أنه مكث في بابل مدة طويلة ، ودرس علم الرياضيات فيها أيضاً ، وبات من المعروف الآن في الأوساط العلمية بأن النظرية التي نسبت إليه ، والتي تقول : مساحة المربع المنشأ على وتر مثلث قائم الزاوية تساوي مساحة المربعين المنشأين على الضلعين القائمين ، هي في الأصل بابلية^(٣) .

(١) الإغريق واليونان في معنى واحد .

(٢) انظر الفيلسوف ، العدد ٩٢ (حضارة الإغريق امتداد للحضارة العربية القديمة) ، د . غازي الحاجم .

(٣) انظر « أطلس التاريخ العربي » ، صفحة : ١٨ ، حيث صورة اللوحة الحجرية التي وجدت في تل حرمل ، المدينة البابلية ، الواقعة في ضواحي بغداد .

أما ديمقراطس (٤٧٠ - ٣٦١ ق . م) ، وأفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق . م) ، وأيودكسس (٤٠٨ - ٣٥٥ ق . م) ، فقد أقام كل واحد منهم في مصر ، ودرس العلوم المصريّة المختلفة التي نقلها بدوره إلى اليونان .

والطب اليوناني استفاد الكثير من العلوم الطبيّة المصريّة والبابليّة ، إن شعار الأفعى كرمز للشفاء ، معروف لدى العاملين في الحقول الطبيّة المختلفة ، وقد اعتُقد بأن هذا الشعار من أسقلايوس اليوناني ، ولكن توجد في متحف اللوفر بباريس منحوتة من لكش - إحدى المدن العراقيّة القديمة - ، يعود عهدها إلى ألفي سنة قبل الميلاد ، مزينة بدورق فيه صورة لأفعيين ملتفتين على بعضهما ، يقف خلفهما (جوديا) أمير لكش ، ومكتوب عليها : إنها مهداة إلى نينكيش زيدا مع الشفاء .

وأثبت ريچتال ثومبسون في كتابه : « النباتات الطبيّة الآشوريّة » ، جدولاً بما اقتبسهُ اليونانيون من النباتات الطبيّة العربيّة^(١) .

(١) أهم ما اقتبسهُ اليونانيون من النباتات الطبيّة العربيّة القديمة ، كما جاءت في كتاب (ثومبسون) :

| اللفظة اليونانيّة : | الكلمة العربيّة اليوم : | الكلمة الآشوريّة : |
|---------------------|-------------------------|--------------------|
| Myrrha | المُرّة | Murra |
| Termis | الترمس | Tarmus |
| Azaolus | الوزال (البلوط) | Arzallu |
| Curcuma | الكرّم | Kurkamu |
| Sesamum | السّمسم | Samassamu |
| Saffaran | الزعفران | Azupiramu |
| Amber | العنبر | Anber |
| Cherry | الكرز | Karru |
| Carob | الحروب | Marabu |
| Cotton | القطن | Kitu |

ولا شك أنه بعد أن انتقلت العلوم الطبيّة العربيّة المصريّة والبابليّة إلى اليونان ، حدث تطور كبير لا ينكر في العلوم الطبيّة اليونانيّة ، وخاصة في جزيرة كوس اليونانيّة ، حيث تأسست مدرسة طبيّة فيها ، وظهر بها أعظم أطباء اليونان أبوقراط (٤٦٠ - ٣٧٥ ق . م) .

وللحضارة العربيّة الإسلاميّة الفضل الكبير في المحافظة على التراث اليوناني والعربي القديم ، لأنّ الأوربيين كانوا يجهلون العديد من مؤلّفات اليونان التي اعتمدت أصلاً على التراث العربي القديم .

« إنّ ما قام به العرب - المسلمون - هو عمل انتقادي له مغزاه الكبير في تاريخ العالم ، وإن حضارة قد هوت وتحطّمت وكانت على وشك الفناء أمام أعين خالقها الذين صار لهم الآن هدف آخر يسعون إليه ولا يمت لهذا العالم بصلة ، فما بقي من هذه الحضارة ، يجب أن تشكر عليه البشريّة اليوم العرب وحبهم للعلم ، ولا يعود لبيزنطة فيه إلّا فضل قليل ، وعلى أيّة حال ، فإن ما بقي ليس إلّا جزءاً من كل ، فأدب القدماء - كاملاً - لا ولن نعرفه ، فلقد فقد الكثير منه »^(١) .

وجاء دور العرب المسلمين في بناء الحضارة ، فنقلوا وترجموا .. وصحّحوا ودرسوا وأضافوا وأبدعوا ..

فلو غارتمات الخوارزمي الرياضيّة باقية في كل أرجاء العالم إلى يومنا هذا .

وبصريّات الحسن بن الهيثم ، جعلت زيغريد هونكه تقول : « علم البصريّات علم عربي دون أيّة مبالغة »^(٢) .

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ، د. زيغريد هونكه ، ص : ٣٧٧

(٢) في كتابها : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص : ٢٧٩ ، وقال عنه وول ديورانت : « لامبالغة مهما قلنا في أثر ابن الهيثم في العلم في أوربة » .

وكل من لم يطلع على كتب ابن سينا والرازي ، وأراد ممارسة الطب ، اتهم بالعمل على الإضرار بالمصلحة العامة^(١) .

وطب ابن النفيس مشهود له معروف ، سبق هارفي بأربعمئة سنة ، وسبق سارفيتوس بثلاثمئة سنة ، وقد قيل فيه : « لا يوجد على وجه الأرض قاطبة مثيل له ، ومنذ ابن سينا لم يوجد أحد في عظمته^(٢) » .

الجراح الأندلسي أبو القاسم الزهراوي : « أدخل تجديدات كثيرة ليس على علم الجراحة عامة فحسب ، بل أيضاً على مداواة الجروح ، وفي تفتيت الحصاة داخل المثانة ، وفي التشريح ، وإجراء العمليات^(٣) .. » .

والعرب الماسمون هم المؤسسون الحقيقيون لمهنة الصيدلة .

« إن كل مستشفى ، مع مافيه من ترتيبات ومختبر ، وكل صيدلية ومستودع أدوية في أيامنا هذه ، إنما هي في حقيقة الأمر نصب تذكارية للعبقريّة العربية ، كما أن كل حبة من حبوب الدواء مذهبة أو مسكرة ، إنما هي كذلك تذكّار صغير ظاهر يذكّرنا باثنين من أعظم أطباء العرب ، ومعلّمي بلاد الغرب^(٤) » وهما ابن البيطار ، وابن الخطيب الأندلسي ..

لقد ظلّ الغرب متأخراً ثقافياً واقتصادياً طوال الفترة التي عزل فيها عن الإسلام ، ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلّا حين بدأ احتكاكه بالمسلمين سياسياً وعامياً وتجاريّاً ، والعداء الديني ، والتعصّب الأعى كانا أسوأ قائد لأوربة ، حرماها من الحياة والازدهار فترة طويلة .

(١) أوردت هذا الرأي زيفريد هونكة في « شمس العرب .. » ص : ٢١٣ نقلاً عن : أغريبا فون نيتسهام .

(٢) شمس العرب .. ص ٢٦٢

(٣) شمس العرب .. ص ٢٧٧

(٤) شمس العرب .. ص ٢٣٤

لقد بدأت نهضة الغرب ، عندما بدأ يسمع بالخوارزمي ، وابن الهيثم ، وابن سينا ، والرازي ، وجابر بن حيان الكوفي ، وابن النفيس ، وأبي القاسم الزهراوي ، وابن زهر ، والدينوري ، والإدريسي ، والبستاني ، والبيروني ، والفارابي ، وابن رشد ، وابن خلدون ...

إن الحضارة العربيّة الإسلاميّة ، لم تكن « ساعي بريد » مهمّته النقل والإيصال ليس غير ، بل مع حفاظها على تراث الحضارات السّابقة ، أبدعت وأضافت ، والكتب التي أنصفتها كثيرة ومتوفّرة في مكتبتنا ، وإن لم ينصفها حتّى .



٣ - « وبعد أخبار العلماء العصريين من أرباب الاكتشاف والارتياح ، فإن أهم ما يعتمد عليه من المصادر لدراسة تاريخ الجزيرة القديم ، هو التّأليف العربيّة الّتي وُضعت بعد الإسلام ، وأكثرها على غزارة مادتها متأخّرة لا يوثق بها تمام الثقة » ، صفحة : ٧ .

لماذا لا يوثق بها تمام الثقة ؟ لم يجب حتّى !!

ونحن نذكّر هنا ، بأن دراسة الحديث الشّريف أثمر منه علم جديد هو : « مصطلح الحديث » ، أو : علم أصول الأحاديث ، وهو من أنفس ما أوجدته حضارتنا من علوم ومبتكرات ، « مصطلح الحديث » أدقّ ميزان علمي لتحخيص الأخبار والروايات وتمييز زائفها من صحيحها ، فقد أحكت فيه قواعد هذا التحيص والنقد . واستخدم هذا المصطلح في تحخيص الروايات التاريخيّة ، وفي أصول البحث والتحقيق التّاريخي بدقّة عالية المستوى .

فلماذا لا يثق بها حتّى !؟



٤ - « كانت جزيرة العرب إسفيناً يفصل بين مركزي الثقافة القديمة ، مصر وبابل ، وربما كانت البُنباب في الهند مركزاً ثقافياً ثالثاً ، ففصلت الجزيرة بينها وبين بلدان الغرب أيضاً ، وعلى الرغم من أن الجزيرة لم تقع تحت سلطان الثقافة التي ترعرعت وازدهرت في وادي النيل ووادي الرافدين ، فإنها لم تستطع أن تتخلص من تأثيرها » ، صفحة : ٤٠ .

وصواب ماسبق :

بابل من أطراف الجزيرة الشماليّة الشرقيّة .

ولم تكن جزيرة العرب إسفيناً يفصل بين مراكز الحضارة القديمة ، مصر وبابل والهند من جهة ، وبينها وبين الغرب من جهة أخرى .

لقد وصل نفوذ (دولة مَعين) التجاري حتى الخليج العربي ، وإلى جنوب سورية ، وحتى الحوض الشرقي للبحر المتوسط بواسطة مدينة غَزّة .

والسبئيون : كانوا ملاحين ماهرين ، وتجاراً نشيطين ، عبروا المحيط الهندي إلى الشرق الأقصى ، وإلى موانئ الهند والصين وسومطرة ، وإلى الصومال وغيرها ، وكانوا ينقلون التوابل والأفاويه وغيرها من سلع الهند إلى مصر عبر البحر الأحمر ، وسيطروا على طرق القوافل التجاريّة من حضرموت إلى مأرب فكّة فغَزّة .. وبهذا كانت الجزيرة العربية حلقة اتصال بين مراكز الحضارة القديمة^(١) .



(١) ودولة كِنْدَة التي قامت وسط الجزيرة قبل الإسلام ، وكانت عاصمتها الفاو (قرية) شمال شرقي اليمن ، كان مجتمعا متحضراً بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى ، فرغم بعدها الجغرافي عن بلاد الرافدين وبلاد الشام ، إلا أنها كانت على اتصال وثيق بالحضارات بسبب التجارة ، وللتقل السياسي الذي مثلته دولة كِنْدَة .

٥ - « وحوالي سنة ٥٠٠ ق . م نزل الأنباط الأرض الواقعة إلى الشمال الشرقي من شبه جزيرة سيناء ، ونستطيع أن ندرك مدى الرُّقي الذي بلغته حضارتهم فيما بعد ، وذلك بتأثير الرومان ، بما يبدو في آثار البتراء عاصمتهم المنحوتة في الصخر من عظمة ومجد » ، صفحة : ١٢ .

« للأنباط ^(١) حضارة عريقة تميّزت بطابعها التجاري والعمراني ، وهي عربيّة في لغتها ، آراميّة في كتابتها ، ساميّة في ديانتها ، يونانيّة رومانيّة في فنّها وهندسة عمارتها ، لذلك فهي مزيج حضارة مركّبة ، سطحية المظهر الهليني ، ولكنها عربيّة الأساس » ، هذا مقال له فيليب حتّي في كتابه : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ^(٢) : ٤٢٦/١ و ٤٢٩ .

فهي عربيّة الأساس كما اعترف حتّي ، والحقيقة تقول أيضاً : عاصرت دولة الأنباط السلوقيين والبطالمة قبل الميلاد ، والدولة الرومانيّة بعد الميلاد . وغالباً ما كانت تميل إلى البطالمة وتتأثر بنفوذهم على المحافظة على استقلالها . ويتبع العمران النبطي أساليب فنيّة وزخرفيّة نافرة متأثرة بالفن الهلنستي الذي كان سائداً في سورية ومصر في أثناء حكم السلوقيين والبطالمة ، وهو فن مزيج من عناصر هليينية (يونانيّة) في الأصل ، خضعت لتأثيرات وأوضاع شرقيّة طوّرتّه . ولما استقدم الحارث الثالث الصّناع السّوريين ، أدخلوا معهم نماذج هلنستية تبدو ملامحها على الواجهة الجميلة لبناء يُسمّى اليوم « هيكل الخزنة » في البتراء ^(٣) .

لقد كانت البتراء الجميلة قبل مجيء الرومان إلى سورية سنة ٦٦ - ٦٥ ق . م ، فكيف أثر بها الرومان !؟



(١) سكن الأنباط البتراء حوالي ٥٠٠ ق . م ، وسقطت دولتهم في عهد الامبراطور (تراجان) سنة ١٠٦ م .

(٢) ونقل أيضاً هذه العبارات د. توفيق برو في كتابه : « تاريخ العرب القديم ، ص : ١٠٥

(٣) وهذا ذكره حتّي أيضاً ، ص : ٤٢٠ ، في كتابه : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين .

٦ - وبعد حديث مطوّل عن نصرانيّة اللّخمين المناذرة ، قال حتّي في الصفحة ١١٣ : « وقام النصارى من سكان جنوبي الفرات بدور المعلّمين للعرب الوثنيّين ، يعلّمونهم القراءة والكتابة والدين » .

متى علّموهم القراءة والكتابة وكيف ؟ لم يذكر حتّي شواهد وأدلّته .

أما الدين ، فقد بقي عرب الجزيرة الوثنيين على وثنيّتهم حتّى ظهور الإسلام .



٧ - فلسفة العرب « في الجوهر فلسفة يونانيّة متأثرة بنظريات الشعوب التي غلبوها ، و ببعض المؤثرات الشرقيّة » ، صفحة : ٤٥٢ .

قال فريق من المستشرقين ، وتبعهم فريق من الدارسين العرب : إن الفلسفة العربيّة في الإسلام ليست سوى الفلسفة اليونانيّة مكتوبة بحروف عربيّة ، وغالى بعضهم فعدها تعريفاً لفلسفة أرسطو .

لقد تفاعلت العقليّة العربيّة حاملة الدين الجديد مع عقليات الأمم الأخرى في البقعة الواسعة التي انتشر بها الإسلام ، وتمازجت ثقافتها مع ثقافاتهما ، وكان من حصاد ذلك عقلية جديدة ، وثقافة جديدة ، احتلت الفلسفة الإسلاميّة منها مركزاً ممتازاً^(١) .

الفلسفة اليونانية أثّرت في الفلسفة الإسلاميّة بعد أن اطلع العرب عليها عن طريق الترجمات السّريانية .

وكان أضخم تراث فلسفي يوناني وصل إلى المسلمين ، هو فلسفة أرسطو في ثوبها الأفلاطوني الحديث .

(١) التراث العربي ، العدد ١٧ ، المحرّم ١٤٠٥ هـ / تشرين الأول « أكتوبر » ١٩٨٤ ، السنة الخامسة ، مقالة : مقدّمة لدراسة الفلسفة العربيّة ، للأستاذ تيسير شيخ الأرض ، ص : ٦٨

إلا أنَّ العناصر الجديدة في الفلسفة الإسلامية هي من إبداعها ، عدا أن التآليف المختلفة بين العناصر الفلسفية هي إبداع فلسفي بحد ذاتها ، وأثرت هذه العناصر انفسية العربية فيما بعد بالفلاسفة الأوربيين المحدثين والمعاصرين .
ومن هذه العناصر الجديدة التي هي من إبداع العرب أنفسهم^(١) :

- برهان الممكن والواجب للفارابي ، وهذا البرهان نجده على نحو مشابه لدى ليبنتز حينما تكلم في « المونادولوجيا » على العلة الكافية ابتداء من الفقرة ٣٦ إلى الفقرة ٤٠^(٢) .

- اثبات الحياة الآخرة : حرية الإرادة ، وخلود الروح ، ووجود الله والحقيقة .. فالشبه كبير بين برهان « كنوا » على وجود حياة آخرة وبرهان إخوان الصفا .

- الغزالي واختلاف المعقول عن الموجود ، استفاد « كنوا » من هذه الفكرة في نقضه للدليل الوجودي الذي يستنتج وجود الله من فكرة كاله ..

- إنكار السببية كما جاء عند الغزالي في كتابه « تهافت الفلاسفة » ونجد مثل هذا الإنكار لدى « ديفيد هيوم » الإنكليزي .

- معنى الهيولى عند ابن باجة شبيه بنظرية القصيدة عند الفيلسوف الألماني « إدمند هسرل » .

وعلى ما سبق ...

لا يحقُّ لنا أن نقول إن هناك فلسفة يونانية صرفة لم تأخذ من غيرها ، أو لم

(١) نورها هنا مقتضبة ، يراجع ص ٨٢ من المقال المشار إليه في الحاشية السابقة .

(٢) يراجع في ذلك كتاب جورج طعمة : فلسفة ليبنتز ، تعريب نص : « مونادولوجيا » .

تتأثر من الشعوب السابقة ، كما أننا لانستطيع القول إن هناك فلسفة عربيّة لم تتأثر بغيرها أيضاً ، لأنّ الفلسفة فكر مستمر يحدّد موقفه من بعض المفاهيم ، كالكون ، والإله ، والروح والنفس والموجودات ، والكل والجزء ، والماديّة والهيولي .. ولا نقول إن الفلسفة الإسلاميّة لم تتأثر بالفلسفة اليونانيّة ، كما أننا بالمقابل لانستطيع أن نقول إنّها امتداد للفلسفة اليونانيّة ، بدليل أنّها استطاعت أن تحدّد موقفها من هذه الأمور على ضوء الدّين الجديد ، فالله في الإسلام يختلف تصوّره ومفهومه اختلافاً كلياً عما قرّره فلاسفة اليونان ، وما قرّرتّه المسيحيّة أيضاً .

إنّ الله (سبحانه وتعالى) في الإسلام ، مغاير تماماً عما قاله أرسطو في فلسفته عن الإله ، فالله عنده مجرد تجريداً كاملاً ، بينما في الإسلام مرتبط بمخلوق العالم وعلم الله وقدرته وإرادته ..

☆ ☆ ☆

٨ - « ولنتقدّم الآن إلى الحركات الفكرية التي أوجدتها الفطرة العربيّة الإسلاميّة ، وأهمها الإلهيات والحديث والفقه وفقه اللّغة وأصول اللّغة ، فقد كان أعظم العلماء في هذه الميادين عرباً ، على نقيض الطب والفلك والرياضيّات والكيمياء التي كان رجالها أغراباً من أصل سرياني ، أو يهودي ، أو فارسي » ، صفحة : ٤٧٩ .

وهذا التصنيف تصنيف خاطئ .

فمن قال عنهم (عرباً) عملوا في اللّغة والفقه .. كان كثير منهم من غير العرب ، مثل : مسلم ، البخاري ، الغزالي ، سيبويه ..

ومن قال عنهم « أغراباً » عملوا في الطب والعلوم المختلفة . كان كثير منهم من العرب : مثل : خالد بن يزيد ، وابن الهيثم ، وابن النفيس ..

جمع هؤلاء كلهم دين جديد ، وعقيدة واحدة ، دون النظر إلى الجنس ، إنه الإسلام الذي كرّسوا أنفسهم مخلصين لخدمته ، وأفنوا حياتهم وهم في كل لحظة حريصون على أن يخدموا علوم الإسلام في كل مجالاتهم .

☆ ☆ ☆

٩ - « بلغت السُّلطة الإسلاميّة في الغرب في عهد عبد الرحمن الثالث وخلفه الحكم الثاني ٩٦١ - ٧٦ وديكتاتورية الحاجب المنصور ٩٧٧ - ١٠٠٢ أوفى مجدها ، في هذه الحقبة تسنّمت العاصمة الأمويّة مركزاً سامياً جعلها أعظم مدن أوربة ثقافة ، فكانت هي والقسطنطينيّة وبغداد المراكز الثلاثة للثقافة العالميّة » ، صفحة : ٦٢٦ .

الحاجب المنصور^(١) غدا الحاكم الحقيقي للأندلس ، وتثني معظم المصادر عليه ثناء عطرأ ، وتشيد بقوّته الإداريّة والعسكريّة ، وغدت هيبة الأندلس المسلمة وقوّتها أكثر ظهوراً في أعين أوربة النصرانيّة . ولعل الذي أزعج حتّي فوصفه بالديكتاتور ، حملات الحاجب المنصور على كونتية برشلونة ، ومملكة ليون حيث وصل عاصمتها ومدنها الكبرى !!

أما مقارنة القسطنطينيّة ببغداد وقرطبة ، فقارنة خاطئة ، لأن ثقافة القسطنطينيّة ثقافة كنسيّة لاهوتيّة فقط ، وبغداد وقرطبة « جوهرة العالم » فقد كانتا قبلة العلوم كلّها على اختلاف أنواعها وفروعها ، ولهذا كانت قرطبة والأندلس كلّها مركز إشعاع فكري حضاري في أوربة ، ولم تكن القسطنطينيّة كذلك .

☆ ☆ ☆

(١) الحاجب المنصور : أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المعافري .

١٠ - وعن أثر الدراسات الجغرافية في الغرب ، قال حتّي في الصفحة ٦٧٧ :
« لم يكن لهذه الدّراسات الجغرافية سوى أثر محدود في الغرب » ، ثم ذكر أنّ
كولبس قال : « بأن شكل الأرض يشبه شكل الأجاصة » .

وصواب العبارة الأولى يتجلّى بالشواهد التالية التي أوردتها زيفريد هونكة
في كتابها : « شمس العرب تسطع على الغرب » .

- « في عام ١٢٦٩ م نقل بطرس فون ماريكور Petrus Von Maricourt عن
العرب مباشرة معلوماته عن المغناطيس ، وعن كيفية استعمال البوصلة ، وأدخل
استعمالها إلى أوربة في رسالة Epistole de Magnete ، وبعد ذلك بخمسين عاماً
- أي حوالي عام ١٣٢٠ م - اكتشف إيطالي من أمالفي البوصلة كما زعموا ، وتقع
أمالفي هذه إلى جانب البندقية ، أولى المدن البحريّة التي كان لها تجارة مزدهرة
مع العرب الأصقاء ، وكان لها أيضاً مراكز تجاريّة في المرافئ العربيّة » ،
صفحة : ٤٨ .

- « إن العرب قد وفّقوا أبعد التوفيق في تطويرها^(١) والسّير بها خطوات
واسعة إلى الأمام .. ثم أوجدوا الأسطرلاب الدائري إلى جانب الأسطرلاب
المسطّح .. » ، صفحة : ١٣٩ .

- « الإدريسي أتمّ عام ١١٢٥ م عمله العظيم ، وقُدّم لروجر الثاني ملك صقلية
النورماندي سبعين خريطة ، « خرائط تفوق خريطة بطليموس الشهيرة في دقتها
ووضوحها وقلة أخطائها ، بيد أن درّة عمله ، كانت خريطة العالم التي نحتها على
لوح من الفضة قطره متران ، ووزنه يعادل وزن رجلين ناميّن ، وتوضيحاً
لخرائطه وضع الإدريسي كتابه القيم في وصف الأرض ، المعروف في العالم
الإسلامي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ، صفحة : ٤١٧ .

(١) تطوير الأسطرلاب .

- وساهمت الرحلات العالمية التي قام بها العلماء العرب أمثال ابن بطوطة في زيادة المعلومات الجغرافية التي صحّحت آراء خاطئة ، وأخطاء شائعة . واستطاع البتّاني^(١) وابن يونس^(٢) والبيروني^(٣) وابن سعيد^(٤) وياقوت الحموي أن يحدّدوا بدقّة متناهية الموقع الجغرافي للبلدان الهامة بالنسبة إلى خطوط الطول والعرض ، صفحة : ٤١٨ .

- وفي فرع آخر من الجغرافية الطبيعية والجيولوجية أعطى ابن سينا والبيروني أمثلة صحيحة تماماً ، ولها قيمتها العلمية في دراستهم لنشأة الجبال وطبقات الصخور ، صفحة : ٤١٩ .

- « ولم يعرف الناس في أوربة لزمن طويل الجغرافية المؤسّسة على المراقبة والتجربة كما عرفها العرب ، فلم تكن خرائط الأديرة ترسم الأرض طبقاً لفهمهم للإنجيل إلا على أنّها قطعة من الأرض يحيط بها بحر عالمي ، وفي وسطها تقع الجنة » ، صفحة : ٤٢٠ .

ورغم رأي حتّي ، ستبقى أسماء الجغرافيين العرب : الإدريسي ، ابن يونس ، البيروني ، البلّخي^(٥) ، الإصطخري^(٦) ، ابن حوقل^(٧) ، المقدسي^(٨) ،

(١) أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان البتّاني ، ولد قبل ٢٤٤ هـ / ٨٥٢ م ، وتوفي عام ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م .

(٢) أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف أبو يونس البغدادي : ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م - ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م .

(٣) محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني ، ولد : ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م ، وتوفي : ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م .

(٤) أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد المغربي ولد سنة ٦١٠ هـ وتوفي سنة : ٦٨٥ هـ .

(٥) أبو زيد أحمد بن سهل البلخي ، ولد حوالي ٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م ، وتوفي : ٣٢٢ هـ / ٩٣٥ م .

(٦) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإصطخري ، المتوفى سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م .

(٧) أبو القاسم محمد بن علي الموصلي ، المشهور بابن حوقل ، عاش في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي .

(٨) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي ، ولد في بيت المقدس : ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ - ٩٤٧ م وتوفي في أواخر القرن الرابع الهجري .

أحمد بن ماجد (أسد البحر) ، المسعودي^(١) ، القزويني^(٢) .. منارات سامقة بين
أسماء الجغرافيين العالميين .

ودليل آخر على عمق أثر الدراسات الجغرافية العربية وعظيم أثرها غير المحدود
في الغرب :

- البتاني ذاع صيته في أوربة وعُرف باسم Albategnius ، واهتم به كثيراً
الرياضي ريجيو مونتانيوس (١٤٣٦ - ١٤٧٦ م) بصدد حساب المثلثات الكروية ،
كما استفاد دنتورن Dentorn فائدة كبيرة من ملاحظاته عن الكسوف ، وذلك
حتى عام ١٧٤٩ م ، وجداول البتاني الفلكية ترجمها إلى اللاتينية عام ١١٤٠ م
أفلاطون التيفولي ، وأهم فصل فيها هو السادس الذي يعطي فيه وصفاً عاماً
للأرض ، ويخص بالتفصيل البحار ، وتدين أوربة بتصوّراتها المسبقة عن المحيط
الهندي حتى عهد فاسكو دوغاما إلى البتاني . وقد اجتذب هذا الفصل أنظار
العلماء الأوربيين منذ أن كان الكتاب معروفاً في مخطوطته الوحيدة بمكتبة
الأسكوريال في مدريد ، وقد ترجمه رينو ومهرن قبل ظهور طبعة المستشرق
نالينو^(٣) .

- والجغرافي المسلم أحمد الرازي المتوفى عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م ، ترجم إنتاجه
الجغرافي عام ١٣١٦ م بأمر الملك البرتغالي دنيس Denis ، وقام بترجمته
Gilperes^(٤) .

- ويصف المستشرق روزن كتاب البيروني : « تحقيق مال الهند من مقولة

(١) أبو الحسن علي بن الحسين ، المتوفى عام : ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م .

(٢) زكريا بن محمد بن محمود القزويني : ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م - ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م .

(٣) أعلام الجغرافيين العرب ، د. عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر ، ط : ١ ، ص : ١٥٩

(٤) المرجع السابق ، ص : ٣٠٢

مقبولة في العقل أو مرذولة » : « أثّر فريد في بابه ، لامثيل له في الأدب العلمي القديم أو الوسيط سواء في الغرب أم في الشرق » ^(١) .

- وكتاب الإدريسي « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ، مع خرائطه السبعين ، نشر في رومة سنة ١٥٩١ م ، وتُرجم إلى اللاتينية عام ١٦١٩ م من قِبَل جبرائيل ويوحنا الحصري وطُبع النص أيضاً في ليدن ومدرين وبون ^(٢) .

- وكتاب الحسن بن محمد الوزان الزيّاتي في وصف إفريقية نشره راموزيو سنة ٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م في مدينة البندقية ، وبعد فترة لاتزيد عن ٢٤ عاماً من فراغ الحسن الوزان من تأليفه باللغة الإيطالية أعاد راموزيو نشره للمرة الرابعة عام ١٥٥٨ م ، وفي سنة ١٥٥٥ م ظهرت الترجمة الفرنسية بمجهود تامبورال ، وبعد فترة وجيزة تمت ترجمته إلى اللاتينية بقلم جان فلوريان سنة ٩٦٦ هـ / ١٥٥٦ م في مدينة أنفرس البلجيكية ، وفي سنة ١٦٠٠ م ظهرت ترجمته الإنكليزية على يد جون بوري ، وظهرت ترجمته الهولندية سنة ١٦٦٥ م ^(٣) ..

ونتساءل : لماذا لم يكن لهذه الدراسات الجغرافية العربية سوى أثر محدود في الغرب ؟

أما قول حُتي : إن كولبس قال : « بأن شكل الأرض يشبه شكل الأجاصة » ، ليت حُتي تساءل : من أين جاء كولبس بها ؟!

أمّا الأمر الذي لاشكّ فيه ، فهو أن الفكرة التي نهضت بكولبس للإبحار غرباً ، إنّما كانت فكرة علمية مستمدة من المؤلفات الإسلامية ، فلولا اقتناع كولبس بكروية الأرض ، لما خطر له أن يصل إلى الهند عن طريق الغرب ، ولم

(١) المرجع السابق ، ص : ٣٤١

(٢) المرجع السابق ، ص : ٣٨٩

(٣) المرجع السابق ، ص : ٦٢٧

تكن في إيطالية وإسبانية يومئذ مؤلفات تشرح هذه الفكرة إلا المؤلفات العربيّة الإسلاميّة .

ومما يذكر أنّه عندما طبعت مذكرات كولبس وقرأها العلماء الباحثون ، عجبوا لما قرأوا فيها ، فقد وصف الكرة الأرضية بأنّها لها شكل الكُثْرَى ، وهذا الأمر - برأي الباحثين الأوربيين - لم يكتشف إلا حديثاً في زمن قريب ، فكيف عرف كولبس ذلك ، أم هي رمية رام بليل ؟

الجواب واضح جلي ، ومن فم كولبس إن راق لحتّي ومنصفي الحضارة العربيّة الإسلاميّة ذلك ، لقد قال كولبس عن نفسه بأنّه انبعث إلى السفر قاصداً الهند عن طريق المحيط الأطلسي ، وذلك بمطالعة كتب ابن رشد ، وهذا الكلام ذكره « درابر » صاحب كتاب : « تجديد العلوم في الجنوب » ، أي جنوب فرنسة ، أي : في الأندلس .

هذا جزء يسير من فضل العرب على الغرب في علم الجغرافية ، في الوقت الذي كان « لايجرؤ أحد على السفر إلى سورية ومصر » ، بسبب الشّائعات الكنسيّة التي كانت تتناقلها الألسن من رومة حتى القسطنطينيّة في العصور الوسطى .

لقد افترى حتّي فيما قال ، وصدقت زيغريد هونكة عندما قالت : « كل موجة علم أو معرفة قديمت لأوربة في ذلك العصر ، كان مصدرها بلدان إسلاميّة » .



هَفَوَاتٌ جُغْرَافِيَّةٌ

وَأَغَالِيظُ

☆ لم يميّز حتّي بين الرّياح
الموسميّة ورياح السموم ، ولا
بين قرطاجة وقرطاجنة ، ولا
بين فرع النهر ورافده ..

ومن هفوات فيليب حتّي الجغرافيّة في كتابه « تاريخ العرب المطوّل » ،
ما يلي :

١ - جاء في الصفحة ١٩ : [ولئن كان المحيط الهندي في الجنوب يساعد على
وقوع بعض المطر في أطراف الجزيرة فإن الرياح الموسميّة التي تنتاب الجزيرة في
مواسم معروفة ، تسلب الرطوبة من الهواء قبل أن يبلغ داخلية البلاد] .

☆ ☆ ☆

٢ - وفي الصفحة ٦٤ : [لقد كان أهل سبأ فينيقيي البحر الجنوبي قد عرفوا
طُرُقَةً وتعرجات سواحله وموانيه ، وامتلكوا رياحه الموسمية الغدارة السموم] .

☆ ☆ ☆

٣ - وفي الصفحة ٧٨ : [السموم أوصلت السفن إلى الهند ، ولكن لم يقوَ أحدٌ
على الاستفادة من هذا الاكتشاف العظيم الذي أزاح السّتار عن سر السموم
الدوريّة ، وأظهر الخط المباشر إلى الهند ، حتى العصر الذي استولت فيه رومة
على مصر ..] .

والصَّواب :

الرياح الموسميّة غير رياح السموم .

الرياح الموسميّة رياح ممطرة بغزارة صيفاً ، تهب من المحيط الأطلسي عبر خليج غينية ، وتعبقارة أفريقية صاعدة هضبة الحبشة ، ثم تمر فوق اليمن .

كما وتهب الرياح الموسميّة من المحيط الهندي ، وتؤثر على شبه القارة الهنديّة وجنوب شرقيّ آسية ، لا على الجزيرة العربيّة .

أما السموم فنوع من الرياح المحليّة الحارة المرملة والجافة ، إلا إذا مرّت فوق مسطّحات مائيّة حيث تتشعّب ببخار الماء فتسبب تساقط أمطار ، مثل رياح السيروكو عندما تصل إلى إيطاليا .

وتهب رياح السموم في شهري آذار ونيسان من كل سنة في قلب الجزيرة العربيّة باتجاه البحر المتوسط الذي يصبح منطقة ضغط خفيف ، بسبب دخول المنخفضات الجويّة عليه من المحيط الأطلسي ، وتسمّى هذه الرياح :

السموم في الجزيرة العربيّة .

والخماسين أو الهبوب في وادي النيل (مصر والسودان) .

والسيروكو في المغرب العربي .

☆ ☆ ☆

٤ - وفي الصفحة ٢٠ : [وقد يقع بعض المطر في أقاليم الجزيرة الوسطى من الغيوم المتبخّرة عن سطح خليج فارس ^(١)] . والخليج العربي بحر داخلي ضيّق يكاد يكون تأثيره على نظام المطر معدوماً .

☆ ☆ ☆

(١) استعمل حتّى « الخليج الفارسي » بدل « الخليج العربي » في الصفحات : ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ،

٢٠ ، ٩١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ، ٨٦٧ ، ٨٧٠ ، ٨٨٢

٥ - وفي الصفحة ٢١ : [وأهم الطرق البرّية « في الجزيرة العربيّة » اثنان ، أحدهما يسير من العراق ماراً ببَرْيُذَة في نجد متتبّعاً وادي الرمة ، والآخر من الشام ماراً بوادي السرحان متاخماً لساحل البحر الأحمر] .

وصوابه : وادي السّرحان جنوب شرقي سورِيّة الطبيعِيّة ، شرقي الأردن حالياً ، ولا يتاخم سواحل البحر الأحمر .

☆ ☆ ☆

٦ - وفي الصفحة ٢١ أيضاً : [جبل حضور الشيخ في الين الذي تسقط عليه الثلوج في شتاء كل عام تقريباً] .

وصوابه : تسقط عليه في صيف كل عام تقريباً ، لأن أمطار الين موسميّة صيفيّة .

ومصوّر صفحة ٩١ جاءت فيه مدينة فَدَك بين تيماء وتبوك ، وصوابه : إنها قرب خيبر شمال المدينة المنورة . وجاءت مؤتة جنوب غربي البحر الميت ، والصّواب : جنوب شرقي البحر الميت . والجابية صواب موقعها جنوب غربي دمشق في حوران ، لافي جنوبها الشرقي . والأُبلة شرق شط العرب ، لا على ضفّته الغربيّة ، وشبوه شرق مأرب تماماً ، لافي جنوبها . وكُتِبَ على نهر عطبرة نهر النيل خطأ .

☆ ☆ ☆

٧ - وفي الصفحة ١١٤ قال عن كِنْدَة إنها في الأرض الواقعة إلى غربي حضرموت .

وصوابه : إنها تقع شمال حضرموت حتى دُوْمَة الجندل « دوماتا » .

☆ ☆ ☆

٨ - وجاء في الصفحة ٢٧٩ : [فلقد استعان حسان بالأسطول الإسلامي على طرد البيزنطيين من قرطجنة] .

وفي الصفحة ٢٨٠ ذكر أن قرطجنة في تونس .

وفي المصوّر صفحة ٢٨٢ كُتِبَ على ساحل تونس الشمالي الشرقي :
« قرطجنة » .

وصوابه : قرطاجة ، وقرطاجنة على ساحل الأندلس الشرقي جنوب مرسية ، مابين المرية ودانية .

☆ ☆ ☆

٩ - وفي الصفحة ٣٥٦ : الزاب الكبير ، [وهو فرع من الدجلة] .

وصوابه ؛ وهو رافد من روافد الدجلة . فالفرع نهر يأخذ مياهه من مياه النهر الأصلي ، والرافد نهر يصب مياهه في النهر الأصلي .

☆ ☆ ☆

١٠ - وفي الصفحة ٥٨٤ : [عين جالوت قرب الناصرة] .

وصوابه : عين جالوت في مرج ابن عامر ، قرب مدينة بيسان .

واستعمل كلمة « القسطنطينية » في الصفحات : ٨٦١ / ٨٦٣ / ٨٦٥ / ٨٦٧ / ٨٦٨ / ٨٧٣ / ٨٧٥ / ٨٨٢ / ٨٨٨ ، بدلاً من كلمة « اسطنبول » ، فالقسطنطينية بعد فتحها عام ١٤٥٣ م على يد محمد الفاتح ، أضحت اسمها « اسطنبول » لا القسطنطينية وهو اسمها عندما كانت عاصمة لبيزنطة ، دولة الروم الشرقية .

☆ ☆ ☆

افتراءات وهفوات

أُخرى

☆ « وهكذا وَجَبَ أَنْ يظهرَ
الحقُّ وَيَعْلَمُوا ، كما نَجَحَ في هذا
مُحمَّدُ الَّذِي أَخْضَعَ الْعَالَمَ كُلَّهُ
بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ » .

غوته

[الديوان الشرقي الغربي]

١ - جعل حَتَّى من مراجعه المعتدّة مثلاً :

- كتاب « ألف ليلة وليلة » : وهو مجموعة منوّعة من القصص الشعبي ، لغته
بين الفصحى والسامية يتخلّله شعر مصنوع أكثره ، مكسور ركيك في نحو ١٤٢٠
مقطوعة . ذكر ابن النديم في « الفهرست » أنّها مترجمة عن أصل فارسي اسمه
« الهزارأفسان » ، أي ألف خرافة ، ولما كان كتاب الهزارأفسان غير موجود ، فإنّ
البحث في أصل اللّياالي يزداد غموضاً^(١) . ويسمّيها الإفرنج « اللّياالي العربيّة » ،
لأنّها تُرجمت عن العربيّة ، قام بترجمتها الكاتب الفرنسي « أنطوان جالان^(٢) » .

ويمكن للباحث أن يقرّر بثقة أن نواة كتاب ألف ليلة وليلة مأخوذ عن
كتاب قصص فارسي « الهزارأفسان » ، نُقل إلى العربيّة في القرن الثالث الهجري ،
وأن غالب القصص من أصل هندي .

(١) دائرة معارف البستاني : ٢٦١/٤ ، دائرة المعارف الإسلاميّة : ٥١٨/٢

(٢) ولد سنة ١٦٤٦ م .

لقد شوّعت ألف ليلة وليلة عصرنا الذهبي ، عندما أوردت اسم هارون الرّشيد في بعض قصصها ، مع أن الرّشيد لم يسمع بها ، وتدل قصصها على أنّها مؤلّفة من قبل عديدين أضافوا عليها حتى العصر المملوكي .

إن كتاب « ألف ليلة وليلة » ليس كتاب تاريخ ، إنّه كتاب قصص خياليّة .

- واعتمد حتّي كتاب « الأغاني » للأصفهاني ، وهو ليس كتاب تاريخ يعتمد أيضاً ، إنّه كتاب أدب ، وهذا لا يعني مطلقاً أن كل كتاب أدب لا يؤخذ به ، بل يعتمد إن كان صاحبه ثقة ، معروفاً عنه الأمانة في النقل والرّواية .

إن كتاب « الأغاني » الذي جعله حتّي مرجعاً تاريخيّاً معتمداً ، صاحبه متّهم في أمانته الأدبيّة والتاريخيّة ، جاء في « ميزان الاعتدال في نقد الرّجال »^(١) : أن الأصفهاني في كتابه « الأغاني » كان يأتي بالأعاجيب بحدّثنا وأخبرنا .

ومن يقرأ الأغاني يرى حياة العباسيّين لهواً ومجوناً وغناءاً وشراباً .. وهذا يناسب المؤلّف وخياله وحياته ، ومن يرجع إلى كتب التاريخ الصحيحة يجد صورة أخرى فيها علم وجهاد وأدب ..

فكتاب « الأغاني » ليس كتاب تاريخ يحتج به .

- أما كتاب ابن العربي^(٢) « مختصر تاريخ الدّول » فقد كتبت أصوله بالسريانيّة ، ثم ترجم إلى العربيّة بعد أن حذف منه الروايات والأفكار التي هاجم بها رسول الله ﷺ والإسلام .

(١) لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق علي محمد البجاري : ١٢٣/٣ و ١٢٤

(٢) ابن العربي : أبو الفرج غريغوريوس يوحنا ، ولد سنة ١٢٢٦ م في مدينة ملطية قاعدة أرمينية الصغرى ، توفي سنة ١٢٨٦ م .

لقد وجّه ابن العبري في كتابه انتقادات عنيفة للإسلام والرسول الكريم ، وقد أمّن غضب المسلمين لأنّه كتب تاريخه بالسريانيّة التي كان يجهلها المسلمون ، وعندما طُلِبَ منه أن يترجم كتابه إلى العربيّة ، ترجم الكتاب وحذف منه تلك الانتقادات الموجهة ضد الإسلام وأهله^(١) .

لقد أظهر ابن العبري الخلفاء والولاة المسلمين بأنهم يميلون إلى البطش والتخريب ، لقد كتب الجوانب السلبية مجسّمة ، وأغفل الجوانب الإيجابية وطمس روائع تاريخنا ، ولم يذكر منها في تاريخه إلا النادر .

مما سبق ، يتوضّح لنا سبب اعتداد حتّي لكتاب ابن العبري « مختصر تاريخ الدّول » .

وعلى ما سبق أيضاً ، لن نناقش حتّي عندما يجعل مصدر أفكاره « ألف ليلة وليلة » ويقول صفحة ٣٦٣ : « أصبحت بغداد مقراً لتلك المغامرات الروائيّة التي خلدت ذكرها شهرزاد بطلة ألف ليلة وليلة » ، وتكرّر اعتماده على ألف ليلة وليلة في الصفحات : ٣٧٢ ، ٤١٠ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٣١ ، ٤٩١ ، ٥٠٤ ، ٥١٢ ، ٥٩٣ ..

ولن نناقشه عندما يجعل مصدره « الأغاني » ، ليقول صفحة ٣٧٦ : « ويعج كتاب الأغاني بالقصص التي تمثّل هذه الحياة الاجتماعيّة إلى حدّ كبير » ، وجاء بقصص الخمريّات والمكر والدسائس والخداع والفساد والأفكار السّافلة وبنات الغواية .. كما في الصفحات : ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ٢٨١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٩ ،

(١) انظر : عالم الفكر ، المجلد الخامس عشر ، العدد ٣ ، ١٩٨٤ ، مقالة : التاريخ العربي والإسلامي من خلال المصادر السّريانيّة العراقيّة ، ص : ٦٩٧ ، جاسم صكبان علي .

٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٣١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٧ ، ٣٧٥ ،
٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ،
٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٥٠١ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ..

ولن نناقش حتّى في أفكاره التي سجّلها معتمداً على كتاب ابن العربي ، كما في
الصفحات : ٢٢٢ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٩ ، ٣١٣ ، ٣٢٤ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ، ٤٥٨ ،
٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٨٩ ، ٦٧٣ ، ٧٢٣ ، ٧٦٣ ، ٧٧٠ ، ٨٠٧ .. حتّى أن المترجمين
قالوا في حاشية صفحة ٨٠٧ حرفياً : « كَثُرَت الاستعانة في هذا الكتاب بتاريخ
ابن العربي » تاريخ مختصر الدول « نشر صالحاني في بيروت ١٨٩٠ م ^(١) » .

☆ ☆ ☆

٢ - « ولعل أقدم إشارة إلى القهوة ، خمر الإسلام ، قد وردت في مؤلفات
القرن السادس عشر » ، صفحة : ٢٢ .

وهذه سخرية بحق الإسلام والمسلمين لاتليق من أستاذ جامعي !!

☆ ☆ ☆

٣ - « وبوله - بول الجمل - علاجاً لتقوية الشعر ، ودواء يستشفى به » ،
صفحة : ٢٦ ، مع وصف لتقيؤ الجمل كي يشرب البدوي في الصفحة ذاتها . ثم قال
في الصفحة ٢٧ : « ولقد كان الجمل من العوامل التي سهّلت الفتوح الإسلامية
الأولى ، ذلك أنه أتاح لأصحابه سرعة في الحركة جعلتهم يتفوّقون على أهل
الحضر » ، ونسب حتّى لسيدنا عمر رضي الله عنه : لا يفلح العربي إلا حيث
يفلح الجمل .

(١) ونلح أيضاً أن حتّى اعتمد جرجي زيدان ، وهندلي جوزي ، وابن القوطيّة مصادر
لكتابه !!!

وقال حتّي في الصفحة ٢٣١ : « على أن عظمة الجيش العربي لم تقم على قوّة السلاح أو جودة التنظيم ، بل كانت ثمرة القوّة المعنويّة الروحيّة ، التي كان الإيمان والدين قد عزّزها في نفسه ، ووليدة الصبر والمثابرة اللذين تمنحها البادية لأبنائها ، ونتيجة سرعة حركته العجيبة التي هيأها للعرب بالأكثر اعتادهم على الإبل للركوب » .

- إن صورة بول الجمل كدواء يستشفى به ، مع تقيؤ الجمل كي يشرب البدوي ، صورة تمجّها النفس ويتقرّز منها الذوق السليم ، وتكرهها الفطرة ، ولكن حتّي جعلها أهم من وصف سدّ مأرب مثلاً ، كصورة حضارية رفيعة للعرب قبل الإسلام .

- ولقد أفلح العربيّ المسلم حيث لم يفلح الجمل ، لقد أفلح المسلمون في حروبهم في البحر ، في قبرص وكريت وصقلية وسردينية وجزر البليار ، وأفلحوا في الأندلس .. ويفلحون اليوم بلا جمل أو حصان من اليابان شرقاً وحتّى أمريكا غرباً .

- أما قول حتّي : إن العرب نجحوا في فتوحاتهم بسبب بداوتهم التي صقلت قوتهم في صحرائهم ، وأن الجمل هو نقطة القوّة في الفتوحات ، إذ أمّن سرعة عجيبة ، فزده بما يلي :

إن العرب في الجزيرة حاربوا عرباً أكثر منهم عدداً ، وهم مثلهم عاشوا في بيئة واحدة ، في بادية واحدة ، تحت شمس واحدة .. فلم كتّبت النصر للعرب المسلمين على قلتهم ، وهزّم العرب الوثنيون على كثرتهم ؟ وكلاهما يستعمل الجمال والخيول !!

وفي اليرموك ، كان مع الروم آلاف مؤلفة من الغساسنة العرب ، وكان

جيش العرب المسلمين قِلّة بالنسبة للروم والعرب الغساسنة ، فَلِمَ كتب النصر للمسلمين ؟

ونسي حتّى أن « الجمل » لم يكن ضرورياً - لو سلّمنا بأهميّته - لدولة الفرس أو دولة الروم ، فقد كانت ساحات المعارك في أراضيها ، فهما لم تكونا بحاجة لمثل هذه الحركة السريعة التي يؤمّنها الجمل ، ومَلِك الفرس سلاحاً أقوى وأرهب ، ألا وهو الفَيْلّة ، ومع ذلك ، لمن كان النصر في القادسيّة ؟

وهذا الجمل ماذا سينقل من الحجاز ؟ هل سينقل الثور في سرعة حركته العجيبة ؟

وهل انتصارات المسلمين في أرمينية وإيران والأندلس بسبب الجمل ؟

أين الجمل في انتصاراتهم في ما وراء النهر ، والهند ، وجنوب شرق آسية ؟

☆ ☆ ☆

٤ - « وتعتبر الخيمة وما فيها من أثاث حقير ملكاً للفرد » ، صفحة : ٣٣ .

والأولى قوله : وما فيها من أثاث بسيط ، فكلمة بسيط ، أجود وأقوم وأسلم .

☆ ☆ ☆

٥ - « وتخضع المرأة لنظام يجعل الرجل بعلاً أي سيّداً » ، صفحة : ٣٦ .

جاء في القاموس المحيط ٣/٣٣٥ : البعل : والأنثى بَعْلٌ وبَعْلَةٌ ، واستخدام العرب (بعل) بمعنى زوج ، باعَلْتُ : اتخذت بعلاً ، وباعل القوم قوماً : تزوّج بعضهم إلى بعض ، وبعل كالزوج ، ذكر وأنثى ، فأين السّيادة التي يفهم منها الأجنبي سيادة وصوله الرجل ، وعبوديّة المرأة العربيّة ؟

☆ ☆ ☆

٦ - « ولما كان الفساسنة عمالاً للبيزنطيين ، واللخميون عمالاً للفرس .. » ،
صفحة : ١١٤ .

الدولتان - الفساسنة واللخميون - كانتا من النوع الذي يسمى اليوم « الدول
الحاجزة » ، لوقوعها على حدود دولتين كبيرتين ، عمدتا إلى استخدامهما مجنأ يصد
الحروب المتبادلة بينهما . وخجل حتي أن يقول : كان الفساسنة تحت سيطرة
وسيادة البيزنطيين وخاضعين لهم ، وكان اللخميون تحت سيطرة وسيادة الفرس
وخاضعين لهم .

وبقيت كل من الإماراتين درعاً ومجنأ للدولة التي خضعت لها ضد هجمات
الدولة الأخرى المعادية ، إلى أن حرّرت جيوش العرب المسلمين أراضيها
وشعبيها .

☆ ☆ ☆

٧ - « ولا تنحصر أهمية كِنْدَة فيما أتى به أبنائها من الأعمال ، وما حازوه من
مجد وسؤدد ، بل بما لها من الفخار العائد إلى كونها تمثل أول محاولة قام بها عرب
الجزيرة الوسطى لجمع شمل القبائل تحت زعامة واحدة مركزية يتولأها سيد
واحد ، فكانت محاولتها من هذه الناحية سابقة أفاد منها أهل الحجاز والنبي
محمد » ، صفحة : ١١٦ .

كيف أفاد أهل الحجاز والنبي محمد - ﷺ - من هذه السابقة ؟

لم يوضح أو يفسر أو يشرح حتي ذلك .

والمهم أن يصدر أحكاماً ويهرف بما لا يعرف .

☆ ☆ ☆

٨ - « وربما كانت نواة هذه الجماعة إسرائيلية صرفة هجرت فلسطين في
القرن الأول لميلاد على إثر الفتح الروماني ، ولعل هؤلاء اليهود الناطقين

بالآرامية هم الذين استبدلوا يثرب اسمها القديم باسم جديد مدينثا ، وهو آرامي ، أما الاعتقاد بأنها سميت المدينة لصيرورتها مدينة الرسول فهو رأي متأخر ، صفحة : ١٤٦ .

وصواب ماسبق :

- « نواة هذه الجماعة الإسرائيلية » ، صوابها : نواة هذه الجماعة اليهودية .

- « هجرت فلسطين - إلى الجزيرة - في القرن الأول للميلاد » ، خطأ
صوابه : يهود الحجاز عرب تهودوا على أصوب الآراء^(١) .

- أما استبدلوا يثرب اسمها القديم باسم جديد مدينثا وهو آرامي ، فهذا خطأ
ودجل ، وقوله : « أما الاعتقاد بأنها سميت المدينة لصيرورتها مدينة الرسول فهو رأي متأخر » ، فأكثر خطأ ، وأعظم دجلاً .

جاء في معجم البلدان : ٤٣٠/٥ : « يثرب : مدينة رسول الله ﷺ ، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية مهلائيل بن إرم بن عييل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، فلما نزلها رسول الله ﷺ ، سماها طيبة وطابة كراهية للتثريب ، وسميت مدينة الرسول لنزوله بها » .

هذا وكتب السيرة المبكرة كطبقات ابن سعد ، وكتب التاريخ المبكرة استعملت « المدينة » بدلاً من يثرب ، فأين مدينثا الآرامية ، « والاعتقاد بأنها سميت المدينة لصيرورتها مدينة الرسول فهو رأي متأخر » !!؟

☆ ☆ ☆

(١) انظر : د . أحمد سوسة « ملامح من تاريخ اليهود في العراق » ، ص ٢٤٠ ، و د . جواد علي « تاريخ العرب قبل الإسلام » : ١٦١/٦

٩ - وأورد حتّي قول النجاشي عندما سأل المهاجرين في عيسى عليه السلام : « إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، فوالله لا أسلمكم إلى أيدي الاضطهاد » ، صفحة : ١٥٨

وصوابه : « إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة »^(١) .

جاء في سيرة ابن هشام : « قال لهم - النجاشي - : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم ؟ فقال جعفر بن أبي طالب : تقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ : هو عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، ف ضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قال ؛ هذا العود ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي ، والشيوم الآمنون ، من سبكم غرم ، ما أحب أن لي دبراً من ذهب ، وأني أذيت رجلاً منكم ، والدبر بلسان الحبشة الجبل^(٢) .. » .



١٠ - لم يرجع حتّي ومن ترجم هذا الكتاب إلى لغتنا ، إلى الأصول العربية على الأغلب :

ذكروا سورة الأسرى صفحة : ١٦٣ و صفحة : ١٨٠ ، وصوابه : سورة الإسراء .

وقالوا صلاة الغروب صفحة ١٧٩ ، وصوابه : المغرب .

وأوردوا حجي خلفه في الصفحات ٦٩٦ و ٨٧٣ .. وصوابه : حاجي خليفة .

وقالوا طلحة بن عبد الله صفحة ٢٣٧ ، وصوابه : طلحة بن عبيد الله .

(١) ابن هشام : ٢٩١/١ ، دار الجيل ١٩٧٥

(٢) انظر : الرّوض الأنف : ٨٨/٢

وذكروا فضلة بن عبيد الله الأنصاري ، صفحة ٣٦٤ ، وصوابه : فضالة^(١) .

☆ ☆ ☆

١١ - جرير « الشاعر البدوي الهجاء » شاعر الخليفة عمر بن عبد العزيز ،

صفحة ٢٨٦

وهل كان لعمر بن عبد العزيز شعراء في بلاطه !؟

☆ ☆ ☆

١٢ - « وكان يعتبر مسجده بعد المسجد الأموي بدمشق وقبة الصخرة في

بيت المقدس ثالث محارم الشام » ، صفحة : ٢٨٦

وقال في الصفحة ٢٨٨ : « لا يزال المسجد الأموي إلى اليوم رابع محارم

الإسلام » .

وإذا عدنا إلى مادة حرم في لسان العرب نجد ما يلي :

المحارم : ما حرّم الله ، ومحارم الليل مخاوفه التي يحرم على الجبان أن

يسلكها . وحرّم مكة معروف ، وهو حرّم الله وحرّم رسوله ، والحرمان مكة
والمدينة ، والجمع أحرام .

وشتان بين أحرام وبين المحارم !؟

(١) وكتب « بن » بين عَلمَين في كل صفحات الكتاب مئات المرات بإثبات الألف .
وفي الصفحة ٧٣٦ ، قال حتّي : « والواقع أن الأمر الصادر بهدم كنيسة القيامة إنما كان موقعاً
من قبل وزير الحاكم ، النصراني ابن عبدون ، وكان هذا العمل من جملة العوامل التي مهّدت
الطريق للحروب الصليبيّة » ، وصوابه : إنّ الأمر الصادر بهدم كنيسة القيامة ، وليست
القيامة ، كما جاء في خطط المقرئزي : ٢٨٧/٢ ، طبعة : دار صادر بيروت ، طبعة جديدة
بالأوفست ، عن طبعة دار الطباعة المصريّة المنشأة ببولاق - القاهرة ١٢٧٠ هـ .

وذكر في الصفحة ٣٣٢ بناء عبد الملك لقبّة الصخرة ، وقال : « وقد دعاه إلى بنائها عزمه على صرف الحجّاج عن مسجد مكة » ، وجعل مرجعه اليعقوبي ٣١١/٢ : « ومنع عبد الملك أهل الشام من الحجّ ، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجّوا بالبيعة ، فلمّا رأى عبد الملك ذلك منهم منعهم من الخروج إلى مكة ، فضجّ الناس وقالوا : تمنعنا من حجّ بيت الله الحرام ، وهو فرض من الله علينا ، فقال لهم : هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال : « لا تشدّ الرّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجدي ، ومسجد بيت المقدس ، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام ، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى النّماء ، تقوم لكم مقام الكعبة ، فبنى على الصخرة قبّة ، وعلّق عليها ستور الذّيباج ، وأقام لها سدنة ، وأخذ الناس يطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة ، وأقام بذلك أيام بني أميّة » .

وردّ هذه الرواية ونقضها يتّضح بما يلي :

- ١ - لم يلاق أهل الشّام عناء في الحجّ إلى مكة أيّام ابن الزبير .
- ٢ - ولم يجبر ابن الزبير أحداً على مبايعته ، وكان يتركهم - كما روى وذكر المؤرّخون - يأتّمون في صلاتهم بإمام منهم .

٣ - والحديث الشريف يشير إلى مسجد بيت المقدس ، إلى المسجد الأقصى ، والمسجد الأقصى غير الصخرة ، والحج إلى مكة ، إلى الكعبة ، ولا يغني عن ذلك مسجد الرّسول ﷺ في المدينة المنورة ، ولا المسجد الأقصى في بيت المقدس ، فالحديث لا يضع المسجد الأقصى موضع البديل عن المسجد الحرام الذي نصّ القرآن الكريم صراحة إلى فرض الحج إليه ، وحرّم الصّد عن سبيله .

- ٤ - وليس من المعقول أن يأخذ عبد الملك نفسه بشبهة الكفر ويصد الناس عن سبيل الحج إلى بيت الله الحرام .

٥ - انفرد اليعقوبي بهذه الرواية ، ولم يشر إليها المؤرخون المعاصرون له ، مثل ابن الفقيه ، والبلاذري ، والطبري .. وهذا مما يقوّي الشك في الرواية كلها .

٦ - بناء قبة الصخرة نفسه ، لم يُعدّ إعداداً صالحاً لطواف الحجّاج كما يطوفون حول الكعبة^(١) ، فإنّه من جهة محصور في جدران غليظة ، وأبوابه الأربعة من جهة أخرى ضيّقة لا تسمح بدخول أفواج من الناس وخروجهم في يسر وحرية وهم على هيئة الطواف ، وكذلك فإنّه يحيط بالصخرة رواقان ، ولو كان القصد من البناء تيسير الطواف ، لجعل له رواق واحد ، أو ساحة واحدة تحيط بالصخرة ، ثم إن هذين الرواقين ضيقان من جهة ، غير متساويين اتساعاً من جهة أخرى ، ولهذا فإنّ تصميم البناء نفسه يؤكّد عدم تخصيصه للطواف .

إن قبة الصخرة بُنيت تخليداً لذكرى الإسراء .

أو بُنيت خشية أن تعظم في قلوب المسلمين الكنائس السامقة ، وأن يبهرم مظهرها ، فبنى عبد الملك على الصخرة قبة مشرقة متلألئة ، يروي المقدسي أنه لم يَر في الإسلام ، ولا سمع في الشرق مثلها^(٢) .

وإضافة لما سبق ، أراد عبد الملك أن يؤكّد للمسيحيين واليهود ، انتصار الإسلام الذي ثبت أقدامه في مدينة القدس . بإقامة بناء إسلامي بارز ظاهر .

إنّ اليهود كانوا يزورون الصخرة باعتبار أنّها كانت الموضع الذي همّ عليه إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ، وكانت الموقع الذي جرت عليه أحداث الفداء ، وكانت هذه الزيارات تزعج المسلمين وتقلقهم وتضايقهم في إقامة صلاتهم على

(١) انظر : عالم الفكر ، المجلد الحادي عشر ، العدد الأول ١٩٨٠ ، قبة الصخرة ، ص ١٣ ، د . أحمد فكري .

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص : ١٥٩ ، ١٧٠ ، ليدن ط ٢ سنة ١٩٠٦

الحرم الشريف ، وفي المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمام الصخرة ، فأراد عبد الملك بإقامة بنائه حفظ الصخرة من عبث اليهود .

ويرجح الباحثون أيضاً حرص عبد الملك بن مروان في تخليد ذكرى أولى القبليتين ، ويؤيد هذا الرأي تصميم البناء نفسه ، فهو بناء ليس على نظام المساجد ، فلا يصلح أن يجتمع فيه المسلمون للصلاة ، وهو كذلك لا يصلح للطواف ، وروعي في هذا البناء أن يكون مزاراً فحسب ، وقد صمّم البناء بحيث يتسع الرواق المحيط بالصخرة ليستوعب أكبر عدد من الزوّار ، وهذه هي الحكمة في زيادة اتساعه زيادة ملحوظة عن الرواق الأول الملاصق للأبواب ، والذي يقتصر استخدامه على دخول هؤلاء الزوّار وخروجهم ، فكان البناء معرض مخصّص لعرض تحفة ثينة مع الحفاظ عليها ، ولهذا أيضاً روعي أن تكون فخامته وعظمته بقدر قيمته ، هذا الكنز الذي يضمّه بين أجنحته ، وهل هناك بعد الكعبة والروضة الشريفة كنز أكثر قدسية من القبلة الأولى ؟

وعبد الملك كما قال الجاحظ : « سنان قريش ، وسيفها رأياً وحزماً ، وعابدها قبل أن يستخلف ورعاً وزهداً » ، إنه من التابعين ، احتجّ به مالك بالموطأ بإحدى أعماله ، حفظ الحديث الشريف عن عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، وسمع من أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وجابر بن عبد الله وغيرهم من أصحاب رسول الله ، فلا يعقل أن يتجاوز حدود الله وشرعة القرآن الكريم .



١٣ - « خلف الزبير بن العوام ألف قرّس وألف عبد وأمة » ، صفحة : ٣٠٣ .

لقد جعل مصدره المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، وغاب عنه أنها من أغاليط المؤرخين ، فكتاب التاريخ والسّير قبل المسعودي ، كابن اسحق [٨٥ - ١٥٢] ، وابن هشام المتوفى ٢١٨ هـ ، وابن سعد [١٦٨ - ٢٣٠ هـ] ، والمدائني [١٣٥ - ٢٢٥ هـ] ، والبلاذري المتوفى ٢٧٩ هـ ، وابن عبد الحكم المتوفى ٢٥٧ هـ ،

والدينوري المتوفى ٢٨٢ هـ ، وابن قتيبة المتوفى ٢١٣ هـ ، والطبري [٢٢٤ - ٣١٠ هـ] .. لم يذكروا ذلك .



١٤ - « اختلفت ضروب الغناء عند عرب الجاهلية ، فنه الحداء للإبل في سيرها ، والهنج وقت الغارة ، والإنشاد في الصلاة أو الأفراح أو المآتم ، ولا تزال آثار الترانيم الدينية الساذجة محفوظة في التلبية من مراسيم الحج » ، وفُسر حتى التلبية : هي أن يقول الحاج لبيك في أول الدعاء ، صفحة : ٣٤٣

أية صلاة كان ينشد بها ضروب من الغناء في الجاهلية ؟

وكلمة « ساذجة » تدل على نفسيته الصليبية الحاقدة ، ما قال عن ترانيم كنيسته إنها ساذجة ، ولكن التلبية في الحج : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والمُلك لا شريك لك ، ترانيم دينية ساذجة . وأسُخف من هذا تعريفه وتفسيره للتلبية : أن يقول الحاج لبيك في أول الدعاء !!



١٥ - « أما مصر وهي البلاد التي اعتنقت النصرانية بصورة سطحية في القرن الرابع للميلاد ، فقد حدث تحولها إلى الإسلام على أيسر الطرق » ، صفحة : ٤٤١
نسي حتى أن دخول مصر في الإسلام كان في القرن السابع للميلاد ، بعد ثلاثة قرون من اعتناقها النصرانية ، فهل بقي اعتناقها للنصرانية بصورة سطحية ؟!

« يرجع النجّاح السريع الذي أحرزه غزاة العرب ، قبل كل شيء إلى ما لقوه من ترحيب الأهالي المسيحيين الذين كرهوا الحكم البيزنطي ، لما عُرف به من الإدارة الظالمة ، ولما أضربوه من حقد مرير على علماء اللاهوت » .

لقد تحولت مصر إلى الإسلام على أيسر الطرق ، لأن الفاتحين المحرّرين المسلمين ضمنوا لهم الحرية الدينية المطلقة^(١) .

إن حتّي لم ينظر بعين الارتياح إلى الاتجاه الديني الذي كان منتشرًا في مصر ، والذي لم يقبل « مذهب الإرادة الواحدة » الذي كان منتشرًا في القسطنطينية !!

☆ ☆ ☆

١٦ - وفي الصفحة ٤٤٠ قال حتّي : « وصارت لفظة زنديق فيما بعد تدل على من اتصف بالحرية الفكرية » .

الزّندقة : فارسيّة معرّبة ، نسبة إلى زند ، وهو كتاب يفسّر كتاب الأُفستا المجوسي ، وكانت وما تزال وستبقى تطلق على من يبطنون الكفر ويجاهرون بالفسق والفجور والاستهزاء بالعقيدة الإسلامية ، اللهم إلا إذا اعتبر حتّي الدسّ الشعوبي على تراث الإسلام ، وفكر الإسلام ، ورجالات الإسلام حرية فكرية ؟!

☆ ☆ ☆

١٧ - « محمد بن تومرت اتخذ لقب المهدي ، ونادى بنفسه نبياً » ، صفحة :

٦٤٩

إن من يدرس جميع المصادر والمراجع التي تحدّثت عن دولة الموحّدين^(٢) ومؤسّسها المهدي بن تومرت ، مثل :

(١) كانت مصر مسرحاً للاختلافات الدينية الكثيرة قبيل الفتح العربي الإسلامي ، وكان أهلها يقتتلون ويتلاعنون بفعل تلك الاختلافات ، وكانت مصر التي أكلتها الانقسامات الدينية وأنكها استبداد الحكام تحقد أشد الحقد على سادتها الروم ، وتنتظر ساعة تحريرها من برائن قياصرة القسطنطينية الظالمين ، عن « حضارة العرب » ص ٣٣٦ لغوستاف لوبون .

(٢) دولة الموحّدين [٥٤١ - ٦٦٨ هـ / ١١٤٧ - ١٢٦٢ م] ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، لزماور ، ص : ١١٥

« تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين » ، ليوسف أشباح .

« المغرب عبر التاريخ » ، إبراهيم حركات .

« التاريخ الأندلسي » ، د . عبد الرحمن علي الحجّي .

« المعجب في تلخيص أخبار المغرب - دولة الموحدين » ، لعبد الواحد بن علي التيمي المراكشي .

« وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » ، لأبي العباس شمس الدين بن خلكان .

« الاستقصا لأخبار دولة المغرب الأقصى » ، للشيخ أبي العباس أحمد بن خالد الناصري .

أو الكامل في التاريخ ، أو نفح الطيب ، أو تاريخ ابن خلدون .. لن يجد قطعاً ما ادعاه حتي في عبارته : « ونادى نفسه نبياً » .

المهدي بن تومرت [٤٨٥ - ٥٢٤ هـ] : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت ، المنعوت بالمهدي المرغني ، ينسب إلى علي بن أبي طالب ، وهو من جبل السّوس في أقصى بلاد المغرب ، ونشأ هناك وتلقّى ثقافته الأولى ، ثم جاز البحر إلى الأندلس طلباً للعلم في قرطبة والمريّة ، ثم ارتحل إلى المشرق طلباً للعلم ، فانتهى إلى العراق ، واجتمع بأبي حامد الغزالي والطّوطوشي .. ولازم الغزالي ثلاث سنوات ، وبشّره الغزالي بأنّه سيكون له شأن عظيم ، وعاد من المشرق إلى المغرب سنة ٥١٠ هـ بعد دراسة دامت حوالي عشر سنوات ، متأثراً بتعاليم الغزالي أكثر من أيّة شخصيّة أخرى .

وخلال مكوثه في المشرق حجّ وأقام بكّة فترة قصيرة ، حصل فيها طرفاً صالحاً من علم الشريعة ، والحديث النبويّ ، وأصول الفقه والدين .

وامتاز ابن تومرت بفصاحته في العريّة والبربريّة ، مع ملكة خطائيّة ممتازة ، وطهر ونسك منذ طفولته ، وكان ورعاً ناسكاً متقشّفاً مخشوشناً .. بساماً في وجوه النّاس ، لا يصحبه من متاع الدنيا إلّا عصاه وركوة ، شديد الإنكار على النّاس فيما يخالف الشّرع ، لا يقنع في أمر الله بغير إظهاره ، وكان مطبوعاً على الالتذاذ بذلك متحملاً للأذى من الناس بسببه .

وفي إحدى قرى بجاية ، واسمها ملالة ، قابل عبد المؤمن بن علي القيسي ، فسأله : أين قصدك ؟

فقال عبد المؤمن : الشرق .

فقال ابن تومرت : ما تبغي ؟

قال : أطلب علماً وشرفاً .

فقال ابن تومرت : وجدت علماً وشرفاً وذكراً ، اصحبني تنله ، فوافقه على ذلك ، وألقى إليه أمره .

ومن بلدة « تينل » العاصمة الأولى للموحّدين ، توجّهت جيوشه لمحاربة المرابطين ، وفيها تسمّى بالمهدي القائم بأمر الله .

لقد دعا ابن تومرت إلى التوحيد الخالص ، وسمّى أتباعه بالموحّدين ، وكان يرى أنّه معدّ لتحمل رسالة المهدويّة حتى ينقذ النّاس من الضلال ، ويرجمهم إلى الإسلام الصحيح .

كما حارب طريقة المرابطين في الأخذ بالفروع ، وأمر بالرجوع إلى الكتاب والسنة ، وإلغاء دور السّيادة المطلقة في الدولة لفقهاء المالكيّة .

وابن تومرت ، وإن لم يفتح شيئاً من البلاد في حياته ، فقد قرّر القواعد

ومَهَّدَها ، ورَتَّبَ الأحوال ووطَّئَها ، فكانت تعالیه الروح الدافعة لجند قادهم عبد المؤمن ، فحقَّقَ بهم نصرًا سياسيًا وحربيًا .

هذا ملخَّص ترجمة ابن تومرت ، وما مرَّ معنا ، ولن يَرْمَع غيرنا ، أنَّه « نادى بنفسه نبيًّا » ، كما يدَّعي حتَّى افتراءً وبهتاناً .

وقال حتَّى في الصفحة : ٦٥ : « واعتقد الموحدون أنَّ جماعتهم وحدها دون سواها تضم المؤمنين الحقيقيين » ، وهذا أيضاً كسابقه من أقوال حتَّى .

لقد درسنا دولة الموحِّدين ، وألَّفنا بتاريخها ، ولم نجد سنداً لقول حتَّى السابق .

ودليل سوء نيَّة حتَّى بحق الموحِّدين ، إغفاله انتصارهم بقيادة يعقوب المنصور الموحِّدي على النُّصارى الإسبان في معركة الأُرْك^(١) ، التي سمت وارتفعت بشهرة الموحِّدين الحربيَّة في كل مكان ، وذكر معركة العُقَّاب^(٢) خطأً ، وصوابها : العِقَّاب ، التي وقعت أيَّام محمد النَّاصر بن يعقوب الموحِّدي ، لأنها أوَّل وهن حقيقي دخل على الموحِّدين ، وكانت بدء ضياع الأندلس .

☆ ☆ ☆

١٨ - « ثورة العراق ضد الانتداب البريطاني ، ونشبت ثورة ١٩٢٠ ، وبدأت بين القبائل على الفرات الأسفل » ، صفحة : ٨٨٦

وصوابه : وبدأت بين القبائل على الفرات الأوسط .

☆ ☆ ☆

١٩ - « إسماعيل بن محمد علي [١٨٦٣ - ١٨٧٩] » ، صفحة : ٨٧٧ .

(١) الأُرْك : ٩ شعبان ٥٩١ هـ / ١٨ تموز (يولية) ١١٩٥ م .

(٢) العِقَّاب : ١٥ صفر ٦٠٩ هـ / ١٦ تموز (يولية) ١٢١٢ م .

وصوابه : إسماعيل حفيد محمد علي لا ابنه . إنه : إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد علي [١٨٦٣ - ١٨٧٩ م] ، أول من نال لقب خديوي في أسرة محمد علي باشا ، أما إسماعيل بن محمد علي فهو غير المعني هنا ، وقد أُحرق أثناء فتحه للسودان في عهد والده في مدينة شندي على يد حاكمها « نمر » .

وقال حتّي في الصفحة : ٨٨٣ : خديو فارسية بمعنى سيد أو حاكم .

وصوابه : خديو تركية معناها : نائب السلطان .



٢٠ - « مصالح فرنسة في سورية ولبنان تعتمد على تقاليد الصداقة القديمة التي تعود إلى أيام الصليبيين » ، « وقد بلغ تذمر السُوريين واستياءهم من الانتداب أشده ، فقد اتَّهموا الموظَّفين الإفرنسيين في أنهم استعملوا الطرق الاستعماريَّة نفسها الَّتِي استعملوها في شمالي إفريقيَّة » ، « وكان من أسباب التذمر والشكوى أيضاً أن الفرنسيين قسموا البلاد إلى دول متعدِّدة لأغراض إداريَّة ، وأنَّهم اقتطعوا سنجق الاسكندرون ، ومنحوه لتركيا قبل انفجار الحرب العالميَّة الثانية » ، صفحة : ٨٨٥ .

لن نعلّق على الصداقة القديمة التي تعود إلى أيام الصليبيين ، والتي اعتمدت عليها فرنسة لاستعمار سورية ولبنان ، فروحها الصليبيَّة غنيَّة عن التعليق ، ولكن أن يجعل حتّي تذمر السُوريين واستياءهم من الانتداب « لمجرد اتِّهامهم » للموظَّفين الإفرنسيين في أنَّهم استعملوا الطرق الاستعماريَّة نفسها التي استعملوها في شمالي إفريقية ، فبعد عن الحقيقة ، وتشويه للتاريخ والحركة الوطنيَّة في سورية ، ولكن ذلك يرضي - لاشك - أسياده ، الدول الاستعمارية والامبريالية جميعها ، وفاته التوفيق وأخطأه عندما ذكر حتّي في الصفحة ذاتها [٨٨٥] إجراءات الفرنسيين الاستعماريَّة في سورية ، فعُدّ منها :

- العوائق أمام اللغة العربيّة .
- وخفّضوا قيمة نقد البلاد بربطه إلى الفرنك .
- فرّقوا البلاد أحزاباً وشيعاً ..

هذا ما قاله حتّي ، ثم يقول بعده : « فقد اتّهموا الموظفين الافرنسيين في أنّهم استعملوا الطرق الاستعماريّة نفسها التي استعملوها في شمالي إفريقيا » ، ولم يذكر حتّي ، وأغفل عن قصد ، تشويه فرنسا لتاريخنا العربي الإسلامي وطمسه ، وتدريس التاريخ الافرنسي للطلاب العرب السُوريين خلال فترة الانتداب ، هذا لم يغفل عنه حتّي حتّى مادام عدد الأسباب السابقة لاستياء السُوريين ، ولكنّه لا يجرؤ على كتابة ذلك ، لأنّه أداة من أدوات التشويه والافتراء على هذا التاريخ العربي الإسلامي .

ودليل كونه أداة من أدوات التشويه والافتراء ، تبريره للمستعمر الفرنسي تقسيمه سوريّة إلى دول ، وقال عن ذلك أنّه « لأغراض إدارية » ، فلو قسّمت إلى محافظات أو ألوية يجمعها رئيس واحد ، وعلم واحد .. لقبّلنا تبريره ، ولكنه يقول وهو تميل بأفكار المستعمرين : « قسّموا البلاد إلى [دول] متعدّدة - لماذا ؟ يجيب حتّي : - لأغراض إدارية » !!

ومن يبرّر للمستعمر تجزئة البلاد ، وتفريق أهلها شيّعاً وأحزاباً .. بماذا نصفه ؟!

ولماذا يخشى من القول بأن ذلك تمّ لزرع الإقليّة والطائفية بين السُكان ؟!



٢١ - « وكان في حياة الشعوب العربيّة في هذا الزمن شيء من التناقض الظاهر ، فقد كانوا يصدّون تدخل الأوربيين في شؤون بلادهم بيد ، ويتقبّلون بالأخرى الطرق والأفكار الأوربيّة ، وقد استعانوا بما اقتبسوه من أوربة في حربهم

لصد الأوربيين ، وكان من أقوى الأفكار الجديدة الكثيرة التي استوردوها من أوربة فكرتا القومية والديمقراطية السياسية » ، صفحة : ٨٨٧ .

هذا الكلام المضطرب ، والفكر الساذج ، كيف يرضى حتي أن يُحسب عليه ؟ وكيف يسجله ويقرره ؟! لأن البون شاسع واسع بين قبول المخترعات العلمية ، واقتباس وأخذ التقدم الصناعي ، وبين قبول الاستعمار ومظالمه وأهدافه ، ذاك شيء وهذا شيء آخر .

والأهم والشعوب على مر التاريخ ميّزت بين التقدم العلمي والمخترعات .. وبين الفكر والعقيدة ، فعندما أخذت أوربة مثلاً في العصور الوسطى التقدم الصناعي والعلمي من الشرق المسلم أيام الدولة العباسية ، وخلال الحروب الصليبية ، مبدّلت عقيدتها ونهجها الروحي لأنها أخذت ما أخذت ، وبقيت على صليبيتها وحقدتها .

أما أننا استوردنا من أوربة « الديمقراطية السياسية » ، فهذه أيضاً من رؤى المخمورين .

أنسي حتي قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما بُويع بالخلافة : « أما بعد ، أيها الناس ، فإنني قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، الضعيف فيكم قويٌ عندي حتى أريح عليه ^(١) حقه إن شاء الله ، والقويٌ منكم الضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله ^(٢) .. » ؟

وهل نسي قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » ؟

(١) أرخْتُ على الرجل حقه إذا رددته عليه ، أريح حقه أي رده ، اللسان : ٤٦٥/٢

(٢) الطبري : ٢١٠/٣

قال حذيفة : دخلت على عمر فرأيتَه مهموماً حزيناً ، فقلت له : ما يهيك
يا أمير المؤمنين ؟

فقال : إنني أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد منكم تعظيماً لي .

فقال حذيفة : والله لو رأيَناكَ خرجت عن الحق لنهيناك .

ففرح عمر وقال : الحمد لله الذي جعل لي أصحاباً يقوموني إذا اعوججت^(١) .

ويكفي حتّى قول الله عز وجل :

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ ، [الشورى : ٣٨] ، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ
لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ، [آل عمران : ١٥٩] .

☆ ☆ ☆

٢٢ - « وكان محمد عبده حساساً ، فكان يؤلمه تتقهقر الإسلام ، ويحزُّ في نفسه
كثيراً » ، صفحة : ٨٨٨ .

وصوابه : الإسلام لا يتقهقر ، خالد ثابت عزيز في أحكامه وتشريعاته
ومبادئه .. ولكن يتقهقر المسلمون كلما ابتعدوا عنه .

☆ ☆ ☆

☆ ☆

☆

(١) مختصر منهاج القاصدين : ١٣٤ ، وتراجع عمر أمام الشعب عندما أراد تحديد مهور النساء
لاعتراض امرأة في آخر الصفوف ، وقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

خاتمة

سلسلة متصلة الحلقات

☆ « لم يدرس الغرب الإسلام دراسة
صحيحة ، حتى في الجامعات
الغربية ، وربما كان هذا مقصوداً مع
الأسف » .

رجا غارودي

[مسجد أبي النور، الجمعة : ١٩٨٤/٣/٢٣]

وهكذا ، إنَّ ما قدَّمه حتَّى في كتابه « تاريخ العرب - مطوّل » صورة
متكررة لافتراءات قالها المبشرون ، الذين ركّزوا على أمور تكرّرت في كل
كتاباتهم ، منها :

☆ محمد ليس نبياً ، لأنّه تلقّى القرآن من ورقة بن نوفل ، أو بحيرى ..

☆ والإسلام مزيج من اليهوديّة والنصرانيّة والوثنيّة .

☆ وانتشر الإسلام بالسيف ، الذي قال للناس : أسلموا أو موتوا ، بينما أتباع
المسيح ربحوا النفوس ببرّهم وإحسانهم^(١) ..

ويقع المبشرون بذلك « بالإسقاط » ، ولو ألزموا أنفسهم البحث العلمي

(١) قدّمنا في كتاب « الإسلام في قفص الاتهام » ردّ ونقض هذه الشبهات والافتراءات وعشرات
غيرها .

الذي يفرض على الباحث الحر المنصف أن يدرس الإسلام كما يعتقد أهله ، مجرداً من نزعاته السابقة على الدراسة ، غير جاعل لعقيدته سلطاناً على حكمه « حتى لا تسيّره في دراسته ، وتتحكّم في اتجاهاته ، لأن ذلك قد يدفعه لأن يتزَيّد على القوم ، والتزَيّد ليس من شِمة العلماء ، أو يدفعه لأن يتأوّل كلامهم بغير ما يريدون ، وذلك لا يجعل العقل يدرك الأمور كما هي في ذاتها ، بل يدركها كما انعكست في نفسه ، وكما رُسِمت على قلبه ، وقد يباعد ذلك الأمر في ذاته »^(١) .

ونحن لا نريد أن نهاجم اعتقاداً ، أو نبطل عقيدة ، فعندنا من سعة الصدر ما يتّسع لرّد افتراءاتهم وهفواتهم . ولكننا نذكر هؤلاء المبشرين الذين « أسقطوا » علينا ما فيهم ، وما عندهم ، أن مجمع نيقية ٣٢٥ م أمر بتحريق الكتب التي تخالف رأيه ، وتتبعها في كل مكان ، وحثّ الناس على تحريم قراءتها ، فهو بهذا منع أن يصل الناس إلى علم بأي أمر من الأمور التي تخالف رأيه ، وهو بهذا أيضاً يحاول التحكّم في القلوب ، والسيطرة على النفوس بحملها على قراءة ما وافق رأيه ، ومنعها منعاً باتّاً جازماً أن تقرّ غيره ، وسدّ عليها منافذ النور للاهتمام إلى ما يخالفه . والمجمع مخطئ في ذلك التحريم ، وآثم في ذلك التحريق ، بل إن المجمع العامّة من بعده خطّأته ، فأعادت إلى حظيرة التقديس كتباً حرّمها .

يقول المؤرخ أبوسيبوس الذي تقدّس كلامه الكنيسة ، وتسميه سلطان المؤرّخين : « إن قسطنطين عمّد حين كان أسير الفراش ، وأن الذي عمّده هو ذلك المؤرخ نفسه ، وقد كان له صديقاً » ، والتعميد إعلان دخول المسيحية ، إذن قسطنطين ما كان مسيحياً في إثبات انعقاد ذلك المجمع ، وما كان من حقّه أن يحكم بفلج هؤلاء ، ويسوغ لنا أن نقول إنّه كان في هذا أرب خاص هو تقريب

(١) « محاضرات في النصرانية » محمد أبو زهرة ، ص : ٨ ، ط ٣ ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

المسيحية من وثنيته ، أو على الأقل عندما رجّح رأي فريق على فريق كان يرجّح ما هو أقرب إلى وثنيته^(١) .

ويذكر ابن البطريق أن أوسايبوس أسقف نيقومدية كان موحداً من مناصري أريوس^(٢) ، وأراد أن يقترب من قسطنطين ، فأظهر أنه وافق على مجمع نيقية ، فأزال عنه قسطنطين اللعنة ، وجعله بطريرك القسطنطينية ، فما أن ولي هذه الولاية حتى صار يعمل للوحدانية في الخفاء ، فلما اجتمع المجمع في صور ، وحضره هو وبطريرك الاسكندرية الذي كان يمثل فكرة ألوهية المسيح ويدعو إليها ، وينفرد من بين البطارقة في المبالغة في الدعوة إليها ، والحث عليها ، ولعن كل من يقاومها ، انتهز أوسايبوس فرصة ذلك الاجتماع ، وأثار مقالة أريوس ، ورأيه في المسيح ، وإنكار ألوهيته ، وكان في ذلك المجمع كثيرون من الموحدين المستسكين به ، إذ لم يحتاطوا بإبعادهم ، كما فعلوا في المجمع العام بنيقية ، واشتدّ النقاش بين رئيس الكنيسة الاسكندرية وبين المجتعيين ، ولم يكتفوا بالنقاش القولي ، بل امتدت الأيدي إلى بطريرك الاسكندرية ، وعدت إلى رأسه لإخراج الوثنية منها ، فضربوه حتى أدموه ، وكادوا أن يقتلوه ، لم يخلصه من أيديهم إلا ابن أخت الملك ، الذي كان حاضراً ذلك الاجتماع ، ولكن لما بلغ ذلك قسطنطين كرمه .

لقد كثرت الأناجيل كثرة عظيمة ، أجمع على ذلك مؤرخو النصرانية ، ثم أرادت الكنيسة في آخر القرن الثاني الميلادي ، وأوائل القرن الثالث ، أن تحافظ على الأناجيل الصادقة في اعتقادها ، فاختارت هذه الأناجيل الأربعة ، وألزمت المسيحيين بها ، وفرضت عليهم سلطاناً كهنوتياً أبعدهم عمّا في أناجيلهم ، ماذا كان

(١) « محاضرات في النصرانية » ، ص : ١٢٨ - ١٣٠

(٢) كان أريوس يقول ويعتقد : إن الآب وحده الله ، والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الآب إذ لم يكن الابن .

في هذه الأناجيل التي ألغيت ؟ وقد ثبت أن قسطنطين الوثني ، هو الذي رسّخ التثليث ودعاه ، على حساب التوحيد !!



والغريب أن المبشرين يؤمنون بعشرات الأنبياء لبني إسرائيل ، فأية صفة فيهم لا نجدها في محمد بن عبد الله ؟ وما هي الأدلة والمعجزات والخوارق التي قاموا بها ولا نجدها في محمد بن عبد الله إن لم نجد أعظم منها عنده ؟
أما قولهم « انتشر الإسلام بالسيف » ، نذكرهم بثلاثة أشياء :

١ - قول المسيح في إنجيل لوقا : « ومن لم يكن لديه سيف فليبع رداءه ويشتره » .

٢ - فرض شارلمان المسيحية على السكسونيين بالسيف وبوحشية وعنف^(١) ، وفي الدنمارك نشر الملك كنوت Cnut المسيحية بالقوة والإرهاب على ممتلكاته ، والشعوب التي حاربها وقهرها^(٢) .

وفي روسية انتشرت المسيحية على يد جماعة اسمها : « إخوان السيف » ، Bretheren of the sword^(٣) ، وكذلك في النرويج ، وفي أمريكا بعد الكشف الجغرافية ..

٣ - إن أكثر البلاد إسلاماً ، لم تصلها جيوش المسلمين ، وعلى سبيل المثال : ملايين المسلمين في إندونيسية ، والملايو ، والفيليبين ، وأواسط إفريقيا ، وفي أمريكا اليوم .

(١) موسوعة « المعرفة » ، العدد الثامن ، ص : ١٢٢ ، و ١٢٣ ، الناشرة شركة ترديسكيم ، جنيف .

(٢) الدعوة إلى الإسلام ، السير توماس أرنولد ، ص : ٣٠

(٣) الدعوة إلى الإسلام ، ص : ٣١

ولا نستغرب هذا العداء من المبشرين الصليبيين ، فكل دين جديد وجد معارضة وهجوماً من أصحاب العقائد السابقة ، فلقد لقيت المسيحية نفسها مثل ذلك وأكثر من معتنقي اليهودية ، ويكفي أن نذكر هنا بما لقي السيد المسيح عليه السلام من اليهود .

ونحن ننصح المبشرين اليوم ، بتحويل جهودهم الجبارة ، والأموال الطائلة التي يصرفونها في الافتراء والدس على الإسلام ورسوله الكريم^(١) ، إلى دراسة الإسلام دراسة موضوعية ، توصلهم إلى الحقائق ، كما فعل كبار رجال القانون والفكر في أوربة ، عندما طلبوا اجتماعاً للتعلم في مفاهيم حقوق الإنسان في الإسلام ، فعقدت ثلاث ندوات في باريس ابتداءً من يوم الأربعاء : ٢٢ آذار (مارس) ١٩٧٢ م ، مثل فيه الجانب العربي المسلم كبار العلماء ، ومثل الجانب الأوروبي وفد حقوقي مؤلف من السادة :

معالي سين ماك برايد ، الأستاذ في جامعة دوبرن ، ووزير خارجية إيرلندا السابق ، والرئيس السابق لاتحاد المجلس الأوروبي ، والسكرتير العام في اللجنة التشريعية الدولية .

والأستاذ ك . فاساك ، أستاذ القانون العام في كلية بوزانسون - فرنسة ، ومدير قسم حقوق الإنسان في المجلس الأوروبي ، ومدير المجلة الدولية لحقوق الإنسان .

والأستاذ المستشرق لاووست ، أستاذ في الكوليج دو فرانس في باريس ، وأستاذ الدراسات الإسلامية والمدنية الإسلامية .

(١) والعجيب الغريب أنهم لم يوجهوا للوثنية والإلحاد جزءاً يسيراً من هذه الجهود والأموال !!

والأستاذ جان لويس أوجول ، من كبار المحامين في محكمة الاستئناف في باريس ، وصاحب الاقتراح لعقد هذه الندوات .

وكما فعلت السويد ، في تخصيصها عاماً كاملاً ، هو عام ١٩٨٥ ، لدراسة الإسلام ، اشتركت فيه أربع عشرة جامعة ومتحفاً ومكتبة .. كشفت خلاله وسائل إعلامها عن الإسلام ، وفتحت الباب على مصراعيه أمام العلماء المسلمين لعرض عقيدتهم ، وشرح تشريعاتهم ، رغبة منها في الوصول إلى الحقيقة ، والانتفاع بالخير ، بعيداً عن الأفكار المشوهة المسبقة ، والتي بثها على مدى قرون ، أصحاب الأغراض المشبوهة .

لقد افتتح رئيس وزراء السويد « أولفا بالما » في ٢ أيار « مايو » ١٩٨٥ الاحتفال الكبير بحضور عدد كبير من العلماء المسلمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، وبحضور أهل الفكر والثقافة بالسويد ، وهدفه : الحرص على زيادة التعريف بالإسلام كدين وحضارة وأسلوب حياة ، خاصة بعد أن بدأ الوعي بأهمية هذه العقيدة الكبرى التي يعتنقها الملايين من بني البشر ، ينتشرون على رقعة واسعة بالعالم أجمع ، لا في الدول الإسلامية وحدها . ولأنه في السويد نفسها أصبحت هناك جالية إسلامية تضم ما يزيد على ستين ألف مسلم ، ولا بد من التفهم لحضارتهم وثقافتهم ، وإيجاد نقاط التقاء معها ، بل ومحاولة استلهام هذه الحضارة والاستفادة منها .

وقال رئيس وزراء السويد : إن أي مجتمع يحتاج إلى دوافع جديدة ، وإلهام من ثقافات أخرى لكي لا يصابه الجمود ، وينضب معين ثقافته ، ولدى العالم العربي والإسلامي من تقاليد الثقافة وأساليب العيش ما يمكن اقتباسه ، لإثراء ثقافتنا وحضارتنا ، فنحن في حاجة إلى المزيد من المعارف عن شعوبكم وحضارتكم ، وعندما تتقابل نماذجنا الحضارية مع تقاليدكم الروحية ، فسوف

نستطيع معاً تعقب أثر القيم المشتركة وإمكانياتنا المشتركة - شعوباً ودولاً - لمواجهة مستقبل نواجهه معاً ، ويقف أمامنا جميعاً نديراً وبشيراً في آن واحد^(١) .

هذه المعاني والمبادئ تلقتُها الأجهزة والمؤسسات الثقافية السويدية على الفور ، وبدأت المتاحف السويدية الكبرى تراجع محتوياتها ذات الطابع الإسلامي ، وبدأ المجلس القومي للشؤون الثقافية يتصل بالخبراء والمؤرخين المختصين في الإسلام وتاريخه وحضارته ، وأخذ « المعهد السويدي » ، وهو الجهة الرسمية المنوط بها تدعيم الروابط الثقافية السويدية مع العالم الخارجي ، يخصص الاعتمادات لتكلفة المشروع ، وتشكلت مجموعات عمل برئاسة يوران لوفدال رئيس المجلس الوطني للشؤون الثقافية ، والسفير جونار يارنج الخبير بالشؤون الإسلامية ، وأولوف يساكسون مدير المتحف التاريخي السويدي ، الذي عهد إليه إحصاء وتصنيف المعروضات ذات الطابع الإسلامي بالسويد ، والقيام بجولة في بلدان العالم الإسلامي لإحضار نماذج من الحضارات الإسلامية ، والاتصال بالمتاحف الكبرى في لندن وباريس وكوبنهاجن ولينينغراد وبرلين لنفس الغرض ، أي استعارة معروضات تمثل العصور الإسلامية المختلفة ، ونماذج من سائر جوانب ثقافة الإسلام وتراثه .

وتقرر أن يطوف أحد المعارض جميع أنحاء السويد ، حيث يعرض على طلبة المدارس أعمالاً مبسطة بتاريخ الإسلام وحضارته ، وأساليب حياة الشعوب الإسلامية ، وممارستها شعائر دينها .



(١) وتقرر إصدار كتاب عن الإسلام بالسويدية يحمل اسم « الإسلام » ، ويضم أربعة أجزاء : الدين والتاريخ ، الفن والثقافة ، الإسلام والعالم ، المسلمون في السويد ، وجزء خامس هو معجم للمصطلحات والعبارات الإسلامية ، وكان شعار المؤتمر : « لا إله إلا الله » .

وماذا يضير هؤلاء المبشرين في انتشار عقيدة الإسلام على سطح الكرة الأرضية ، وقد طرحت مبدأ المآخاة والتسامح ، ولم تجعلها شعاراً ، بل منهجاً أثبتته الوقائع والأعمال في كل بلد فتحه المسلمون ؟

لقد كان من المفروض أن يطبع النصارى القرآن الكريم مع إنجيلهم ، طبعوا التوراة وهي التي لم تذكر السيّد المسيح وأمه ولو مرة واحدة ، أما القرآن ، فثلاثة حياة مريم والمسيح .

جاء في القرآن الكريم سورة باسم عائلة السيّد المسيح « آل عمران » ، و « آل » كلمة تُخاطب بها العائلات الكريمة الطيبة الشريفة .

وسورة باسم معجزة السيّد المسيح « المائدة » ، وفيها ثلاث معجزات للسيّد المسيح لم تذكرها الأناجيل ، وهي :

١ - نزول المائدة : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيع رَبُّكَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ ؟ قَالَ : اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، قَالُوا : نَرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ، وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ، قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ : اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ، وَآيَةً مِنْكَ ، وَارْزُقْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ، قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ ، فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَأُعَذِّبَهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ، [المائدة : ١١٢ - ١١٥] .

٢ - وإحياء الطير : ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا ، فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ، وَتَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي .. ﴾ ، [المائدة : ١١٠] .

٣ - والتكلم بالمهد : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ

وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً^(١) .. ﴿ ،
[المائدة : ١١٠] .

وسورة باسم والدته البتول « مريم » : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت
من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها
بشراً سَوِيّاً ، قالت : إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ، قال : إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
رَبِّكَ لِأَهْبَ لَكَ غُلَاماً زَكِيّاً ، قالت : أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ
أَكُ بَغِيّاً ؟ قال : كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلْنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا ،
وكان أمراً مقضياً ﴿ ، [مريم : ١٥ - ٢١] .

وسورة باسم الأتباع « الكهف » : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ
هَدًى ﴿ ، [الكهف : ١٣] .

وكُلُّهَا مِنَ السُّورِ الطُّوَالِ .

لقد فتح القرآن الكريم حواراً مع المسيحية عن طريق سورة المائدة : ٨٥
و ٨٦ : ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ
مِنْهُمْ قَيْسِيْنَ وَرَهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى
أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ ﴿ .

وعن طريق سورة مريم وآل عمران ، حيث التقدير والاحترام للمسيح وأمه
الطاهرة : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ

(١) وفي سورة مريم ٢٩ - ٣٣ : ﴿ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً ، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ
آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ ، وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً
وَبَرّاً بِوَالِدَتِي ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّاراً شَقِيّاً ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ
حَيّاً ﴿ .

عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ،
[آل عمران : ٤٣] ، ولو وجدنا في الإنجيل : واذكر في الكتاب خديجة ، أو
آمنة ، أو إنَّ الله اصطفى فاطمة .. لكان الحبُّ واللِّقاء مع من يُعَظَّم ويُقدَّر
ويُبَجَّل ، ولرددنا التَّحية بأحسن منها ، أو بمثلها على الأقل .

وفتح الحوار للتآلف أمر طبيعي في الإسلام ، لسعة صدره من ناحية ،
ولعالميته من ناحية ثانية : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ
اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ، [آل عمران : ٦٤] .

ونذكر هؤلاء الذين يدعون الغيرة على المسيحية ، أن السيّد المسيح عليه
السَّلام كان قد بشرُ بنيَّ سيَّاتي من بعده ، كما في إنجيل برنابا^(١) .



ينكر المبشرون على الإسلام ونبيّه كُلُّ صواب ، وكلُّ فضل ، وكلُّ جديد ،
ويريدون أن يثبتوا لأتباعهم قبل أن يدرسوا الإسلام ويعجبوا به ويعتقوه ، أنّه
مزيج متنافر بين اليهوديّة والمسيحيّة والوثنيّة^(٢) ، وخطوهم كمينٌ في حقدِّهم الَّذي

(١) أقدم نسخة معروفة من إنجيل برنابا هي النسخة الإيطالية ، يمتد وجودها إلى منتصف القرن
الخامس عشر ، أو القرن السادس عشر ، وقد وَجِدَتْ في جوٍّ مسيحي خالص ، لامظنة لأن
تكون مدخولة عليهم ..

(٢) ونحن لسنا في موقف الهجوم على معتقد ، أو إبطال عقيدة ، وكان بوسعنا ذلك فالمراجع
متوفرة ، مثل الكتب التالية :

« العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانيّة » ، « محاضرات في النصرانيّة » ، « شفاء الغليل في
بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل » ، « إنجيل برنابا » ، « مقارنة الأديان » ،
« الفصل في الملل والأهواء والنحل » ، « الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام » ،
« إظهار الحق » ، « دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة » ...

أوصلهم إلى قصرِ النظر ، فن الغريب ألا نجد شيئاً مشتركاً بين الديانات السماوية ، لقد جاء موسى متأخراً عن إبراهيم فآمن به ، وجاء عيسى متأخراً عنها ، فآمن بإبراهيم وموسى ، وجاء محمد ﷺ بعدهم ، فآمن بإبراهيم وموسى وعيسى ، عليهم أفضل الصلوات والتسليم .

قال رجا غارودي : « لم يدرس الغرب الإسلام دراسة صحيحة حتى في الجامعات الغربية ، وربما كان هذا مقصوداً مع الأسف » ، ولذلك ألف الكاتب البريطاني « جان دوانبورت » كتاباً عنوانه : « اعتذار لمحمد والقرآن » ، اعتذر فيه مؤلفه عن التصورات والأحكام التي كانت شائعة في الغرب حول نبي الإسلام ﷺ .

ومن أواخر هذه المحاولات التشويهيّة المفترية كتاب للأب جرجس داود ، تحت عنوان : « أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي » ، حيث قلب الحقائق ، وغير الروايات ، وبدل الأحداث ليثبت أن كل ما في القرآن الكريم من النصرانيّة : « هذه الشذرات الإلهيّة ، من أين أتى بها شعراء الجاهلية - التي اقتبسها القرآن منهم كما يدّعي الأب جرجس - لو لم يطلّعوا من أهل الكتاب ، وخاصة النصارى على إيمانهم وما يشمله هذا الإيمان .. » !! .

القرآن من عند ورقة بن نوفل ، مقتبس من اليهوديّة والمسيحيّة والوثنيّة ..
كفانا هذه الافتراءات المتكرّرة على مرّ مئات السنين ، منذ أيام يوحنا الدمشقي

= إن هناك تطابقاً تاماً بين كثير من النصوص التي في كتب الهنود والوثنيين (عن كرشنة وبوذا) وبين مآلاته الأناجيل عن السيّد المسيح عليه السلام ، [العقائد الوثنيّة في الديانة النصرانيّة ، طبعة بيروت ١٨ ربيع الأول ١٣٣٠ هـ ، من ص ١٣٠ - ١٦٧] .
ولكننا ندعو إلى حوار نافع ، وتسامح متبادل يوصل إلى تفاهم مفيد للطرفين ، للوقوف في وجه الأخطار المشتركة كالإلحاد ، على صورة ماجرى من مؤتمرات إسلاميّة - مسيحيّة ، كان آخرها المؤتمر الذي عقد في الجماهيرية الليبية ما بين : ٢ - ٦ صفر ١٣٩٦ هـ ، ١ - ٥ شباط (فبراير) ١٩٧٦ م .

وابن العبري ، مروراً بحلقات جديدة من سلسلة آلت على نفسها ألا تتوقّف عن الافتراء مثل : جرجي زيدان ، وسلامة موسى ، وفيليب خوري حتّى ، ولويس عوض ..

المرحلة القادمة مع إشرافنا على نهاية القرن العشرين ، مرحلة الانتفاع من الخير أينما وجد ، ولو كان عند الإسلام ونبّيه ، وخاصة بعد أن اعترفت القاتيكان بالإسلام ديناً سماوياً .

والأفثالنا مع المبشرين كما يلي :

كان أعمى وأصمّ يشربان الخمر على طرف النهر ، فلما لعبت الخمرة في رأسيهما ، قال الأعمى : إنني أرى على طرف النهر الآخر شجرة ، فأرى النمل يسير على جذعها وأغصانها ، فقال الأصم : أنا لأرى النمل ، بل أسمع ديبب أقدامها على الشجرة .

فاذا تتوقّع أن يقول عنها إنسان على الضفة الأخرى للنهر ، سويّ ، سليم الحواس ، سمع ما قالوا ؟ !



المُحتَوَى

| الموضوع | الصفحة |
|-----------------------------------|--------|
| المقدمة . | ٥ |
| فيليب حتّي وتاريخ العرب المطوّل . | ١٤ |
| حقائق تحسب له . | ١٨ |
| التمرّيز والارتياح . | ٢٤ |
| نقاط خمس . | ٥٢ |
| فيليب حتّي وتاريخنا . | ٦٢ |
| فيليب حتّي والسيرة . | ١٢٣ |
| فيليب حتّي وعقيدتنا . | ١٣٨ |
| فيليب حتّي وحضارتنا . | ١٦٤ |
| هفوات وأغاليط جغرافية . | ١٨٢ |
| افتراءات وهفوات أخرى | ١٨٦ |
| خاتمة « سلسلة متصلة الحلقات » . | ٢٠٨ |



كتب للمؤلف

- | | |
|----------------|---|
| الطبعة السادسة | ١ - الإسلام في قفص الاتهام |
| الطبعة الثانية | ٢ - من ضيَّع القرآن ؟ |
| الطبعة الرابعة | ٣ - الإنسان بين العلم والدين |
| الطبعة الخامسة | ٤ - هارون الرشيد |
| الطبعة الخامسة | ٥ - غريزة ... أم تقدير إلهي ؟ |
| الطبعة الرابعة | ٦ - آراء يهدمها الإسلام |
| الطبعة الثالثة | ٧ - الإسلام وحركات التحرر العربية |
| الطبعة الثالثة | ٨ - عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي |
| الطبعة الثالثة | ٩ - الهجرة « حدث غير مجرى التاريخ » |
| الطبعة الثالثة | ١٠ - جرجي زيدان في الميزان |
| الطبعة الثالثة | ١١ - أطلس التاريخ العربي |

☆ ☆ ☆

سلسلة « غزوات الرسول الأعظم »

- ١ - بدر الكبرى « يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » .
- ٢ - غزوة أحد « عاقبة المخالفة » .
- ٣ - غزوة الخندق « غزوة الأحزاب » .
- ٤ - صلح الحديبية « الفتح المبين » .
- ٥ - غزوة خيبر « الفتح القريب » .
- ٦ - غزوة مؤتة « فإنما هي إحدى الحُسَيْنَيْن » .
- ٧ - فتح مكة « الفتح الأعظم » .
- ٨ - حنين والطائف « لن نغلب اليوم عن قلة » .
- ٩ - غزوة تبوك « غزوة العسرة » .
- ١٠ - حروب الردة « من قيادة النبي ﷺ إلى إمرة أبي بكر » .



سلسلة « المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام »

- ١ - القادسية بقيادة سعد بن أبي وقاص .
- ٢ - اليرموك بقيادة خالد بن الوليد .
- ٣ - نهاوند بقيادة النعمان بن مقرن المزني .
- ٤ - ذات الصواري بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح .
- ٥ - فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد .
- ٦ - بلاط الشهداء بقيادة عبد الرحمن الغافقي .
- ٧ - فتح صقلية بقيادة أسد بن الفرات .
- ٨ - الزلاقة بقيادة يوسف بن تاشفين .
- ٩ - الأرك بقيادة المنصور يعقوب الموحدي .
- ١٠ - العقاب بقيادة محمد الناصر بن يعقوب الموحدي .
- ١١ - مصرع غرناطة « أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر » .



120



General Organization of the Alexandria Library (1972)
Dr. Hisham M. El-Masry

* إِنَّ مِنْ أَوَّلِ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْأَخْلَاقِ ، الْبَحْثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ ، وَإِنْ كَتَبُوا ، كَتَبُوا الْحَقِيقَةَ بِتَجَرُّدٍ ، وَلَوْ خَالَفَتْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَمَعْرُوفٌ عَنْهُمْ الرُّجُوعُ عَنِ الْخَطَا ، وَإِلَّا فَالْمَنْهَجُ الْعِلْمِيُّ بَعِيدٌ ، وَالْمَوْضُوعِيَّةُ مَطْرُوحَةٌ جَانِبًا ، وَهَنَّاكَ هَدَفٌ آخَرَ غَيْرَ الْحَقِيقَةِ ، وَغَيْرِ الْعِلْمِ .

* وَهَلْ تَكْفِي مَصَادِرُنَا الْغَرَبِيَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ لِكِتَابَةِ تَارِيخِنَا الْيَوْمَ ؟
وَهَلْ تَقِي هَذِهِ الْمَصَادِيرُ بِالْحَاجَةِ ؟ .

أَمْ نَبْتَعِدُ عَنِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ ، وَعَنِ الْمَوْضُوعِيَّةِ ، إِذَا اعْتَمَدْنَا هَآذَا وَحْدَهَا ؟ .

وَهَلْ تَقْرُضُ الْمَوْضُوعِيَّةُ عَلَيْنَا أَنَّ الْخَبَرَ الْوَاردَ فِي مَصَادِرِنَا الْمُوثُوقَةِ خَيْرٌ مُوثُوقٌ ، لَا مُوجِبَ لِمَرْضِيهِ وَتَوْهِينِهِ وَالْإِزْتِيَابِ بِصِحَّتِهِ - لِأَيِّ أَمْرٍ - حَسَنَتِ النِّيَّةُ فِي تَمْريضِهِ أَمْ سَاءَتِ ؟ .

* وَهَلْ طَبَّقَ الْمُسْتَشْرِقُونَ الْمَوْضُوعِيَّةَ وَالْبَحْثَ الْعِلْمِيَّ بِمَا فِيهِ مِنْ نَزَاهَةٍ ، وَتَحَرُّلٍ لِلْحَقِيقَةِ ، عِنْدَمَا كَتَبُوا تَارِيخَنَا ؟ ! .